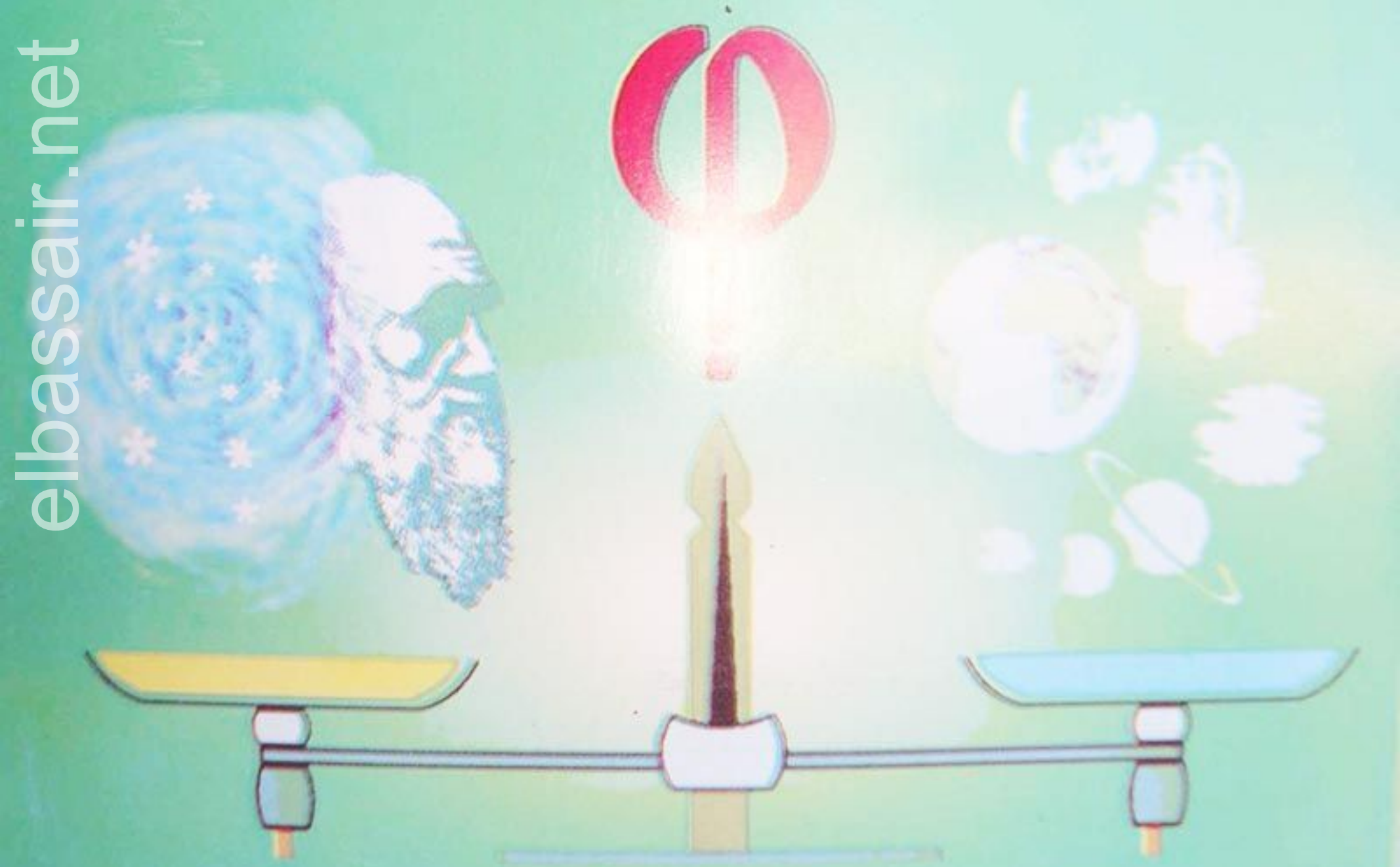
نصوص فلسفية مختارة

متبوعة برسالة

المنقذ من الضَّلال لأبي حامد الغزالي



السنة 2 ثانوي

شعبة آداب وفلسفة

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

نصوص فلسفية مختارة

متبوعة برسالة
المنقذ من الضّلال لأبي حامد الغزالي

السنة 2 ثانوي

للشعبة

آداب وفلسفة

إعداد وإشراف : جمال الدين بوقلي حسن

شارك في الإعداد : محمد إبلعيدن

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2008

elbassair.net

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

افتتاحية

من جملة النشاطات التي أقرَّها برنامج الفلسفة الرسمي ابتداء من هذه السنة الدراسية (2006-2007)، نشاط دراسة النصوص، وكذا نشاط التعامل مع الإنتاج الفلسفي. وهو الأمر الذي يستوجب منَّا أن نضع بين أيدي التلاميذ كتابا يجمع في قسمه الأول عددا من النصوص الفلسفية المختارة، وفي قسمه الثاني، إنتاجا فلسفيا هو كتاب «المنقذ من الضَّلال» لأبي حامد الغزالي. ومعنى هذا أن الكتاب يجمع بين نشاطين وهما معا يمثلان رُبع الحجم الساعي السنوي العام.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM



القسم الأول

نصوص فلسفية مختارة

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مقدمـــة

إن الغايات التي نستهدفها من تقديم هذه المجموعة من النصوص، وفي هذا القسم الأول من الكتاب، هي :

أولا، توفير المادة التي يحتاج إليها الأستاذ وتلامذتُه من أجل إنجاز النشاط التعلُّمي المخصَّص لدراسة النصوص الفلسفية، والتي تنطبق مع ما أقرَّه البرنامج الرسمي، والتي نقدمها على أساس المقاربة بالكفاءات، هذه الاستراتيجية البيداغوجية الجديدة.

ثانيا، التعامل المباشر مع مواقف الفلاسفة وطريقة تفكيرهم وفنِّ استدلالهم ولغتهم ومصطلحاتهم من غير وسائط، ونهلِ الاستشهادات من أصولها الأولى؛ وهو تعامل يمكِّن المتعلمَ من التعرُّف على نماذج من الإشكاليات والمشكلات الفلسفية كما طرحها أصحابها، وما ارتأوه لها من حلول، وما استعملوه في تدعيمها من أساليبِ البرهنة المنطقية.

ثالثا، ومن الغايات التي يحققها الكتاب أيضا، توفير النصوص للاستئناس فيها بموقفٍ أو رأيٍ لافْتِتاح درس، أو لعرض منطق أطروحةٍ ما أو منطقِ نقيضها أو منطقٍ يتجاوزها أو كاستشهاد لتدعيم تصوُّر من التصورات أو كمشروع لكتابة مقالة، كفرض أو كواجب منزلي، وكذا كمنطلقٍ لطرح مشكلة في بداية الدرس النظري أو توضيحٍ لجانب ما من جوانب الدرس.

وتجد المقالاتُ لدى المتعلِّمين في هذه النصوص، وكذا العروضُ والمناقشات التي يخوضونها، فائدةً عظمى كمادة للاستثمار في المجالات المعرفية والمنهجية واللغوية والعقلية. وعملية الاستثمار هاته، هي مصدرٌ لجملة من الكفاءات التي يسعى الإصلاح الجديد إلى تحقيقها.

رابعا، إن هذا الكتاب هو الأصل الضروري الذي تتوقف عليه دراسة النصوص التي تتجه رأسا إلى المتعلم و تضعه في وضعية مشكلة هي مشكلتُه، إذ يعتبرها وإيَّاه شغله الشاغل ومسألةً شخصية. ويتوصل من ذلك، إلى تحقيق كفاءات منها: التحكم في القراءة الفلسفية، والفهمُ السليم للقضية ، وخوضُ تجارب فعلية في فهم القضايا الفلسفية، وكشفُ طرق مواجهتها من طرف الفلاسفة والمفكرين، والاستماعُ إلى رأي الغير وتبنِّيه، أو رفعُه.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ليس من السهل قراءة نص فلسفي بالطريقة الموضوعية السليمة، فضلا عن فهمه. ولقد عانى في الاقتراب منه، الأستاذ والتلميذ على حد سواء؛ والسبب في ذلك، ليس كما يبدو من خلال هذا السياق، كونَ النص الفلسفي صعبا في حد ذاته، ولا يمكن أن يخوض فيه إلا الموهوبون والمحذَّرون وكبارُ الأساتذة، وإنما في :

- صعوبةِ الوقوف على النصوص المناسبة، وحسنِ اختيارها طبقا لمقاييس الأمانة العلمية والأدبية، فضلا عن المقاييس البيداغوجية؛
- وطولِ حجم النصوص، وغياب وحدة أفكارها، وعدم وضوح مَنطقها؛
- صعوبةِ قراءتها بسبب غياب شكل كلماتها، وقلة الاهتمام بتوزيع فقراتها وإبراز كلماتها أو عبارتها المفتاحية؛
- المبالغةِ في التركيز على القراءة وترجمة الكاتب بشكل يوهم بأن الحصة هي حصة مطالعة وسِيَر؛
- ضعفِ الاستعداد للاقتراب المنهجي من النص؛
- احتواءِ النصوص على مفردات غير مفهومة أو على جمل سقطت منها كلمة أو حرف وأحيانا، سطر كامل، مما يجعلنا أمام ألغاز غير قابلة للتفكيك.

لقد ضيعنا عددا من السنوات في تغييب النص، وعدم الاكتراث بفوائده، وكم هي عديدة. ليست دراسة النص حصة مطالعة ولا حصة عرضِ مراحل حياة صاحب النص، ولا تدريبا على طرح المشاكل، ولا على اتخاذ المواقف منها بقدر ما هي فهم المشاكل الفلسفية أولا، وكيف وقع حلها، ومن ثمة، كيف يتمكن المتعلم من استثمار تجارب المفكرين الفلسفية في مواجهة المواقف المحرجة، استثمارا لا ينصبُّ بالدرجة الأولى على أساليبهم في مواجهة المواقف، وإنما على المبادئ التي أقاموا عليها حلولهم. فيتمكن من تحقيق الكفاءات لا من تكديس المعارف والمعلومات.

وتذليلا للصعوبات، وقع حرصنا على اختيار :

النصوص القصيرة [1] على اختلاف تنوُّعها، التي تثير مشكلة وتعالجها في مسار منطقي، يصل المقدمات بنتائجها؛ والتي تتوفر على الخصوبة الفكرية، وتدعو المتعلم في مواقفه إلى الجدال، فيتبنى أطروحة أو يدحضها، والتي تكون قابلة لأن تستثمر في الدروس والعروض والمقالات.

1 - إلا عند الضرورة القصوى، وهي نادرة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ولقد دفعنا المنهج الإجرائي إلى اتخاذ عدد من الاعتبارات، منها:

وضع النص في سياق الوضعيات المشكلة، وذلك يتيسر باستدراج المتعلم إلى فهم النص فهما تاما، وجعله يدرك موقع النص من المشكلة، وموقع هاته المشكلة من الإشكالية. وعندئذ فقط، يُقحَم في جوٍّ من الانفعال بحيث ينتقل من حالة الهدوء العادي إلى حالة من الاضطراب العقلي، ومن ثمة، إلى المعاناة النفسية بلحمه ودمه. و لا يخفى الفرق بين الحالات الثلاث، أي بين التوازن والانزعاج العقلي من جهة، وبين هذا الانزعاج العقلي والقلق كمعاناة نفسية فعلية، من جهة أخرى؛ والفرق بين الانزعاج والقلق كالفرق بين الشعور بالمفارقات المنطقية والشعور الانفعالي الكامل الذي يستولي على المتعلم مع وعيه بحالته، ويدفعه حتما إلى البحث عن الخروج منها. وشأن ذلك شأن الفلسفة كشعور باضطراب العقل المجرد من جهة، والتفلسف كاضطراب نفسي واع يتغلغل في أعماق كامل الحياة الذهنية من جهة أخرى. ومما يؤكد بلوغ المتعلم هذه الحالة، اقتحامُه الأسئلةَ واعتبارُ القضية مسألةً تَعْنِيه هو وحده دون غيره، وأنها قضية شخصية. ومعنى هذا، أن من لا يفهم الوضعية المشكلة من المتعلمين كما يجب أن تُفهَم، لا يُرتجى منه فقط، أن يجيب عن الأسئلة التابعة للنص، بل ولا أن يدرك معنى القلق الفلسفي. وهناك ما يدعو هنا، إلى التمييز بين المشكلة العقلية والمشكلة الفكرية، الأولى أكثر تجردا من الثانية، والثانية أكثر التصاقا بالإنسان وأكثر تغلغلا في حياته الداخلية.

و لما كانت أولى خطوة لتحقيق هذا الغرض، هي توصيل الرسالة أي جعل المتعلم يتصل بالنص بدون خطأ، وفي شروط تضمن القراءة الواضحة وإمكانية الفهم السليم، وقع حرصنا على شكل النص بصورة كاملة؛ لأن القراءة الخاطئة لا يَسْتَتْبِعها إلا الخطأ في الفهم، وما يترتب عنه من عمليات التحليل والتقويم؛ والنص العربي بالقياس إلى غيره في اللغات الأخرى، يكاد يكون الوحيد الذي يعاني من هذه الظاهرة؛ ولهذا، فنحن إذ نُقبل على هذا الأسلوب في تقديم النص، فليس من أجل الشكل في حد ذاته، وإنما لنضمن للمتعلم الفهم. ولذا، فالهدف الأول هو توصيل النص ثم التأكيد على فهمه.

- وحرصا منا على توثيق الصلة بين الدروس والنصوص، قسَّمنا النصوص إلى مجموعات بقدر عدد الإشكاليات الواردة في المقرر، وهي ستٌّ ما عدا الإشكالية الخامسة التي تركناها لنشاط الإنتاج الفلسفي.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

- **وضعنا عنوانا على رأس كل نص لتعيين هُوِيَّته، ورقَّمناه ضمن التسلسل العام للكتاب،** وطرحنا بعده المشكلة الفلسفية التي يعالجها، وحصرناها داخل معقوفتين [ ].
- ثم قدمنا مَتْنه مشكولا حرصا منا على ضمان وصول النص للقارئ، وتيسيرا لفهمه كما مرَّ بنا، ثم رَقَمْناه بوضع مُجمل علامات الوصل والفصل، والقول والوقف، والتنصيص والتعقيف والتقويس، والاستفهام والتعجب والحذف.
- وعيَّنا رقما صغيرا لكل مفردة وعبارةٍ، قدَّرنا أنها تحتاج إلى شرح، ووضعنا بجانبه وفي أسفل الصفحة التعليق المناسب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التعرف على أسماء الفلاسفة والمفكرين الوارد ذكرُهم في النص، وعلى مذهبٍ أو اتجاه فلسفي، وكذا الأمرُ بالنسبة إلى عنوان مصدرٍ (كتاب) ارتأى صاحب النص ذكرَه.
- وجعلنا صاحب النص مجرد رقم يتبع التسلسل العام تأكيدا منا على أن الأمر لا يتعلق بترجمته بقدر ما يتعلق بدراسة نصه.
- ولقد توخينا الطريقة العلمية في استقاء ما يحتاج إليه القارئ من معلومات ترافق النص في أسفل الصفحة؛ وإذا اتسمت بعض التعليقات بشيء من الإطناب، فذلك بقصد إمداد القارئ بأقصى قدر ممكن من التوضيح والتوجيه، وبهدف ضمان تبليغ النص مفهوما مما يؤشر على أن التوغل في النص أصبح وشيك التحقيق.
- وراعينا تقنية الرجوع إلى السطر لضرورتي المعنى والمقتضيات البيداغوجية.
- وشفعنا النص بأسئلة متنوعة تناسب طبيعة المشكلة التي يطرحها، وتتجه بالتدريج، نحو تطبيق الطريقة العامة في تحليل النص، وفي إعداده كمشروع لتحرير مقالة؛ القصد منها، الحثُّ على النفاذ أكثر في أعماق النص وإقحام المتعلم أكثر فأكثر في التأمل، والتأكد بالتالي من تحقيق الكفاءات المطلوبة.

ولا يخفى أن المتعلم يكون في أثناء ممارسته لدراسة النصوص، قد أخذ الخطوات العامة التي تفيده في التحليل؛ ومن باب التذكير، نقول إن التعامل مع النص يستوجب المرور بالخطوات التالية:

بعد قراءته، نكتشف بنيته أو مراحله المتماسكة (أي نقوم بقراءة عمودية)، ثم نتجه إلى قراءة المضمون على ضوء هذه البنية العمودية (أي نقوم بقراءة أفقية)، فالتحكم في

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المشكلة التي يطرحها، لنتساءل أخيرا، عما إذا كان النص قد أجاب عن المشكلة: (بنعم، لا، نسبيا... كيف؟)، فنقوِّم الأطروحة أو النص من حيث الشكل والمضمون. ولا يخفى ما يتخلل كل خطوة من هذه الخطوات من عمليات إجرائية هامة.

و لقد أنهينا الكتاب بوضع فهرسين، أحدهما يتعلق بالمصادر المعول عليها، ولقد رتبنا عناوينها حسب التسلسل الأبجدي، ووضعنا آخِرَ كلِّ مصدر أرقاما بين معقوفتين[ ] إشارة منا، إلى النصوص التي استقيناها منها. ويتعلق الفهرس الثاني بعناوين النصوص المرتبة - مع ذكر أسماء أصحابها - حسب المجموعات التي تنتمي إليها، وحسب ترقيمها التسلسلي.

نسأل الله تعالى التوفيق والرعاية.

تلمسان ، يوم 14 - 06 - 2006

جمال الدين بوقلي حسن

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الإشكالية الأولى

هَلْ نَتَحَدَّثُ عَنْ مُشْكِلَةٍ أَوْ إِشْكَالِيّةٍ؟

1 - مفارقة المحامي

2 - مفارقة الحلاق

3 - موضوع الحرية

4 - حوار بين سقراط وبوليمارك

5 - الفلسفة قضية شخصية

6 - الفلسفة بين فتح المجهول وتعليق القضايا الكبرى

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مدخل

ما المشكلة وما الإشكالية، وما هي شروطهما في تحقيق غاياتهما ووظيفتهما؟ وإذا كان الناس يقولون لكل سؤال جواب، ولكل مشكلة حل، فهل في الفلسفة يصل البحث إلى نهايته؟ بتعبير آخر، هل يصح القول بأن لكل سؤال جوابا؟

ومتى يثير فينا السؤال الدهشة والإحراج؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

1 مفارقة المحامي

[أيُّهما يكسب الدعوى، الأستاذُ أم الطالب؟]

«لقد وافَق بروتاغُوراس [1] على أنْ يُعلِّمَ الحُقوقَ لأحد طَلَبته، أَثْلُوس [2] وهو طالِبٌ فقيرٌ، ولكنْ بِشرْط أن يَدفعَ له أتعابَه بمُجرَّد كسْبه لأُولى دَعْوَاهُ.

ولكنَّ أثلوس [بعد انْتِهاء دراساته]، اتَّجه إلى مُمارسة السياسة، ولم يَكُنْ يَوْمًا مُحامِيًا. ومع ذلك، طالَبَه بروتاغوراس، بأنْ يَقضِيَ دُيونَه؛ فاسْتَحضَره أمامَ المحاكِم.

وقرَّر بأنه في حالةِ ما إذا خَسر تلميذُه دَعواه، لَزِمَه الطاعةُ، وتعويضُ الدَّين. وبأنه في حالة ما إذا كَسَبَها، يَكُونُ قد فازَ في قَضيَّته الأولى، ومن ثمةَ، يكون حسب الاتفاقِ المُبْرَم، مُطالَبا بتَسْوِيَة الدَّين.

وتقرَّر لدى أثلوس بمِثل هذا الإفْحام [3]، أنه في حَالَة ما إذا كَسَبَ الدَّعوَى، تكُونُ المحْكَمةُ قَد فَصلَتْ لِصَالحه، ومن ثمةَ، لم يَكُنْ مُلزَما بِدَفْعِ أيِّ شيْءٍ. وإن هو خَسِرَها، لم يَكُنْ قد كَسَب أولى دعواه، ومن ثمة، لا يَلزَمُه شيْءٌ». [4]

من مفارقات بروتاغوراس، [5]

أسئلة

1 - حَدِّدْ طبيعة هذه المفارقة، وصُغها بأسلوبك.

2 - بيِّن صعوبة حل هذه المفارقة ولماذا؟

3 - لمُحاولة الإفلات من القلَق، جَرِّب احتمال التمييز بين أمرين:

أ - يَقْضِي القاضي بفوز أثلوس ويكون قد فاز بدعوته الأولى؛

ب - ثم يرفع بروتاغوراس دعوى جديدةً وبإمكانه أن يعوِّض في دَينه من غير خلق مفارقة جديدة.

---

1 - (Protagoras) أحد السفسطائين الإغريقيين، عاش بين 485 و 410 ق.م. كان يعلم قواعد النجاح في السياسة وكيف يكسب خصمه بكل الوسائل، باللعب بالالفاظ، بالاستعارات والكنايات الجذابة، بخداع المنطق وتمويه الحقيقة؛ اشتهر بعبارته: «الإنسان مقياسُ كل شيء». أخرج كتابا في الآلهة. (انظر، أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ط. 4، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1377 هـ/1958، ص، (94-108).

2 - (Euathlus) أحد الطلبة الذي لم تكن تهمُّه مهنة المحاماة.

3 - والإفحام هو الإقناع.

4 - وهي مفارقات متداولة، انظر، L'encyclopédie libre: De Wikipedia

5 - هو من ترجمنا له في التعليق، رقم: 1.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

2 مفارقة الحلاق

[هل يبقى بين التحليق واللاتحليق؟]

«افْترِضوا وجودَ مدينة ورَجُل و هو حَلَّاق، وأن كلَّ رَجُل في المدينة، يَعتني بنفسه مُحلِّقَ الذَّقَنِ [1]: بعضُهم يَحْلِقونَ أذْقَانَهم بأنفُسِهم، وبعضُهم الآخَرُ يَستَخدِمون من أجل ذلك، الحلاقَ.

ويَبْدُو مَعقُولاً، أن نتصوَّر أن الحلَّاق يَحْتَرِمُ القاعدةَ التاليةَ: وهي أنه مُلزَمٌ بتَحْليق أذْقانِ كُلِّ أولئك الذين لا يحْلقونه بأنفُسِهم. وهذا أمرٌ مُستحيلٌ: فهَل الحلاقُ يَحْلِقُ ذَقَنَهُ بِنفْسِه؟

وإذا كان الحلاقُ لا يَحْلِقُ ذقنَه، فلا بد له من احْتِرَامِ القاعدةِ، وهي أن يحْلِقَ ذقنه بنفسه.

فلو حلَقه بنفسه، لكان عاصِياً لأن القاعدةَ لا تخوِّل له أن يحْلِقَه». [2]

مُفارَقة مَنسُوبة لبَرْتَراند رسَل [3]

أسئلة

1 - حدِّد طبيعة هذه المفارقةِ، وصُغْها بأسلوبك.

2 - بيِّن صعوبةَ حلِّ هذه المفارقة ولماذا؟

3 - أليست القضيةُ في النهاية، قضية مجموعات؟ برهِنْ أو فنِّد هذا التساؤل.

---

1 - ذَقن وذِقن ج أذقان وذقون، المقصود به مجتمع اللحيين من أسفلهما؛ أي اللِّحية.

2 - و هي مفارقات متداولة، انظر، L'encyclopédie libre: De Wikipedia

3 - (Bertrand RUSSEL) عالم رياضي و فيلسوف بريطاني؛ عاش بين (1872- 1970)؛ اشتهر بمشاركته في تأسيس المنطق الرياضي. من أهم كتبه، مبادئ الرياضيات وقد شاركه فيه وايتهايد. وأسس نظرية تجريبية في المعرفة؛ حصل على جائزة نوبل في الأدب سنة 1950.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

3 موضوع الحرية

[هل هو مُشكِلةٌ أم إشكاليَّةٌ ؟]

«اتَّفقَ [المُعْتزِلةُ] [1] على أنَّ العَبْدَ قادرٌ خالقٌ لأفْعاله، خَيْرِها وشرِّها، مُستَحَقٌّ علي ما يَفعَلُ، ثَوَابًا و عِقابًا في الدَّارِ الآخرة؛ والربُّ تعالى مُنزَّهٌ [2] أنْ يُضافَ إليه شرٌّ وظُلْمٌ، و فِعلٌ هو كُفرٌ ومَعصيَةٌ، لأنه لو خَلقَ الظُّلمَ كان ظالمًا، كما لو خَلقَ العدلَ كان عادلا. واتَّفقُوا على أن الحَكِيمَ [3] لا يَفعَلُ إلا الصَّلاحَ و الخيْرَ، ويَجِبُ من حيْث الحكمةُ، رعايةُ مَصالِح العِبادِ.

[... وقال جَهْمُ بنُ صَفوان [4]] إنَّ الإنسانَ ليْس يَقْدِرُ على شيءٍ ولا يُوصَفُ بالاسْتِطاعة؛ وإنما هو مَجبورٌ [5] في أفْعاله، لا قُدْرَةَ له ولا إرادةَ ولا اختيارَ؛ وإنما يَخلُقُ اللهُ تعالى الأفعالَ فيه، على حَسَبِ ما يخلُقُ في سائرِ الجَمادات، ويَنسبُ إليه الأفعالَ مَجازًا، كما يَنسب إلى الجمادات: كما يُقال أَثْمَرَتِ الشجرةُ، وجَرى الماءُ، وتحرَّكَ الحجَرُ، وطلعتِ الشمسُ، وغرَبَتْ، وتغيَّمت السماءُ، وأمطرت، وأزْهَرَتِ الأرضُ، وأَنْبَتَت إلى غيرِ ذلك. والثَّوَابُ والعِقابُ جَبْرٌ كما أن الأفعالَ جبرٌ[...] وإذا ثَبَتَ الجبرُ، فالتَّكْليفُ أيضا، كان جَبْرا». [6]

الشهرستاني [7]

أسئلة

1 - اذكُر موقفَ المعتزلة من حرية المرء، وبيِّن البراهين التي يبرِّرون بها موقفهم.

2 - اذكُر موقفَ جَهْمِ بنِ صَفوانَ من حرية العبد، وبيِّن البراهين التي يبرر بها موقفه.

3 - بيِّن وجه الخلافَ بين الموقفين واحْكُم على القضية المطروحة: هل هي إشكالية لا حل لها، أو هي مشكلة؟ و إذا كانت مجرد مشكلة، اقترحْ رأيا ودافع عنه.

---

1 - فرقة من المفكرين الإسلاميين الذين اتخذوا العقل قياسا في تأويل القرآن والاجتهاد. و في قضية الحرية، يقولون بأن المرء حرٌّ في أفعاله، وعلى هذا الأساس، يحاسبه الله. من هؤلاء: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، والعلاف، والنظام، والجاحظ. انتشر صيتُهم شرقا وغربا؛ وأيّدهم في اتجاههم العقلاني المأمون الخليفةُ العباسي؛ عاشوا في القرنين الثامن والتاسع للميلاد.

2 - يتعالى عن السوء ويبقى مقدّسا بعيدا عن أعمال الشر.

3 - ويقصدون به الله الحكيم.

4 - يُنسب إليه مذهب الجهمية؛ قتل في فتنة خراسان في محاربة بني أمية سنة (745) م. وفي قضية الحرية، يرى أن العبد مسيَّر لا مخيَّرٌ لان الله خالقُ كلّ شيء.

5 - مضطر لا خيار له.

6 - الشَّهْرَسْتاني، الملل والنحل، ج. 1، مكتبة الحسين التجارية، ط. 1، 1368 هـ/ 1948 م. ص،59؛ 114.

7 - هو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الفيلسوف المتكلم على مذهب الأشعري. كان إماما مبرزا فقيها. تفرد في علم الكلام وصنف فيه كتبا كثيرة منها، نهاية الأقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، وكتاب المناهج؛ عاش بين1076 و 1153م.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

4 حوار بين سقراط[1] وبوليمارك[2]

[هل من العدل أن نساعد الشرير ؟]

« س : مَنْ تظُنُّهم أصدقاءَ؟ مَن يُبدون الأمانةَ للجَميع، أم مَن هُم حقيقةً أُمَناءُ، حتى وإنْ لم يُبْدُوها؟ وعلى هذا القِياس نَفْسه، حدِّد الأعْداءَ؟

ب : فمِنَ الطبيعيِّ أنْ نُحِبَّ كُلَّ مَن نَظُنُّهُم أُمَناءَ، ونَبْغَضَ مَن نَظُنُّهم خُبثاءَ.

س : أوَلا يُخْطِئُ الناسُ في ظنِّهم، بحيث يَظهرُ لهم كثيرٌ من الأُمَناءِ خائنين، والعكسُ بالعكسِ؟

ب : نَعَمْ إنهم يُخطِئونَ.

س : فيَصيرُ الصَّالحون أعداءً، والأشرارُ أصْدِقاءَ؟

ب : هذا لا شكَّ فيه.

س : ومع ذلك، فإنَّهم يُقدِّرون بأنه من العَدالة أن نُساعِدَ الشَّريرَ وأن نُؤذِيَ الصَّالحين؟

ب : يَبْدو ذلك.

س : ولكنَّ الصالحين عادِلون وغيرُ قادِرين على ارتكابِ الظلم؟

ب : هذا صحيحٌ.

س : وحَسْبَ استدلالِك، يكونُ مِنَ العَدْلِ، أن نُؤذيَ أولئك الذين لا يَظلِمون إطْلاقًا؟

ب : بالطَّبْعِ لا، يا سُقراط ! لأنَّ الاسْتِدلال يبدو فاسِدًا.

س : إذن، إنه لَمِنَ العدلِ أن نُؤْذِيَ الظالمين، ومن العدل أن نُساعِدَ العادِلين؟ [...]

ب : هذه الخاتمةُ تبدو لي أجملَ مما سَبقتْها.

---

1 - فيلسوف يونانيٌّ عاش بين (468-399 ق.م.)؛ كان يصاحب الناس ويُلقي دروسه في الأسواق وبين الجماعات بلغة يفهمها العوامُّ وبطريقة قوامُها السؤال والجواب. حارب تعاليم السفسطائية؛ فتحالف عليه الأعداء وأوقفوه أمام الحكام، واتُّهم بجحده للآلهة وزعزعة النظام؛ حُكم عليه بشرب السُّمّ في السجن، فشربَه ومات. ولم يخلِّفْ مؤلفات إلا تلامذة أمثال أفلاطون، صاحب كتاب الجمهورية.

2 - (Polémarque) هو أحد أصدقاء سقراط الذي كان يستقبله في بيت أبيه للنقاش.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

س: إذن، فَقِوامُ العَدالَةِ لدَى كثيرٍ ممَّن يُخطِئون في حُكْمِهم على النَّاسِ، يَا بُولِيمارْك، هو في إيذاءِ الأصدقاءِ - لأنهمُ اتَّخذوا من الأشْرارِ أصدقاءَ - وفي الإحْسانِ إلى الأعْداءِ - الَّذين هُم صالِحون فِعْلاً.

ب: ولكنْ في النِّهاية، يَبقى تحديدُنا للصَّديقِ والعدُوِّ غيرَ صَحيحٍ». [1]

أفلاطون [2]

أسئلة

1 - وَضِّحْ طبيعة المنطلقات التي يأخذ بها المتحاوران في إصدارهما للحكم ملاحظا هذه الكلمات: تظنهم؛ يبدون؛ نظنهم؛ يخطئون في ظنهم؛ يقدرون؛ الاستدلال يبدو فاسدا.

2 - بيِّنْ كيف أنه بالحوار، نكتشف الخطأ.

3 - لم يَنتَهِ الحوارُ بين سقراط وصاحبه؛ اكتب في ثلاثة أسطر، تصورا تحدد فيه مفهوم الصديق، تنهي به القضية المطروحة.

---

1 - أفلاطون، الجمهورية، - Platon, La République, Trad., R. BACOU, Garnier-Flammarion, 1966, L.I, P.32.

2 - هو فيلسوف إغريقي عاش بين (427-347 ق.م.)، تلميذ سقراط الأستاذ الذي لم يترك مكتوبا واحدا؛ استطاع أفلاطون أن يستنطقه ويعبر عن فلسفته، من خلال محاورته؛ ألف حوالي الثلاثين منها؛ و أسس فلسفة مثالية حيث يميز حقيقةَ عالَم المثل عن حقيقة العالم الحسي. وأقام - وكان قد أدرك الأربعين - أكاديميته التي كانت منفذا لانتشار الحكمة الأفلاطونية؛ معظم مؤلفاته صاغها في أسلوب حواري، منها: الدفاع، وبروتاغوراس، والجمهورية، وغورجياس، والمائدة، وفيدون، وطيماؤس، وكتاب النواميس.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

5 الفلسفة قضية شخصية

[كَيْف تَنطلق الفلسفةُ من الذَّات لِتَعْتنقَ العالَميَّة؟]

« مَنْ أرادَ - مَهْمَا كانَ - أنْ يكونَ بالفعلِ، فَيْلسوفا وَجَبَ عليه « مرَّة في حياته» أنه يَنْطَوِيَ [1] على نفْسه ويَنسحبَ داخلَهَا، ويحاول قلبَ كلِ العُلوم المقْبولَة [2] حتىَّ الآنَ، ساعيًا إلى إعادة بنائها. إنَّ الفَلْسَفةَ أو قَل الحكمةَ - هي إنْ شئتُم، قَضيَّةُ الفيلسوفِ الشَّخصيَّةُ [3]. يَجبُ أن تَتأسَّسَ باعْتبارها لَهُ هو، وحكمتَه هو، وعلمَه هو الذي - على الرَّغم من نُزوعه إلى العالميَّة [4] - اكْتَسَبَهُ هو، وهو الذي يجبُ أن يكونَ قادرا على تبْريره مُنذ الأصْل، وكذاَ الأمرُ بالنِّسبة إلى كلِ مرحلة من مراحله، مُعتمدا في ذلك، على حُدوسه [5] المُطلَقة. وبما أنني قرَّرتُ النزوعَ نحو هذه الغايَة - وهو قرارٌ يَنْفرِدُ وَحدَه، بالقُدرَة على أنْ يَأخُذَني إلى الحياة و إلى التطوُّر الفلسفيِّ - نَذرْتُ عَلى نَفْسي الفَقرَ فيما يَتعلَّقُ بالمعرفَة. وعندَئذ، أَضْحَى من الواضح أنه لا بدَّ لي من أنْ أسألَ نفْسي، كيف أَسْتطيعُ أنْ أجدَ مَنهجًا قادرا على مَنْحي الخُطةَ التي اتَّبعُهَا للوُصُول إلى المعْرفة الحَقَّة؟ ». [6]

إ. هسرل [7]

أسئلة

1 - ميِّز بين التفلسف الذي ينطلق من أعماق الفيلسوف والفلسفة كإنتاج فكري يكتب ويقرأ ويفهم.

2 - بيِّن الطابَع الذاتيَّ للتفلسف القائم على الحدس، والطابَعَ الموضوعي للفلسفة القائمة على العقل والإقناع المنطقي.

3 - للانتقال من الانفعال إلى التفكير، لا بد من منهجية تساعد المتفلسف على التعبير عن معاناته وخواطره؛ اِجْتَهِدْ في وصف هذه المنهجية مُستوْحِيا معطياتك من اللغة

---

1 - عاد إلى ذاته وغاص فيها واستبطنها متجاهلا ما يجري حوله.

2 - لأن العلوم مهما بلغت من دقة، فإن حقائقها نسبية، وللفيلسوف القدرة على أن يقوّمها تقويما نقديا وفلسفيا، ومن ثمة، يسعى إلى إعادة بنائها أو تهذيبها.

3 - لأن الفيلسوف يعيش بكل جوارحه، بلحمه ودمه، المشكلات الفلسفية التي من شأنها أن تثير الدهشة والإحراج و القلق.

4 - يعتنق كل إنسان من حيث إنه ينفعل للقضايا الفكرية الكبرى التي تحدد مصير البشرية.

5 - حدوس و أحداس جمع حدس؛ و منه الحدس المطلق الذي لا يتقيد بقواعد منطقية ولا ضوابط اجتماعية: هو نوع من الإلهام أو الوحي الذي ينزل على الإنسان، فيجعله يكتشف معارف لا يقوى على إنتاجها العقل ولا التجربة؛ فهو معرفة مباشرة من غير وسائط.

6 - إ.هسرل، تأملات ديكارتية، Husserl, Méditations cartésiennes, trad. G. Peiffer & E. Lévinas,éd. Vrin،

7 - هو إدموند هسرل، فيلسوف ألماني عاش بين (1859-1938). قادته أبحاثه إلى التساؤل حول العلاقات بين الحياة و الإدراك واللغة. أسس مذهب الظواهرية الذي يهتم بوصف حياة الشعور من أجل الوقوف على ماهية الأشياء ومن ثمة، حقيقة العالم والإنسان. من مؤلفاته، أفكار رئيسية من أجل الظواهرية؛ وتأملات ديكارتية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل التخلُّفُ في الفلسفة هو بالضرورة تخلُّفٌ في العِلم؟]

مثلا، كأداة للتواصل والمنطق كآلة للتفكير.

«إنَّ تأخُّرَنا العِلميَّ مِن تأخُّرِنَا العقليِّ و الفلسفِيِّ، ولا بدَّ مِنَ الانْكِبابِ على الفلسفةِ والعُلوم العَقليَّةِ [1] لإنجابِ المُفكرينَ والعُلماءِ.

إن عُلومَ [2] اليُونانِ، لم تَدخُلْ أرضَ الخِلافةِ [3] لوْ لمْ تَدخُلْها فلسفةُ اليونان وعَقْلِيَّةُ [4] اليونان. كما أن علومَ العَرَبِ، لم تدخل أورُوبا اللاَّتينيَّةَ لو لم تَدخُلْها فلسفةُ العرب وعقليةُ العرب [5]. وكذلك، لا أمَلَ لِعلوم أوروبا أن تَغزُوَ بلادَنا اليومَ، ما لم نَتقَبَّلْ الفلسفةَ الأوروبيةَ وطريقةَ التَّفكير الأوروبيِّ، وما ذلك إلا لأن الفلسفةَ، إنما هي أساسُ العِلم، ولأنه ما من ثَوْرةٍ اجتماعية أو دينية أو سياسيةٍ قامَت، إلا وكان وراءَها فلسفةٌ ما. فما التاريخُ إلا تاريخُ فلسفاتٍ وإيديولوجياتٍ [6] وأفكارٍ، وما الفلسفةُ إلا فتحٌ للمَجْهول، وسيطرةٌ على القدَرِ [7].

إن الفيلسوفَ لا يُقدِّم لنا ـ مهما بَلَغَ من سَدادِ الرأي ونُفوذِ البَصيرَة وشُمول النظَّرِ ـ حُلولا نهائيَّةً للقضايا الكُبرى التي تشغَلُ بَالَ الإنسان: أصله ومصيره وقدَره والغاية من وُجودِه؛ فكل ما يُقدِّمُه، إنما هي حُلولٌ مُؤقَّتَةٌ نِسْبِيَّةٌ تختلِفُ باخْتلاف الزَّمانِ والمكان، والبيئة والعصرِ، والمرحلة التاريخية والاجتماعية والثقافية والحضارية؛ وهذا سرُّ الفلسفة ولُبابُها، وفيه تَنْحَصِرُ مُهمَّتُها في الحياة».

عبد الرحمن مَرْحَبا [9]

---

1 - العلوم العقلية هي بوجه أخص، العلوم الرياضية والمنطقية.

2 - لا نأخذ معنى العلوم في هذا السياق، بالمعنى المتعارف عليه في عهد النهضة الأوروبية، وذلك لأن الفلسفة كانت قبل استقلال العلوم، تضم كل المعارف من منطق، وإلهيات أو ما بعد الطبيعة، والطبيعيات، والأخلاق، والسياسة، والنفس.

3 - المقصود بالخلافة، الخلافة الإسلامية.

4 - عقلية اليونان هي ثقافتهم و ما تنطوي عليه من فنون وأدب وميثولوجيا.

5 - لأن الأرضية التي كانت تقوم عليها العلوم هي التمثلات الفلسفية والدينية.

6 - هي تمثلات فكرية أو دينية أو سياسية تعبر عن التوجهات الكبرى لعقلية وثقافة مجتمع أو أمة مثل القوميات والمذاهب الروحية.

7 - أي سيطرة على الامر الواقع، وكذا فهم القدر الرباني بما يرافقه من أسباب ونواميس.

8 - عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ط.، 2، عويدات، بيروت1981، ص 39.

9 - هو محمد عبد الرحمن مرحبا، مفكر لبناني معاصر، تخرج من جامعة باريس، اهتم بالفلسفة وتاريخها، بقدر ما اهتم بالنظريات الكبرى التي يلتقي فيها الفكر العلمي بالفكر الفلسفي. من مؤلفاته، قبل أن يتفلسف الإنسان، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، النظرية النسبية لآينشطاين، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

1 - حرِّرْ فِقرةً في أربعة أسطر، تُوضِّح فيها المشكلة التي يطرحها النص.

2 - اذكر (وهذا اجتهادٌ منك) شيئا من الأسباب التي أدت بالكاتب إلى تقديم هذا النوع من الخطاب.

3 - لَخِّصْ بأمانة، الموقفَ الذي يعبر عنه الكاتب ردا على المشكلة المطروحة، مركِّزا على الحجج المنطقية التي يقوم عليها.

4 - تُريدُ لِبلادِك التقدُّمَ العلمي والتكنولوجي؛ بيِّن على ضوء النص، كيف نتعامل مع الفلسفات المختلفة التي تأتينا من الحضارة الأوروبية؟

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الإشكالية الثانية

في التفكير المنطقي

كيف يمكن للفكر أن ينطبق مع نفسه، وكيف يمكنه أن ينطبق مع الواقع؟

7 - الحكم المنطقي

8 - أنواع المنافاة

9 - المنطق تحليل فكري لقواعد اللغة

10 - الشمول والتضمن

11 - المنطق والرياضيات

12 - المصادرات

13 - العقل المنطقي ومشاربه الفلسفية

14 - الفلسفة من وراء المنطق

15 - انطباق الفكر مع نفسه ومع الواقع

16 - مشكلة الاستقراء

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مدخل

متى يكون العقلُ منطقيا، بانطباقه مع نفسه أو بانطباقه مع الواقع، أو بانطباقه معهما، على حد سواء؟ ومن أين يجب أن يَنطلقَ: من الحقائق الأولية أو من الوقائع أو منهما معا؟ كيف يتعامل العقل مع الضروريات والمستحيلات، وكيف يتعامل مع الممكنات و الجائزات؟ ولإمكان حصول الحوار مع الغير، ماذا يجب من شروط؟ لماذا يَفترض أيُّ نقاش مسبقا وأي خطاب مقنع، تعريفَ كل ما نتحدث عنه من حدود وتصورات، والحفاظَ على هذا التعريف في أثناء البرهنة؟ و هل هذا التعريفُ شرط أساسي لضمان انطباق الفكر مع نفسه؟ و هل المنطق هو دائما، منطق الحدود والتصورات؟ ألا يمكن الحديث عن منطق العلاقات المجردة، وهو منطق ليس فيه تصورات؟ وبتعبير آخر، هل التصورات ضرورية لبناء تفكير منطقي؟ ألا يحافظ التفكير على صفته المنطقية أيضا، إن هو تخلى عن هذه التصورات، ليقوم على علاقات مجردة؟ وهل يمكن دَمْجُ المتناقضات في مستوى منطقيٍّ سامٍ حيث تلتقي دون أن تمتزج؟

وبتعبير آخر، متى ينطبق الفكر مع نفسه؟ وهل حصول هذا الانطباق كافٍ لضمان وفاق جميع العقول؟ وهل يكفي أن نعرف قواعد المنطق الصوري، حتى نكون في مأمن من الأخطاء؟

وكيف ينطبق الفكر مع الواقع؟ وكيف يصل إلى هذا الانطباق، إذا عرفنا أنه قبل الخوض في دراسة الطبيعة، يأخذ بأحكام مسبقة غير مؤكدة علميا؟ كيف يستطيع بهذا الأسلوب المنطقي، أن يضمن لنا الوصول إلى الحقيقة؟ وهل الانطباق مع الواقع في هذه الحالة، يمنع الفكرَ من أن ينطبق مع نفسه أيضا؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

7 الحكم المنطقي

[هل يَتِمُّ التصديق بإدراك طبيعة العلاقة بين الحدين أو بإدراك نِسْبتها ؟]

« الحُكْمُ مِنَ الوجْهَةِ المَنطقيَّة [1] هُو التَّصْديقُ العَقليُّ بوُجُودِ نِسْبَة [2] مَا بَيْنَ المَعَاني، أو إيجَادُ عَلاقَة بين شَيْئَيْن والتصْديقُ بها. ويُعَبَّرُ عَنه بقَوْلٍ يُسَمَّى قَضيَّةً مُؤَلَّفةً مِن حَدَّيْن، يُدْعَى الأوَّلُ منهُما بـ« مَوْضوع القضيَّة»، والثَّاني بـ« مَحْمُول القضيَّة»؛ وبَينهُما رَابطَةٌ تُسَمَّى الأداةُ [3]، يَجبُ وُجُودُهَا في اللُّغات التحليليَّة كالفَرَنسيَّة، والإنجليزيَّة [...]. أمَّا في اللغاتِ التَّرْكيبيَّة [4] كالعَرَبيَّة، فَتَتمَثَّلُ بالضَّميرِ (هُوَ) أو (هِيَ)، وَ سِيَّانِ إنْ وُجدَتْ أو حُذفتْ [5] [...].

إنَّ النِسْبَةَ بَين الحَدَّيْن التي يُصَدِّقُ بها العَقلُ، تكُونُ على أنْوَاع مُختلفة: منها نسْبَةُ المُساوَاة، ومِثالُ ذلك اللَّيْلُ يُساوي النَّهارَ في الرَّبيع، ونِسْبَةُ المُشابَهَةِ، كالليلِ يُشْبِهُ المَوْتَ بالسُّكون، ونِسبةُ التَّتابُع، كالليْل يَتبَعُ النَّهارَ، ونِسبَةُ الغَائيَّة، كالليْل غَايَةُ المُتعَب، ونِسبةُ السَّبَبيَّة، كدَوَران الأرْض يُسَبِّبُ الليلَ والنهارَ [6]. ولكنَّ أصْحَابَ المَنطقِ الصُّوريِّ في العُصُورِ الوُسْطَى، قَدْ أرْجَعُوا كلَّ هذه النِسَب إلى نِسْبةٍ واحِدة، وهِيَ التي تَتَألَّفُ مِن مَوْضوع ومَحمُولٍ ورَابطة، هي فِعْلُ (الكَوْنِ *être*) أو (هو)، وتُسمَّى بِنسبةِ التَّوافُقِ (*Convenance*) أوْ

---

1 - وهذا يعني أن هناك أكثر من وجهة يمكن أن ينظر منها، إذا تعلق الأمر بالحديث عن الحكم، ومن ذلك: أن الحكم وسائر العمليات المنطقية في رأي أنصار النزعة النفسانية (Psychologisme)، هي في واقعها ظواهر نفسية خالصة. إننا، نُصدر في رأيهم، أحكاما كأشخاص لنا إرادة و انتباه وميول و أهواء، و تعترينا انفعالات مختلفة من ألم ولذة وهيجان؛ والحكم في رأي النزعة الاجتماعية (Sociologisme)، عملية يكتسبها الفرد داخل الوسط الاجتماعي، وليس في جوهره، مسألة فردية أو نفسية ؛ والناس لكي يتناقشوا فيما بينهم ويحكموا على الصواب والخطأ، لا بد لهم من أن يتفقوا على أوضاع خاصة ومبادئ معينة يأخذون بها وينظمون سلوكهم على أساسها، لهذا فالحكم من هذه الزاوية، ظاهرة اجتماعية.

2 - إن الحقيقة التي ينشدها الحكم من وجهة النظر المنطقية، حقيقة مستقلة عن الأفراد سواء كانوا في جماعة أو خَلَوْا بأنفسهم. فالحكم إذا قيل مرة، يصدق إلى الأبد، لأنه في ذاته حقيقة كلية أزلية أبدية تتعدى الحدود الزمنية و المكانية و النفسية. والنسبة التي يصدق بوجودها العقل، هي ظاهرة مجردة لا علاقة لها بالحالة النفسية التي يجتازها الإنسان ولا بالوضعية الاجتماعية التي يعيش فيها. وهذه العلاقة تحكمها نسب الكم والكيف (الكلي والجزئي، والإيجاب والسلب).

3 - والأداة رابط مضمر في اللغة العربية.

4 - عندما نقول: الجهل هو عدوُّنا، فإننا هنا نقدم تعبيرا تحليليا؛ وعندما نقول: الجهل عدوُّنا حيث نستغني عن الرابطة (الزائدة)، نقدم تعبيرا تركيبيا.

5 - كقولنا: المصالحة (هي) قضية الجميع أو المصالحة قضية الجميع، ليس الشقاق (هو) ضالة المواطن أو ليس الشقاق ضالة المواطن.

6 - لا تنحصر نسبة العلاقات بين الحدين في هذه الأنواع المذكورة؛ فعددها يقدر بعدد الأدوار المنطقية التي تلعبها الحروف أو الأدوات اللغوية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

عَدَم التوافُقِ *(Disconvenance)* أو نسبةِ الاندراجِ أو الاستغرَاقِ [1]، وذلك باسْتبدالِ الأفْعالِ التي تُعَبِّرُ عن النسبِ السَّابقةِ المُختلفةِ من تساوٍ وتَشَابُهٍ وغَائيَّةٍ بفِعْلِ (الكَوْنِ [2]) في اللغاتِ الأجْنبيَّةِ، وبـ(هو) في اللغةِ العَرَبيَّةِ، فنَقُولُ عِندَئِذٍ : اللَّيْلُ هو مُسَاوٍ للنَّهارِ، واللَّيلُ هو مُشابِهٌ لِلمَوْتِ، واللَّيلُ هو تَابِعٌ للنهارِ. وتُشبَّهُ هذه العَمليَّةُ في المَنطِقِ، بعَمَليةِ تَوْحِيدِ المَخارِجِ في الحِسابِ.

ولكنْ كمَا لاحَظ فَانْدرِيَس [3] *(Vandryès)*، أنَّ أكثرَ العُلماءِ الآنَ، قَلَّمَا يَسْتنِدُون إلى هذا المَفهومِ السَّكُولاسْتِيكِي [4]، ويَرَوْنَ مِنَ الأفْضَلِ، أنْ نُرْجِعَ هذه النِسبَ المُختلفةَ إلى طَبيعَتِها [5] الأصْلِيَّةِ، ونُعْطِي لِكلٍّ مِنها اسْتِقلالَها الخَاصَّ، لأنَّ ذلك أدْعَى إلى الدِّقَّةِ». [6]

وفيق العظمة [7]

أسئلة

1 - وضِّح معنى الحكم بإرجاعه إلى منطق القضايا.

2 - بيِّن كيف أن أنواع العلاقات بين الحدود تتوقف على الرابطة في شكلها المضمر أو المعلن.

---

1 - ومنطق أرسطو ممثلا في القياس يُرجع كل شيء إلى الاستغراق.

2 - وهذا من أسرار المنطق الصوري الأرسطي؛ بين الموضوع والمحمول رابطة، يعبر عنها بفعل الكينونة الذي يدل على مجرد وجود. فحينما نقول في اللغة الفرنسية (est L'âme) أو (الروح هي) نقصد من هذا إثبات أو التعبير عن مجرد وجود الروح، وأن الروح ليست فكرة خيالية أو تصورا صوفيا، بل هو حقيقة موجودة فعلا.

3 - (Joseph Vandryès, Le langage, Albin Michel, 1968 (1ère Edit. en 1923).

4 - مفهوم متعلق بمذاهب فلسفية أو لاهوتية تابعة للقرون الوسطى وهي مذاهب مؤسسة على التقليد الأرسطي.

5 - أي طبيعتها الارسطية.

6 - وفيق العظمة، علم النفس الحديث، الطبعة الثانية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ص، (257-258).

7 - مفكر عربي سوري معاصر، وأستاذ فلسفة بدمشق، اهتم بالدراسات الفلسفية والسيكولوجية؛ أشهر ما وصلنا من مؤلفاته، علم النفس الحديث الذي طبع مرتين إلى غاية 1951.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[مَتى لا يمكنُ الاجتِماعُ في علم المنطق، بين طرفين؟]

« وأنواعُ المُنافاةِ [1] على ما تقرَّر في عِلْم المنطِقِ أربعةٌ: تَنافي النَّقيضَيْنِ، وتَنافي العَدَم والمَلَكَة، وتنافي الضِّدَّيْن، وتنافي المُتَضايِفَيْن. فكلُّ نوعٍ من هذه الأنواع الأربعةِ لا يُمكِنُ الاجْتِماعُ فيه بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ:

أما النَّقيضانِ، فَهُما ثُبوتُ أمرٍ ونَفيُه، كَثُبوت الحَرَكة ونفيها [2]؛

وأما العَدَمُ والمَلَكَةُ، فَهُما ثُبوتُ أَمْرٍ أو نفيُه عَمَّا مِنْ شَأْنِه أن يَتَّصِف به [3] كالبَصَر والعَمَى مثلا؛ فالبصَرُ وُجوديٌّ [4] وهو الملكة، والعَمَى نفيُه عمَّا من شأنه أن يَتَّصِفَ به؛ ولهذا، لا يُقالُ لِلحَائِط : أَعْمَى؛ وبهذا، فارَقَ هذا النوعُ النَّقيضَيْنِ؛ فإنَّ كلاً مِنَ النَّوْعَيْنِ، وإنْ كان ثُبوتَ أمْرٍ ونَفْيَهُ، لكنَّ النَّفيَ في تَقابُلِ العَدَمِ والمَلَكَةِ، مُقَيَّدٌ بِنَفْيِ المَلَكَةِ عَمَّا من شأنِه أن يَتَّصِفَ بها، وفي النَّقيضَيْنِ لا يَتقيَّدُ بذلك؛

وأمَّا الضِّدَّان، فهُما المَعْنَيَان الوُجوديان اللَّذان بَيْنَهُما غايةُ الخِلاف، ولا تَتوقَّفُ عَقْلِيَّةُ أحدِهما على عقلية [5] الآخَرِ، مِثْلُهُما : البَيَاضُ والسَّوَادُ؛ ومرادُنا بِغايَةِ الخِلاف، التَّنافي بينهُما بحيْثُ لا يَصِحُّ اجتماعُهما، واحتُرزَ بذلك من البَياضِ مع الحَرَكةِ مثلا، فإنَّهُما أمْران وُجوديَّان مختلِفان في الحَقيقَة، لكنْ ليس بينهُما غايةُ الخِلافِ الَّتي هِيَ التَّنافِي لِصِحَّةِ اجتماعِهما [6]، إذْ يُمْكِنُ أن يَكُونَ المحلُّ الواحِدُ مُتَحَرِّكًا أبْيَضَ؛

---

1 - حالة يمتنع فيها اجتماع حدين أو طرفين.

2 - كان نقول: الحركة واللاحركة، المدنية واللامدنية.

3 - والذي يتصف به هو «المحل» أي القابل لامر أو نفيه، كالإنسان الحي أو الحيوان.

4 - وجودي أي له وجود في الخارج و ليس اعتباريا.

5 - عقلية الآخر أي الاعتبار المعنوي للآخر، فلا علاقة بين البياض والسواد بحيث يستوجب وجود أحدهما وجود الآخر. لا تضادَّ بين ذاتين ولا بين ذات ومعنى. فالوجوديان الضدان يمكن رؤيتهما.

6 - اجتماعهما أي اتصاف محل واحد بهما.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وأمَّا المُتضايِفان، فَهُمَا الأمْرَانِ الوُجودِيَانِ اللَّذان بَيْنَهُمَا غايةُ الخِلاف، وتَتَوَقَّفُ عَقْلِيَّةُ أحَدِهِمَا عَلى عَقْلِيَّةِ الآخَرِ، كالأبُوَّة والبُنُوَّة، مَثَلاً؛ والمُرَادُ بالوُجُودِ في المُتَضَايِفَيْنِ أنَّ كُلاً مِنهُما لَيْسَ مَعْنَاهُ عَدَمَ كذا، لا أنَّهُما مَوْجُودَانِ في الخَارِجِ، إذْ مِنَ المَعْلُومِ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ أنَّ الأُبُوَّةَ والبُنُوَّةَ أمْرَانِ اعْتِبارِيَانِ [1] لا وُجُودَ لَهُما في الخَارِجِ عَنِ الذِّهْنِ». [2]

ابن يوسف السنوسي [3]

أسئلة

1 - ميِّز بين النَّقيضين في أمثلة، و بيِّن لماذا لا يجتمعان.

2 - انطلاقا من أمثلة حول الضَّدين، كالبياض والسواد والحلال والحرام، وكذا حول النقيضين، بيِّن بأنه لا واسطة بين النقيضين، وأن الواسطة أو المسافة بين الضدين هي على العكس من ذلك، واسعة.

3 - اذكر أنواعا من المنافاة أو التنافر على ضوء ما دَرسْتَ، واشرحها.

---

1 - لا نستطيع أمام شخصين الحكم على أن بينهما تضايفا، بحيث نقرر بأن هذا أب و ذاك ابنُه؛ فلا بد من علم بذلك.

2 - شرح أم البراهين (وتسمى أيضا، العقيدة الصغرى) عن حاشية محمد الدسوقي، المطبعة الميمنية، مصر، 312هـ، ص، (107-108)

3 - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (1428-1490 م.)، عالم التوحيد؛ ولد بتلمسان وتوفي بها؛ آمن بالعقل والقلب معا، وكان على مذهب الأشعري؛ ترك ما يقارب الستين كتابا. أهم مؤلفاته عقائده الرباعية (الكبرى، والوسطى، والصغرى، وصغرى الصغرى)، وله المقدمات، والمختصر في علم المنطق، وله كتاب مجربات في الطب.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

9 المنطق تحليل فكري لقواعد اللغة

[في أية نقطة، يلتقي المنطقُ باللغة مع العلم بأن أحدَهما يرتبط بالفكر والآخر باللسان؟]

«يُمكنُ أنْ يَتقَدَّمَ إلينا [المنطقُ] كَتحْليلٍ فِكريٍّ لِقوَاعِدِ اللُّغةِ؛ ونَحْنُ هُنا، لا نَقصِدُ بهذا، ذلك الجُزْءَ من القواعِدِ الذي نُسمِّيه بالمُفرَداتِ والصَّرْفِ (مع الإشارَةِ إلى أنَّ الصَّرْفَ لَيْسَ مَنقُوصَ الفائِدةِ من حيْثُ اعْتِبارُهُ كدِراسَةٍ لِلإعْرَابِ والشَّكلِ اللَّذيْنِ يَحْملان دَلالةَ العَلاقات، وعلى هذا الأسَاسِ، يُعيِّنان السَّبيلَ الذي به نَصِلُ إلى الحَقِيقةِ)، وإنما نَقصِدُ به ذلك الجُزْءَ الآخَرَ وهو النَّحْوُ [1]. فالمَنطِقُ العامُّ يَكونُ - ابتِداءً - فلسَفةً للنحْوِ، أيْ تَفكِيرًا في التَّرْكيباتِ التي تُعبِّرُ عَنْ عَمَلٍ مُنحَصِرٍ في تَحْقِيقاتٍ، وبوَجْهٍ أخَصَّ، في الكلِماتِ [2] التي تُعيِّنُ المَراحِلَ الأسَاسيَّةَ لهذا العَمَلِ [ومِن هَذه الكلِمَاتِ]: الوَاوُ، ولكِنْ، و لأنَّ، وإنْ كَانَ، إلخ. فالمَنطِقُ العَامُّ يَكُونُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، تَحْلِيلاً فِكريًّا يَهْتَمُّ بِالرَّوَابِطِ النَّسَقِيَّةِ والتَّوَابِعِ. [3]

هذا، وكلِمَةُ مَنطِقٍ [4]، تَعْني أصْلا، في اللغةِ اليُونانيَّةِ، اللغةَ، وخَاصَّةً مِنها الجُزءَ الحَيَويَّ فيها الذي يُقَنِّنُها النَّحْوُ في قَوَاعِدَ. ومِن هُنا، ومِن هَذا الاسْتِعْمَالِ الأصْلِيِّ، تُشْتَقُّ مَعَانِي الاسْتِدْلالِ، والعَلاقَةِ، والحِسَابِ، والطَّرِيقَةِ، والعِلْمِ.

---

1 - يقول الفارابي: «صناعة [المنطق] تناسب صناعة النحو. ذلك أن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ. فكلما يعطيناه علم النحو من القوانين في الألفاظ،فإن علم المنطق يعطينا نظائره في المعقولات». (الفارابي، إحصاء العلوم، دار الفكر العربي، القاهرة، ص، 55).

2 - والمقصود بالكلمات الأدواتِ التي تحدد العلاقة المنطقية بين مفهوم وآخر أو بين قضية وأخرى نحو (لكنْ) و(لكنَّ) و(لوْ)؛ فـ(لكن المخففة) قد تكون أداة عطف أو استثناء؛ و(لكنَّ الثقيلة) قد تتشبه بالفعل، وقد تفيد الاستدراك أو التوكيد؛ و(لو) قد توظف للشرط أو لتغيير الشرط أو للامتناع أو للتمني أو للتقليل.

3 - لقد تقرر لدى علماء المنطق وعلماء النفس المعاصرين أن اللغة هي الفكر، ولا يَستبعد علماء اللغة العرب بأن صفة الناطق لدى الإنسان تجمع بين النطق والمنطق. فالقواعد النحوية مثلا، التي تضبط اللغة، تشارك بالضرورة وعلى حد سواء، في تقويم اللسان وتحصينه من اللحن والخطأ. ففي اللغة توجد الفاظ وحدود نسميها في علم المنطق أفكارا أو تصورات؛ وهي عناصر تقوم بينها علاقات مختلفة تكشف عنها التراكيب التي نسميها قضايا واستنباطات، والتي هي أيضا قضايا، وهي علاقات محدودة في عددها.

4 - ولم يكن علماء العرب في تعريفهم للإنسان بانه حيوان ناطق، مخطئين في الإحاطة الجامعة المانعة بالخاصة الجوهرية التي يتميز بها هذا الإنسان.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وبالإمْكانِ الحُصُولُ على نَتيجَةٍ أحْسَنَ، إنِ اتَّجَهْنا إلى دِرَاسَةِ اللغة فِي أثْناءِ صَميم وَظِيفَتِهَا [1]، وفِي أثْناءِ صَميم عَمَلِها البَحْثِيِّ، يَعْني إنْ فَكَّرْنا، لَيْس في قَواعِدِ اللغةِ المَألُوفَةِ والعَمَلِيَّةِ وهِي مُنكَبَّةٌ أكثَرَ على الفِعلِ مِنه على الحَقيقةِ، وعلى النجَّاعَةِ التَّطبيقِيَّةِ منْها عَلى القِيمَةِ العَقْلِيَّةِ، وإنَّما لَوْ فكَّرْنا فِي لُغةِ البَرْهَنَةِ والمُحَاجَّةِ والتَّفنيدِ أيْ في مَا كانَ يُسَمِّيه اليُونانِيُّونَ بالجَدَلِ [2]. وهَذا اللَّفظُ يُشيرُ إلى نَوْعٍ خاصٍّ مِن الحِوار، حِوارٍ حَكيمٍ ونَبيهٍ حيْثُ يَشتغِلُ المُتحَاوِرَان مَعًا مِن أجْلِ بِناءِ حَقيقةٍ يَضمَنُ قِيمَتَها اتِّفاقُهُما». [3]

ب. مُويِي [4]

أسئلة

1 - بيِّن مدى احتياج التفكير المنطقي إلى قواعد اللغة معتمدا على النص وعلى أمثلة حية.

2 - حدِّد موقع المنطق الصوري من اللغة عن طريق تحليل القضايا وعلاقتها فيما بينها (استأنِسْ بالقياس).

3 - إن المفاهيم التي يستخدمها المنطق الصوري، ليست ذات مضامين واحدة نظرا إلى اختلاف الثقافات؛ وليس من الضروري أن يأخذ بها كل واحد لأنها ذات شحنة فلسفية معينة؛ حلل هذا الكلام.

---

1 - فالمناطقة لا ينظرون إلى اللغة من حيث وظيفتها الاجتماعية أو النفسية؛ إنهم يهتمون بما في الكلام من علاقات تربط بين الحدود والمفاهيم و فيما بين القضايا.

2 - إن الطريقة الجدلية أسسها سقراط في القرن الخامس قبل الميلاد. وهي طريقة المحاورات عند تلميذه أفلاطون (القرن الرابع). ولقد حاول أرسطو تلميذ أفلاطون أن يستخلص منها القواعد، وكان في نفس الوقت يحاول تحليل الآليات الأكثر عموما واستعمالا للغة المشتركة.[...]

3 - بول مويي، المنطق وفلسفة العلوم، (Paul Mouy, Logique, 2ème édit., Librairie Hachette. 1952, P. 18-19).

4 - بول مويي، أستاذ فلسفة في التعليم الثانوي، اهتم بعلم البيداغوجيا ومهر في ديداكتيكا تدريس الفلسفة بفرنسا، توفي في أواخر النصف الأول من القرن الماضي، من مؤلفاته، المنطق وفلسفة العلوم (وهو كتاب أعيد طبعه بعد وفاته مرات عديدة بعد إثرائه من طرف ← المعجبين به)، فكرة التقدم في فلسفة رونوفيي، تطور الفيزياء الديكارتية، قوانين صدام الأجسام حسب مالبرانش.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

10 الشُّمول و التَّضمُّن

[كيف يكتسي التصوُّر الكليُّ تارةً، الامتدادَ و تارة، التَّقلُّص؟]

«يُمْكِنُ أنْ نَنظُرَ إلى التَّصَوُّرِ الكُلِّيّ [1] مِن وِجْهَتيْن: مِن وجْهةِ التَّضَمُّنِ أوْ [مِنْ وِجْهَةِ] الشُّمُولِ [2]:

التضمُّنُ هو مَجْمُوعُ الصِّفاتِ التِّي يَتعَيَّنُ بِها التصَوُّرُ الكُلّيُّ. فَتَضَمُّنُ «إنْسَانٍ»، يَتألَّفُ مِنْ مَجْمُوعِ الصِّفاتِ العَامَّةِ والخاصَّةِ بالإنسانِ، كَفَقْرِي ولَبُونٍ ومُنتَصِبٍ على القَدَمَيْنِ ونَاطِقٍ، إلخ؛ أو يُمكِنُنا أن نقولَ إنَّ تضَمُّنَ «إنسانٍ» هو مَجمُوعةُ أحْكامٍ تَصْدُقُ على هذا التصَوُّرِ، كَقَوْلِنا: الإنسانُ فانٍ، الإنسانُ عَاقِلٌ [...]. ويُمكِنُ تَمْثِيلُ ذلك بِشَكْلٍ رِيَاضِّي:

الإنسانُ هوَ (س)، على اعْتِبَارِ (س) تُمَثِّلُ أيَّةَ صِفةٍ للإنسانِ.

والشُّمُولُ هو مَجمُوعُ الأنْوَاعِ والأفرَادِ الذِينَ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ ذلك التضَمُّنُ. فَشُمُولُ التصَوُّرِ «إنسان»، هو مُختَلِفُ العُرُوقِ البَشَريَّةِ، أوْ بصُورةٍ عامَّةٍ، كُلُّ أفْرَادِ العَالَمِ مِن آدَمَ وحَوَّاءَ، إلى كِلِيُوبَتْرَة [3] وفِرْعَوْنِ مِصْرَ، وإلى زَيْدٍ وعَمْرٍو مِنَ الناسِ.

ويُمْكِنُنا أنْ نَقولَ هنا أيضا، إنَّ الشمُولَ هو مَجموعَةٌ من الأحْكامِ غَيْرِ المُعَيَّنَةِ و التي يُمْكِنُ صِيَاغَتُها بهذا الشكلِ الرِّياضِيِّ:

(س) هي إنسانٌ، على اعتبار (س) تَدُلُّ على مُتَحَوِّلٍ مَجهُولٍ، ويُمكنُ اسْتِبْدَالُها بأيِّ إنسانٍ مُعَيَّنٍ، كقولِنا: عَلِيٌّ إنسانٌ، ومحمدٌ إنسانٌ، وسَعيدٌ إنسانٌ، إلخ.

---

1 - هو مفهوم عام شامل مثل الإنسان أو النبات أو المخلوقات.

2 - الشمول والتضمن أو المفهوم و الماصدق؛ فكلمة (إنسان) كلمة كلية تصدق على أحمد وعمرو ومشال، وعلى الاشقر والاسمر والعربي والصيني. ولكن كلمة (إنسان) يفهم منها الحيوانية والنطق والتصور والإحساس. فهذه الصفات التي تفهم من التصور (إنسان) هذا، تدعى (المفهوم)، والعلاقة بين الماصدق والمفهوم علاقة عكسية. فكلما زاد أحدهما قل الآخر.

3 - وهي اسم لإحدى ملكات مصر السبع، أشهرهن كليوبترة السابعة (69-30 ق.م.).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وتُوجَدُ عَلاقةٌ بَين الشمُولِ والتضَمُّنِ، يَعتقِدُ المَناطِقةُ القُدَمَاءُ أنها عَلاقةٌ عَكسِيَّةٌ. فإذا بَلغَ الشمُولُ حَدَّهُ الأعْلى، [1] نَقَصَ التضمُّنُ وبَلغَ حَدَّهُ الأدْنىَ. وبالعَكْسِ، إذا زَادَ التضمُّنُ حَتَّى بَلغَ ذِرْوَتَهُ العُليا [2]، نَقَصَ الشمُولُ وبَلغَ حدَّهُ الأدْنىَ. فمَثلا، تَضَمُّنُ «إنسانٍ» يَتمَثلُ ببَعْضِ الصِّفاتِ التي ذَكرْناهَا كالنُّطقِ، والانتِصابِ على القَدَمَيْنِ والتَّبَصُّرِ فِي الأمْرِ. أمَّا تَضَمُّنُ سُقرَاطَ فيَشْمَلُ تضمُّنَ الإنسانِ، ذلك لأنه إنسانٌ طَبْعًا، وصِفاتٍ أخْرَى خاصَّةً به كَيُونانِيٍّ وزَوْجَتِهِ كَزَانثِيبَ [3]، وشَرِبَ السُّمَّ و فيلسوفٌ. ولهذا، كانتْ النِّسبَةُ عَكسِيَّةً، إذ حِينما نَقصَ الشمُولُ زَادَ التضمُّنُ». [4]

وفيق العظمة [5]

أسئلة

1 - ارْسُم العلاقة العكسية بين الشمول والتضمن في شكل دوائر، مبرزا بالتوازي تغيرات عمليتي التجريد والتخصيص في التَّصور الواحد.

2 - طبِّق هذه العلاقة العكسية في تصور الخير مثلا، أو في تصور النبات.

3 - عبِّر عن الفائدة التي تستخلصها من هذه العملية المنطقية.

---

1 - إذا بلغ الماصدقُ حجمه الأوسع، تقلص المفهوم.

2 - إذا بلغ المفهوم صورته التجريدية الأشمل، نقص الماصدق.

3 - و اسمها فارون كزانثيب (Varron Xanthippe).

4 - علم النفس الحديث، الطبعة الثانية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ص، (235-236).

5 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 7.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كان المنطق يعبر عن خلفية فلسفية،
فما طبيعة العلاقة التي تربطه بالرياضيات وهو علم غير تأملي؟]

يقول إدمُوند غُوبْلو [1]: «ليس الاستدلالُ الرياضيُّ استدلالا تأمُّلياً [2] محضا أبدا، بل هو فعَّال وإنشائي [3]. فالنشاطُ الإنشائيُّ الذي يقوم به الفكرُ هو الذي يُظهر نتيجةً جديدة. ولا يستطيع التفكيرُ التأملي الخالص [4] أن يكتشف في موضوعه، شيئا آخرَ غيرَ هذا الموضوع ذاتِه، وأن يَنْتقِلَ من خاصِّية إلى خاصِّيةٍ أخرى. إنه يَستَطيعُ أنْ يَكتشِفَ في مبدأ عامٍّ، القضايا الأخصَّ والأضْيقَ المتضمَّنة فيه. لكنْ، لا يَسْتَطِيعُ أن يَكتشِفَ فيه، النتائجَ التي لا تُوجَدُ فيه». [5]

ويقول بَرْتراند رَسل [6]: «ليس ثمَّةَ خطٌّ فاصلٌ يمكِنُ رسمُه بحيْث يوضَع المنطقُ [7] على شِمالِه والرياضيات على يَمينِه.

---

1 - إدموند غوبلو (1858-1935) فيلسوف فرنسي اهتم بالمنطق وتاريخ العلوم. من مؤلفاته، مقالة في المنطق وبحث في علم الاجتماع وهو «الحاجز والاستواء».

2 - أي تابع أو تابع لفلسفة من الفلسفات مثل ما هو الشأن في المنطق الصوري الذي يستعمل الألفاظ أي المفاهيم والتصور التي قد تختلف من ثقافة إلى أخرى، ومن سياق فكري إلى آخر.

3 - أي الاستدلال الرياضي هو نشاط عقلي خصب.

4 - ولعله يقصد المنطق الثنائي، المنطق الأرسطي الذي يقوم في شكله الاستنتاجي على القياس، والقياس في النهاية لا يفيدك بجديد من النتائج.

5 - E. Goblot, Traité de logique, Ed. A. Colin, Paris, 1925, P. (264)

6 - (Bertrand Russel) فيلسوف إنجليزي اهتم بالمنطق الرياضي ونظرية المعرفة، من مؤلفاته مشاكل الفلسفة، ومقدمة للفلسفة الرياضية، وأصول الرياضيات.

7 - والمقصود بالمنطق هنا، المنطق الرياضي أو اللوجستيك.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وإذا كان هُنالك من لا يَزالون لا يُسَلِّمون بالتطابُق بين المنطق والرياضيات، فإننا نتحدَّاهُم أن يُبيِّنوا لنا ـ عند أيَّة نقطة في التَّعاريفِ والاسْتِنْتاجاتِ المُتَتاليةِ المَوْجودَةِ ـ مَبادِئَ الرِّياضيَّات، يَعْتبِرون المنطقَ يَنْتهي عندها، والرياضياتِ تبدأ منها ». [1]

إدمُوند غُوبْلو من مقالة في المنطق
بَرْتراند رَسل من مقدمة للفلسفة الرياضية

أسئلة

1 - أثْبت بالبرهان عُقمَ الاستدلال التأملي باللجوء إلى نقد القياس الأرسطي.
2 - وضِّح التباعد بين التأمل الفلسفي في المنطق والاستدلال الرياضي كما ورد عند غوبلو.
3 - اذكر في أيِّ سياق، يرفض الفيلسوفُ رسل الفصلَ القطعي بين المنطق والرياضيات.

1 - برتراند رسل، مقدمة للفلسفة الرياضية، ترجمة محمد مرسي أحمد، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[كيف يمكن أن نفهم بأن المصادرات أقلُّ وضوحا من البديهيات ومع ذلك، فهي تَنْفرِدُ وَحْدَها بخصوبة النتائج؟]

« بيْنَ البَديهِيَّاتِ [1] والمُصَادَراتِ [2]، عِدَّةُ فُروقٍ : فالبديهياتُ بيِّنةٌ بنَفْسِها، أما المصادراتُ فليست كذلك، ولكنْ يُصادَرُ على صِحَّتِها وتُسلَّمُ تسليما، مع عَدَمِ بَيانِها بِوُضوحٍ للعقل، نَظَرًا لِفائدتِها، ولأنها لا تُؤدِّي، أو طالما لا تُؤدِّي إلى تَناقُضٍ. والبديهياتُ بهذا، قضايا تَحْليلِيَّةٌ [3]، أما المصادراتُ فقضايا تَرْكيبِيَّةٌ. والبديهيات تُعبِّرُ عن خَواصَّ مُشْتَرَكةٍ بيْنَ كلِّ أنواعِ المَقاديرِ، ومن هنا، سُمِّيت قضايا مُشْتَرَكةً، كما ذَكَرْنا؛ أما المصادراتُ، فلا تَنْطبِقُ إلا على نَوْعٍ معيَّنٍ مِنَ المقاديرِ:

فالمصادرةُ قضيَّةٌ ليست بَيِّنةً بنَفْسِها، كما لا يُمكنُ أن يُبرهَنَ عليها، ولكنْ يُصادَرُ عليها، أي يُطالَب بالتَّسليم بها، لأنَّه من الممكِنِ أنْ نَستَنتِجَ منها، نتائجَ لا حصرَ لها، دون الوُقوعِ في إحالةٍ. فصِحَّتُها إذن، تَستَبِينُ من نتائجها. فمثلا، المصادرةُ المعروفة باسم مصادرة إقْليدَس [4] – وهي التي تقول : يمكن من نقطة، أن يُجَرَّ مستقيمٌ موازٍ لمستقيم آخرَ، ولا يمكن أن يُجَرَّ غيرُ مستقيمٍ واحدٍ – قد أدَّتْ إلى إقامة هندسة إقليدَس، ولم تؤدِّ إلى تناقُضٍ. وليس في الوُسع أن يُبرهَن عليها في داخِلِ هذه الهندسة؛ كما أنَّه من الممكن

---

1 - مثل المتساويان لثالث متساويان أو الكل أكبر من أحد أجزائه (Axiome)

2 - مثل هذه المصادرة وهي المكان مستو ذو أبعاد ثلاثة: الطول والعرض والارتفاع.

3 - تحليلية أي تكتفي بشرح الموضوع دون القفز منه إلى الجديد، وهي عكس التركيبية.

4 - إقليدس المغاري رياضي إغريقي عاش بين (306-283 ق.م.) وضع مبادئ علم الهندسة؛ وله كتاب «الأصول»، شرحه نصر الدين الطوسي (1201-1274 م.).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الاستغناءُ عنها بأن تُستَبدَلَ بها مصادراتٌ أخرى، كما فَعَلت الهندساتُ اللاإقليدية[1].
فكأن المصادرةَ تمتاز إذن عن البديهيَّةِ بأنه من الممكن إنكارُها دون الوُقوعِ في الإحالة، بعكس البديهية ». [2]

عبد الرحمن بدوي [3]

أسئلة

1 - أُرسُمْ جدوَلا وقسِّمه إلى واديْن، أحدهما خاص بمميزات البديهيات، و الآخر خاص بمييزات المصادرات، واذكرها على أساس التقابل والمقارنة بين الطرفين.
2 - أُذكُرْ الأدلة التي تبرهن على أن المصادرات قضايا تركيبية ومفتوحة على الجديد.
3 - استَنْتِج في أسطر قليلة، الفائدة من هذا النص.

1 - فلم يعد المكان مع لوباشفسكي الروسي (1792-1856) ولا مع ريمان الألماني (1826-1866)، مسطحا؛ فصار مع الأول مقعرا، ومع الثاني مكوَّرا.
2 - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط.3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص، (90-91).
3 - أستاذ فلسفة (1917-2002) ولد بمصر؛ دكتوراه من جامعة القاهرة عن "مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية والزمان الوجودي". ولقد علق طه حسين، الذي كان أحد أعضاء لجنة التحكيم على الرسالة قائلاً: "إنه أول فيلسوف مصري". كان يدعو إلى رفض ونفي "ثنائية الفرد والجماعة"، و"الذات والموضوع"، لأن الفرد والذات كليهما لديه هما الوجود الحق. ويشكل عطاء بدوي الفكري والفلسفي مكتبة متكاملة حيث طرق كل أنواع الإبداع، فألف في السياسة والفكر الفلسفي والأدبي والتاريخ والتراجم والتحقيق، وكتب الشعر، وبلغت مؤلفاته في كل ذلك ما يقرب من الـ90 مؤلفا؛ من أهمها "الإنسانية والوجودية في الفكر العربي" و"التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية" و"شخصيات قلقة في الإسلام" و"شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية" و"خريف الفكر اليوناني" و"ربيع الفكر اليوناني" بالإضافة إلى كتاباته عن أفلاطون وشوبنهاور وغيرهما من أعلام الفكر الغربي.
ولقد كرس بدوي جهده الفكري والفلسفي في أواخر أيامه للدفاع عن الإسلام والتصدي لمنتقديه، و ألف عددا من الكتب بالفرنسية تصدى فيها للحملة المستمرة التي يشنها الغرب ضد الإسلام، كما أصدر كتابا خصصه للدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم فنَّد فيه بالأسانيد العلمية والفكرية الرصينة دعاوى المنتقصين من قدره، وكذلك افتراءات المستشرقين التي وصفها بدوي بالجهل والتعصب؛ وانتقد وهاجم عددا كبيرا من الرموز الثقافية والسياسية في مصر والعالم العربي، وشكك في أصالتهم الفكرية والسياسية، مثل طه حسين والعقاد وفؤاد زكريا وغيرهم؛ ومال طيلة حياته إلى العزلة والبعد عن الأضواء والعكوف على تحصيل العلم والمعرفة، وأضرب في سبيل ذلك عن الزواج، وكان يرى في مؤلفاته المتعددة تعويضا عن ذلك.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

13 العقل المنطقي ومشاربه الفلسفية

[كَيْف يُمْكنُنا الاتِّفاقُ على الحقيقة، إذا تَعدَّدَ المنطقُ بحسَبِ التَّصوُّرات الفلسفية؟]

«لا شَكَّ في أنَّ مَوْقفَ [1] الإنسان من فكرة الحَقيقة، ومَدَى اليَقين فيها، إنَّما يَتأثَّرُ تمامًا باعْتناقه مَنطقًا دون آخَرَ من أنْواع المَنْطق العَديدة المُمكنة [2] للإنسان. فَمَوقفُ مَن يَعْتَنقُ مَنطقا ثُنائيَّ القيَم - أيْ قائما على مَبدَأ الثالثَ المَرْفوع المألوف [3] لبَادي الرَّأي المُشْترَك بيْن الناس لأنه لا يَقبَلُ وسطا بين قيمَتَي الصِّدْق والكَذب، أوَ الحقِّ والباطل - ليْسَ كَموقف مَن يَعْتَنقُ مَنطقا أكثرَ مُرونةً وأقلَّ صَرامةً، لأنه كَثيرُ القيَم، فيَتسامَحُ في القَول برابع مَرفوع أو خامس مرفوع أو ما شاءَ منَ المَرْفوعات ممَّا لم يَجْرِ به العُرْفُ بيْن الناس، بحيْثُ تَكونُ بَين قيمَتَيِّ الصِّدقِ والكذب، وفوقَهُما ودونَهُما، قيَمٌ أُخْرَى لا تُحدِّدُ عددَهَا إلا وجهَةُ نَظرِ المنطقيِّ نفْسِه، أعني فَلسفَتَه [4]؛ وهذا، لَمَّا يُضيءُ فِكرةَ «الحَقيقَة» في نَظريَّة المَعْرفة بِضَوْءٍ جديد». [5]

محمد ثابت الفندي [6]

أسئلة

1 - إن المشكلة المطروحة أعلى النص، تحتاج إلى فهم أعمق؛ اكتب فقرة توسع فيها وتوضح المقاصد التي ترمي إليها.

2 - بيِّن أثر التصور الفلسفي في البناء المنطقي على ضوء ما تعرفه عن اختلاف الطريقة المنهجية بين من يتجه إلى الواقع ومن يبقى في سياق الفكر للفكر.

3 - إذا نحن أخرجنا أي نوع من أنواع المنطق عن سياقه الفلسفي، لا نُدرك منه سوى جوانبه السطحية؛ برهن على ضرورة ربط التفكير المنطقي بالتفكير الفلسفي.

---

1 - ليس الإنسان مجردا من تصورات و أحكام و قواعد إدراك عندما ينظر إلى موضوع مثل الحقيقة؛ فلا بد من أن يكون ممتلكا لمنطق معيَّن، مع العلم بأن المنطق ليس واحدا.

2 - فهناك منطق ثنائي الحدود مثلا، حيث يؤمن بأن الشيء، إما أن يكون هو (س) أو (لا س)، فإذا كان الشيء (س)، فلا يمكن أن يكون (لا س)، وإذا كان (لا س)، فلا يمكن أن يكون (س)؛ و كذلك الأمر بالنسبة للطالب، فإذا كان حاضرا، فلا يمكن أن يكون لا حاضرا، و العكس بالعكس. و إذا جاء أحدُهم ليقول مُصرا بأن الطالب لا هو حاضر ولا هو لا حاضر، فإنه سيثير عقول من يأخذون بالمنطق الثنائي، ويُرضي من يأخذون بمنطق آخر، بحيث يحكمون على الطالب بأنه موجود بجسمه و لكنه لاموجود بعقله ووعيه.

3 - مبدأ الثالث المرفوع (Le principe du milieu ou tiers) هو المبدأ القائل بأنه لا يوجد وسط (أو ثالث) بين (س) و (لا س)؛ لأنه لا يمكن أن يكون المتناقضان كاذبين معا. وفي العادة يستعمل علماء الرياضيات وعلماء الكلام هذا المبدأ في البرهان بالخلف على وجه الخصوص.

4 - فلو أخذنا بالمنطق الشرعي عندنا، فإننا لا نكتفي مثلا، بتصنيف أفعالنا إلى حلال أو حرام، لأن هناك حالات أو حدوداً لا يمكن أن نرفعها كالمكروه والمندوب والمستحب. وموقف الأشاعرة من قضية حرية العبد يبدو أنه يقيمه بين المنزلتين: لا (هو حر) ولا (هو ليس حرا).

5 - أصول المنطق الرياضي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص، (20-21).

6 - هو أستاذ عربي معاصر، يهتم بالفلسفة والمنطق، من مؤلفاته كتاب أصول المنطق الرياضي، وكتاب في الفلسفة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

14 الفلسفة من وراء المنطق

[هل المنطقُ عِلمٌ أم فلسفةٌ؟]

«المنطقُ التَّقليديُّ [1] ظلَّ بحثا فلسفيا بالدرجة الأولى، يُثيرُ مسائلَه في ضَوْءِ التَّفكير الفَلْسفيِّ، كما تَتراءَى لكلِّ فيلسوفٍ ناظرٍ في المنطقِ.

[...] إنَّ مَنطقَ الفَلاسِفةِ يَستَنِدُ أساسا، إلى ألْفَاظِ اللُّغةِ العاديَةِ [2] في عَرْضِ قَضاياهُ وبُرهانِها. ولم يَستطعْ هذا المنطقُ طِوالَ تاريخِه أن يَصْطنِعَ لِنفْسِه لُغةً عِلميَّةً، كالشأنِ في العُلوم الأخرى التي استَقلَّت عن الفلسفةِ، مع شِدَّةِ حاجَتِه إلى مِثلِ هذه اللُّغةِ؛ إذ أن العلومَ الأُخْرَى، وعلى رَأْسِها الرِّياضيَّاتُ، اِصْطَنعتِ اللغةَ «الرَّمزيةَ» التي أثْبَتَ اسْتِعمالُها أن العلومَ غيرُ مُمكِنةٍ بِدُونها، وفيها يَكمُنُ سِرُّ النجاحِ المنقطِعِ النظيرِ في العلوم المَضْبوطةِ». [3]

محمد ثابت الفندي [4]

أسئلة

1 - بيِّنْ لماذا اسْتنادُ علماءِ المنطق إلى الأساليب اللغوية العادية، يُبقيهم في حِضن الفلسفة.

2 - وضِّح لماذا، لغة الرموز ترفع الرياضيات فوق سلطة الفلسفات والإيديولوجيات.

3 - أبْرِز الصعوبات التي تُعاني منها بعضُ العلوم في إدخال لغة الرموز.

---

1 - المقصود به المنطق الصوري الأرسطي.

2 - ما دام المنطق يتعامل بالألفاظ لا بالرموز، فإنه يبقى مثار جدالٍ حول معاني المفاهيم والتصورات المستعملة، فضلا عن عُقمه إذا تعلق الأمر بالقياس الأرسطي.

3 - أصول المنطق الرياضي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص، (34-35).

4 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 13.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كان انطباقُ الفكر مع نفسه أو مع الواقع يَتِمُّ في سِياقٍ معيَّن، فكيف يستطيع الفكر تحقيق انطباقه مع نفسه ومع الواقع في وقتٍ واحد؟]

« إنَّ المنطِقَ، موضوعُه اتفاقُ الفكرِ مع نفسه، واتفاقُه مع الواقِع؛ وغرَضُه البحثُ عن القَوانينِ التي يَتِمُّ بها، هذا الاتفاقُ المزدوِجُ »[1].

وإذن، فهناك اتفاقٌ لِلفكْر مع نفسه، وهناك اتفاقٌ له مع الواقعِ، وهناك قوانينُ لهذا الاتِّفاقِ المُزْدَوِجِ، هي هَدَفُ المنطِقِ.

ومِن ثَمَّةَ، يَتَّضِحُ أنَّ هذا التعريفَ يُفضي بِنا إلى قِسْمةِ المنطقِ قِسمةً مَبدئيةً، إلى ما عُرف طِوال التاريخ باسْم « المنطق الصُّوريِّ » الذي يَتِمُّ به اتِّفاقُ الفِكرِ مع نفْسِه، و إلى ما يُسَمَّى أحْيانا في الكتُب الطُّلَّابِيَّةِ الدَّارِجةِ، المنطقُ الماديُّ أو التَّطبيقيُّ أو على نحْوٍ أوسعَ، مناهجُ العلوم؛ وهو المنطقُ الذي يَتِمُّ به اتِّفاقُ الفكر مع الواقِعِ أو عالَمِ التَّجرِبةِ الحسِّيَّةِ الذي تَسْتنِدُ إليه العلومُ التجريبيَّةُ.

لِبَيانِ هذا الانْقِسام إلى نَوعيْن من المنطِقِ، يُمكنُ القولُ بأنه توجَدُ في فِكْرِنا عناصرُ نُسمِّيها أفكاراً أو تَصَوُّرات كما نَسمِّيها في عُلوم اللغةِ، الألفاظَ أو الحُدودَ. وتلك العناصِرُ تَقُومُ بينها عَلاقاتٌ مُختلِفةٌ تَكشِفُ عَنها التراكيبُ التي نسمِّيها قضايا واستنباطاتٍ التي هي أيْضا، قضايا.

[...] هذه التصوراتُ أيًّا كانت طبيعتُها وأصلُها في أذهانِنا، لها علاقةٌ خَفِيَّةٌ بالأشياءِ الواقعيَّةِ أو بالعالَمِ الخارِجيِّ.

---

1 - انظر، مادة المنطق في (A. Lalande,Vocabulaire philosophique) ولقد استقى صاحب النص هذا التعريف من هذا المعجم.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وتلك العَلاقةُ تَجعلُ التصوُّراتِ في حالةِ تغيُّرٍ دائم في مَضْمونِها وفَحْواها عِند مُجابَهةِ الفِكْرِ للواقع وتَجدُّدِ اتِّصالِه به، وتَفاعُلِه معه. فتَنشَأُ عن هذه الصِّلةِ بالواقِع، مسألةٌ مَنطِقيَّةٌ جديدةٌ لا تَنْتَمي إلى المنطِق الصُّوريِّ الذي موضوعُه الاستنباطُ وقوانينُه؛ وهذه المسألةُ الجديدةُ هي مسألةُ التَّحقُّقِ والتأكُّد من أنَّ الاتِّفاقَ الذي حَصَل عليه الفِكرُ مع ذاته عند تأليفِ التصوُّرات في قضايا واسْتِنباطاتٍ، هو في الوقْت عينِه، اتفاقٌ له مع الواقِع، ومطابَقةٌ له مع العالَمِ الخارِجيِّ؛ وهذا هو الاسْتِقرَاءُ الذِّي هو النَّوْعُ الآخَرُ مِن الاسْتِدلالِ». [2]

محمد ثابت الفندي [3]

أسئلة

1 - اِشْرحْ معنى اتفاق الفكر مع نفسه معتمدا على أمثلة من القياس أو من حل المعضلات الرياضية.

2 - اشرح معنى اتفاق الفكر مع الواقع مستندا إلى تجارب من الواقع الحسي.

3 - بيِّنْ من خلال أمثلة، كيف يتفق الفكر في آن واحد مع نفسه، ومع الواقع.

2 - أصول المنطق الرياضي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص، (22-25).

3 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 13.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[يطرح المؤلِّفُ المشكلةَ في الأسطر الأربعة الأولى من النص و هي:]

«هَلْ يَجُوزُ لنا الحُكْمُ بصِحَّةِ الاسْتِدْلالِ [1] مِن حوادِثِ المَاضِي على حوادثِ المُسْتَقْبَلِ، دون الرُّجوعِ إلى أيِّ مَبْدَأ عَقْلِيٍّ قبْليٍّ [2] كَمبدَأ الاسْتِقراءِ؟ [...] أَعْني، هل يُمكِنُ أن نَعتمِدَ في أحكامِنا الاستِقرائيَّةِ عَلى التَّجرِبَةِ الحسِّيةِ وحدَها [3]، دونَ الرُّجوعِ إلى أيِّ مبدأ لا تَكُونُ التجرِبةُ الحِسِّيةُ مَصدَرَه؟

افرِضْ مثلا، أنَّ رجُلا قَفَزَ مِن نافِذةٍ على ارتِفاعٍ بعيدٍ من الأرْضِ! فهل هُناك ما يُبرِّرُ الحُكمَ، بأنه سيَسقُطُ حَتْمًا على الأرْضِ، وأنه لنْ يَتَّجِهَ اتجاهًا آخَرَ، كأنْ يَرتفعَ إلى السَّماءِ أو يتحرَّكَ في خطٍّ أفُقِيٍّ؟ [...] سيُجيبُ رجلُ العِلم ورَجُلُ الشَّارِعِ على السُّؤال بالإيجابِ [4] اسْتِنادًا إلى الخِبَرِ السَّابِقةِ في سُقوطِ الأجْسامِ، أي [...] أنَّ الأجسامَ التي تُماثِلُ في ثِقَلِها جسمَ الإنسانِ، قد سَقَطت في الأرض حِينَ أُلقِيَ بها في تجارِبِنا الماضِيَةِ [...].

قد يَقولُ المُعْترِضون: لكنْ، هذا تَرْجِيحٌ [5] لا يَقِينٌ؛

ونحن نُجيبُ: نعَم، والعلومُ الطبيعيةُ كلُّها قائمةٌ على التَّرجيحِ لا اليَقِينِ؛ لأن اليقينَ لا يكونُ إلا في القضايا التِكراريَّةِ التي لا تقولُ شيْئًا جَدِيدا كقضايا الرِّيَاضَةِ [6]؛ وأما

---

1 - ويقصد بالاستدلال، الاستقراء العلمي أو الناقص.

2 - من هذه المبادئ التي يعتمد عليها الباحث العلمي، مبدأ الحتمية، ومبدأ الاطراد والثبات.

3 - أي هل نعتمد فقط على الملاحظة والتجربة دون الاعتماد على أحكام مسبقة غير مؤكدة علميا؟

4 - بمعنى سيسقط كما سقطت كل الاجسام قبله في هذه الوضعية.

5 - ترجيحي أي احتمالي، وهذا يثير نوعا من الارتياب على حد سواء، في أوساط العوام باختلاف عقائدهم، أو في وسط الخواص.

6 - وهنا، يجب التمييز بين عالَم انسجام الفكر مع نفسه، وعالم انسجام الفكر مع الواقع؛ ففي الأول، نتائج الاستدلال تكون يقينية من الناحية الصورية، ولكن النتائج في العالم الثاني، تكون نتائج نسبية نظرا إلى طبيعة الموضوع الذي يتعامل معه الفكر، وهذا الموضوع هو الواقع الحسي التجريبي الذي لا يتوقف عن التغير على الرغم من اطراد نظامه.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

القَضايا الإِخْبارِيَّةُ التي تُنبِّئ بجديدٍ، فهي دائما، مُعَرَّضةٌ لشيءٍ [1] من الخطَأ؛ ولِذا، فصِدْقُها احتِماليٌّ ». [2]

زكي نجيب محمود [3]

أسئلة

1 - أُذكُرْ شروطَ تحقيق الملاحظة العلمية على ضوء مطالعاتك، مركِّزا على الشك المنهجي ومحاربة الأفكار السابقة.

2 - اشرح شرحا وافيا، المشكلة الفلسفية المطروحة في النص، وبيِّن موضع الحَيْرة فيها.

3 - قدِّم النصُّ حُجَجا لإثبات المشكلة، ولمحاولة حلها؛ اذكُرْها، ثم دعِّمْ موقف المؤلف هذا، بحججك الشخصية.

---

1 - وكلمة « شيئاً » هنا، لا يجب أن تحملنا إلى الشك في حقائق العلم شكَّ الجاهل بنظام العلم وقواعده.

2 - المنطق الوضعي، ج. 2، ط. 4، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1966، ص. 299.

3 - مفكر مصري معاصر، توفي في 1993 ، دكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، معروف بثورته على كل ما هو رث في التراث العربي، وبسعيه إلى التجديد؛ تأثر كثيرا بالوضعية المنطقية المعاصرة مع الفرد جولز آير (A. J. AYER) صاحب كتاب "اللغة والصدق والمنطق". وكان يسعى باسم النسق العقلاني إلى تأسيس فلسفة المعنى في الفكر العربي المعاصر محاربا كل الأنساق الخرافية والأسطورية. ومن مؤلفاته المشهورة، خرافة الميتافيزيقا، والمنطق الوضعي، ونحو فلسفة علمية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

الإشكالية الثالثة

في تاريخ الفكر الفلسفي من حيث انشغالاته

كيف يمكن للفكر الفلسفي أن يكون متعددا وواحدا في آن واحد؟

17 – الفلسفة اليونانية مَرجِعيَّةٌ عالمية

18 – في علم الكلام

19 – صانِعُ العَالَمِ

20 – في الفلسفة و عِلم التوحيد

21 – علم التوحيد بين العوامِّ و الخواصِّ

22 – الفلسفة و الشريعة

23 – الشريعة و الحكمة

24 – للإِسلام فلسفته

25 – التأويل

26 – فلسفة العصور الوسطى

27 – تكامُل النقل والعقل

28 – حدود العقل

29 – الفلسفة الحديثة و المعاصرة

30 – مستقبل الفلسفة المعاصرة

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مدخل

■ في الفلسفة اليونانية

1. ما المصدر الحقيقي الذي خلقت منه كل الأشياء؟ وهل للعقل القدرة على تفسير أصل الكون؟ وهل ما اكتسبناه من معرفة، هو كل المعرفة الإنسانية أم هو جزء يسير منها؟
2. وما طبيعة هذه الأشياء؟ فهل هي ثابتة أم متغيرة: هل يقوم العالم أو الطبيعة على نظام منضود و قابل للتعقل و يستهدف غرضا من الأغراض؟ أم هو متروك للاتفاق والعفوية؟ و إذا كان متغيرا، فما سبب هذا التغير المتعاقب على المادة، أليس هو الله؟ أليس هو الحركة، و لولاها لوقف العالم وركد ثم اندثر؟
3. و إذا كان الكون كلا متماسكا على الرغم من وجود التنوع والمتضادات، فكيف تتولد كل هذه الأشياء من هذه المتناقضات؟ و كيف جاء التكثر في هذا العالم المتعدد الأوجه والمظاهر من الأصل الواحد (من الألوهية)؟

وفي كلمة، كيف استطاع العقل اليوناني الوصولَ بالفلسفة إلى أوجها، بعد أن كان مكبَّلا مدة قرون بقيود الخرافة، وكيف دعا الإنسانَ إلى استثمارها في حياته الخاصة؟

■ في الفلسفة الإسلامية

هل هناك ما يدعو إلى الحديث عن فلسفة إسلامية، في مجتمع يدين بالدين الإسلامي؟ وهل هي إنتاج عربي أم إنتاج إسلامي أم هما معا؟ وهل في القرآن والحديث من الحجج، ما يثبت الصبغة الفلسفية بالمفهوم اليوناني السائد؟ وهل كان إيمانهم بعقيدة التوحيد، سيغنيهم عن الاحتكاك بالتراث الأجنبي، وتحاشي التأمل في قضايا فلسفية، مثل طبيعة الإيمان، والكفر، وأصل الكون، وصفات الخالق؟ و هل يجوز للعقل التفلسف في قضايا شرعية؛ أليس في الأخذ بالرأي، خطر الاصطدام بالنصوص المقدسة، وقد ورد في القرآن الكريم: "ما فَرَّطنا في

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الكتاب مِنْ شيء" [1]، و "ونَزَّلنا عليكَ الكتابَ تِبْيانا لكل شيء" ؟ [2] وإلى أي مدى، يمكن للعقل أن يغوص في تلك المسائل من دون أن يُعد ذلك مساسا بالعقيدة؟ هل له الحق في أن يفسر، وهل يجوز له البحث في الخلق، وفي صلة المخلوق بالخالق، في المصير، وفي الخير والشر، والجنة والنار، لا بل في الألوهية أيضا؟ وهل علم الكلام وهو العلم الذي اشتهر في الخوض في هذا النوع من الموضوعات، يعتبر الإطار المناسب والمرآة الممثلة للتفكير الفلسفي لدى المسلمين؟

كيف يمكن التوفيق بين مقتضيات النقل ومقتضيات العقل، بين الدين والفلسفة، وإلى أي حد يصل الاتفاق بينهما؟ فهل يجب دَيننَةُ العقل أم عقلنة الدين أم يجب البحث عن سبل الانسجام بينهما، ورسمُ حدود كل طرف ومعرفة مجال التوفيق بينهما؟

فهل الإيمان يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة، و أكثر تهيؤا لقبولها؟ وهل الإيمان ضروري، للعقل و شرط لصحة تفكيره؟

■ في الفلسفة الحديثة

هل فلاسفة العصر الحديث، يحتملون أن يكون التأمل لمجرد التأمل، وأن يتجه إلى الكشف عن الحقيقة، لذاتها لمجرد اللذة العقلية؟ وهل من وراء تفسيراتهم للكون، سلطة دينية أو سياسية، ومرجعية فكرية و علمية؟ وهل بقيت أدواتهم المعرفية ومصادرُها على ما كانت عليه لدى اليونان ولدى أسلافهم من رجال الدين؟ فهل للملاحظة و التجربة لديهم، اعتبار في تفكيرهم الفلسفي؟ وهل معيار الصدق هو مجرد مطابقة النتائج للمقدمات أو هو أيضا، وبوجه أخص، مطابقة النتائج للواقع؟ وهل معنى هذا، أن الفلسفة في العصور الحديثة هي ثورة من أجل التفكير الحر، والتمكن في الأرض؟ فماذا بقي من تأثيرٍ للسلطة العلمية الممثلة في منطق أرسطو و للسلطة الدينية الممثلة في حكم الكنيسة، أمام هذه الثورة الإبستيمولوجية العارمة؟

---

1 - الأنعام، 38.

2 - النحل، 89.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

■ في الفلسفة المعاصرة

هل الفلسفة هي اهتمام بالإنسان من حيث إنه كائن يحمله الكون، أو من حيث إنه حامل له؟ فهل هي اهتمام بما وراء الإنسان أو بما يصنعه؟ وهل ذلك الاعتبار الواسع الذي كانت تبوّئه للماورائيات، ما يزال قائما؟ هل تكتفي بتحديد مكانة الإنسان في العالم أو تتجاوز ذلك، إلى تقدير إرادة هذا الإنسان على تغيير هذا العالم، وتوجيهه، وخلق مستقبل جديد؟ فهل هي تدعو إلى التأمل من أجل التأمل أم التأمل لتحقيق منفعة عملية؟ وهل مهمتها تكمن في كشف الحقائق أو في توضيح الأفكار؟ وهل الموجودات ترتد إلى مبدأ الوحدة أم هي من طبيعة التكثر و التعدد؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[تقدّم الزمانُ و اتّسع مجالُ اهتمام الإنسان بالقضايا الفكرية المتجددة ومع ذلك، ما تزال الفلسفةُ اليونانية المَنْهَلَ الأساسي لكل عصر؛ لماذا؟]

« لا نَستَطيعُ أن نُنْكِرَ أثرَ الفلسفةِ اليونانيَّةِ على الثقافةِ المُعاصِرةِ، سَواءٌ لَمَسْنا نَفَحاتِها [1] عن طَريقِ الاتجاهاتِ العَقليَّةِ عند فلاسفةِ العُصورِ الوُسطى، أم عن طريق الفلسفةِ الأوروبية الحديثة. إنَّ أيَّ مُفكِّرٍ يُريدُ أنْ يُعالِجَ مشكلةً من مَشاكِلِ الإنسانيَّةِ سَواءٌ في النظرِ إلى الوُجودِ أم النَّفْس أم الأخْلاق أم المعرفة أم السياسة، لا شكَّ يُحِسُّ أنه يَنْبَغي أن يَتتبَّعَ المُشكلةَ [2] مُنذ فَجْرِ ظُهورِها لِيتلمَّسَ المُحاوَلاتِ التي ذَهبَتْ إليها، عقولٌ عظيمةٌ مِن غيْرِ شكٍّ.

[...] فَقد تَوَغَّلتْ [3] هذه الفلسفةُ في كلِّ ناحيةٍ من نَواحي الثقافةِ، إنْ في الأَدَبِ أو ما وَرَاءَ الطبيعةِ أو في غَيْرِهما. فما أخْلَقنا بهذه الدراسةِ أنْ نَستَطلِعَ منها بُذورَ التفكيرِ الذي يَنظُرُ إلى الجَوانِبِ المُختلِفةِ مِنَ الحقيقةِ، كوَحدةٍ واحدةٍ مُرتبِطةٍ [4] ». [5]

ماهر كامل [6]، تصدير لكتاب م. تيلور [7]

أسئلة

1 - بيِّن لماذا تُعتبر الفلسفةُ اليونانية مرجعيةَ كلِّ بحثٍ فلسفي، معتمدا على ما درست في تاريخ الفكر اليوناني.

2 - وما دام اليونان تطرقوا لكل قضية فكرية، فلماذا نعود إليها لنطرحها من جديد؟ اذكر بعض أسباب تفاوت الناس في طريقة علاج القضية عبر الزمان والمكان، وظهور موضوعات جديدة.

---

1 - ج. نفحة وهي ما تركته الفلسفة اليونانية من عطايا وبصمات و تأثير.

2 - يتتبع أية مشكلة فلسفية منهمك فيها منذ جذورها التاريخية؛ فإذا تعلق الأمر بقضية الألوهية أو مصير الإنسان، عاد إلى المصادر الفلسفية الأولى وخاصة منها اليونانية.

3 - توغلت أي تغلغلت واتسعت.

4 - لأن الفكر الفلسفي كإنتاج يعبر به الفيلسوف عن مواقفه، يتقدم في نظرة تركيبية ونسق شمولي تجد فيه، كلُّ العناصر الجزئية مكانتها وتنافعها.

5 - م. تيلور، الفلسفة اليونانية، تعريب عبد المجيد عبد الرحيم، ط. 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، تصدير، ص، (5-6).

6 - هو دكتور في الفلسفة وخريج جامعة لندن، رئيس قسم الفلسفة بكلية المعلمين بالقاهرة؛ نشر له عدد من الكتب والمقالات.

7 - هي السيدة مرغريط طيلور (Margaret E.J. Taylor) أستاذة بجامعة أكسفورد، من كتبها، (Greek Philosophy, An Introduction,1947).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[كيف نُميِّزُ بَين سبَب الأسباب وخالقِها جميعا؟]

«هو عِلمٌ يَتضمَّنُ الحِجاجَ [1] عن العَقائد الإيمانيَّة [2] بالأدلَّة العَقليَّة، والردَّ على المُبْتدعة [3] المُنْحرفين في الاعتقادات عن مَذاهب السَّلَف وأَهْل السُّنة. وسِرُّ هذه العَقائد الإيمانية هو التَّوْحيدُ. فَلْنُقدِّمْ هنا لطِيفةً في بُرهانٍ عَقليٍّ يَكشِفُ لَنا عن التوحيدِ على أقْرَب الطرق:[...]

إنَّ الحَوادثَ في عالَم الكائنات سَواءٌ كانَتْ من الذَّوَات [4] أو منَ الأفْعال البَشريَّة أو الحيوانيَّة، فلا بُدَّ لها من أسباب متقدِّمة عليها؛ بها تَقعُ في مُستَقرِّ العَادَة [5]، وعنها يَتمُّ كَوْنُه. وكلُّ واحد من هذه الأسباب حادثٌ أيضًا، فلا بُدَّ له من أسباب أُخَرَ؛ ولا تَزالُ تلك الأسبابُ مُرتقيَّةً حتى تَنْتهيَ إلى مُسبِّب الأسباب ومُوجِدها [6] وخالِقها سُبحانَه، لا إلهَ إلا هُوَ». [7]

عبد الرحمن بن خلدون [8]

أسئلة

1 - للرد على المبتدعة، لا بد من حجج منطقية؛ اذكر تجربة في هذا المجال.

2 - إن الفكر العلمي يهتم بالأسباب وبالقوانين؛ بيِّن صعوبة وصولهم إلى سبب الأسباب، مركزا على التمييز بين مجال العلم ومجال الدين أو الفلسفة.

3 - ليس الله مجرد سبب من الأسباب، وإلا كان يحتاج إلى سبب يسبقه؛ إنه مُوجِدُها و خالقُها؛ توسَّع في هذه الفكرة.

---

1 - حجاج أو محاجة من فعل حاجَّ أي الدفاع بالحجة المفحِمة والدليل القاطع المقنِع.

2 - العقائد الإيمانية التي ترتد إلى عقيدة التوحيد وما تستوجبه من معرفة صفات الله ورسله.

3 - هم الذين أدخلوا الأفكار الغريبة على الفهم الصحيح للقرآن والسنة، أمثال أهل التجسيم الذين ينظرون إلى الله على أنه جسم، وأهل الاعتزال الذين نفوْا صفات الله ونظروا إلى الإنسان على أنه خالق لأفعاله.

4 - عالم الكائنات هو عالم المخلوقات كلها، والذوات هي كل مخلوق أو بلغة العلم هي الظواهر الطبيعية والبشرية وغيرها.

5 - العلاقة بين الأسباب و المسببات مبدأ عقلي يلمسه الإنسان في حياته اليومية، ويفهم به ما يجري في الطبيعة. ولقد جرى هذا المبدأ لديه مجرى العادة بحيث لا يستطيع في هذا المجال أن يحيد عنه.

6 - الموجد هو الله، وهو منتهى تسلسل الأسباب.

7 - عبد الرحمن بن خلدون المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ، الكتاب الأول، الباب السادس، الفصل العاشر، ص: 458.

8 - ابن خلدون عبد الرحمن (هو الأخ الأكبر ليحيى الذي كان كاتب الإنشاء في عهد أبي حمو سلطان تلمسان، والذي قتل حسدا، وهو مؤلف «بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد»)؛ وعبد الرحمن هذا **(1332-1406)** مؤرخ و فيلسوف ورجل سياسي كتب في كل فنون عصره؛ من مؤلفاته كتاب العبر بمقدمته و ملحقه في التعريف بابن خلدون، وكتاب «شفاء السائل» في التصوف؛ وجاء في كتاب الإحاطة لابن الخطيب أنه ألف لباب المحصل (وهو محصل الفخر الرازي)، وشرح البردة للبوصيري، ومختصر رسائل محيي الدين بن عربي المتصوف.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

19 صانع العالم

[إذا كان العقلُ يَمقُت بطبعه متاهة اللانهائي، فكيف يعالجه؟]

«صَانِعُ العالَم أزلِيٌّ [1] الوُجود، قَديمُ الذَّات لا مُبْتَدَأَ لوُجوده ولا مُفتَتَحَ لأزليَّته؛ والدَّليلُ عليه أنه لو كان حادثًا [2] لَشارَكَ الحَوادثَ في الافْتقار [3] إلى مُحْدِثٍ [4]، ثم يَلزَمُ في مُحدثه ما يَلزَمُ فيه. ويتسلسل القولُ ويُفضي إلى حوادثَ، لا أوَّلَ لها؛ وقد سَبق القَولُ والدَّليل على اسْتِحالة ذلك [5].

البَاري سُبحانَه حيٌّ عالِمٌ بجميع المَعْلُومَات، قادرٌ على جميع المَقدُورات؛ فإنَّا بِبَدَاهَة العُقول، نَعْلَمُ استحالةَ صُدورِ الأفعالِ عن العاجز عنها [6]، وكذلك يَستيْقنُ كُلُّ لَبيب أنَّ الأفعالَ المُتْقَنةَ الواقعةَ على أحسنِ تَرتيبٍ ونظام وإتْقانٍ وإحْكام، لا تَصْدُرُ إلَّا عن عالِمٍ بها [7]. ومَن جوَّز صُدورَ خطِّ مَنظومٍ على ترتيبٍ مَعلومٍ مِن غَيْرِ عَالِمٍ بالخط، كان عَنِ المعقولِ خارِجًا، وفي تِيه [8] الجَهْلِ وَالِجًا.

وإذا استَبانَ كوْنُ صانِع العالَم قادرا عالِما، فبالاضْطرارِ نَعلَمُ كَوْنَهُ حيًّا [9] إذ يَستحيلُ أن يتَّصفَ بالعِلم والقُدرَةِ ميِّتٌ أو جَمادٌ، وتجْويزُ ذلك مُراغَمَةٌ وعِنادٌ». [10]

الجويني إمام الحرمي [11]

أسئلة

1 - لقد عَرفتَ في الفلسفة اليونانية، أن الفكر يميل بالطبع إلى البحث عن أصل الوجود؛ بيِّنْ كيف طرح علماء الكلام هذه القضية.

2 - بيِّنْ لماذا لا يستحق المخلوقُ أن يكون إلها.

3 - قارِنْ بين تصوُّر أرسطو لِلألوهية - و هو المحرِّك الذي لا يتحَّرك - وتصور المسلمين وهو اعتقادهم في الله خالقِ الكوْنِ ومدبِّره.

---

1 - الأزلي هو الدائم الوجود، الذي لا بدء له.

2 - أي لو كان مخلوقا.

3 - الإفتقار من افتقر أي احتاج إلى.

4 - المحدِث هو اسم الفاعل من أحدث أي أوجد وخلق.

5 - واستحالة تسلسل تراجع الأسباب فيما بينها، يدفع إلى الاعتقاد في إله أزلي غير مخلوق.

6 - لا تصدر الافعال إلا من القادر على إصدارها.

7 - ولا تصدر الافعال المتقنة والمحكمة إلا من عالم بها.

8 - التيه هو الوقوع في متاهة حيث لا مخرج منها، ما دام العقل يشاهد الأفعال وينكر الخالق والعالم لها وهو الله.

9 - لا يعقل أن يكون الصانع قادرا وعالما وهو ليس حيا.

10 - الجويني، لمْع قواعد أهل السنة والجماعة - Michel ALLard, Textes apologétiques de Gûwainï, Dar el-Machreq édit., Beyrouth, 1968,P. (131-133).

11 - هو عبد الملك الجويني (1028-1085 م.) أحد تلامذة أبي الحسن الأشعري. ألف في علم الكلام وتأثر بفلسفة اليونان؛ من مؤلفاته، البرهان في أصول الفقه، والإرشاد، والشامل، والعقيدة النظامية، ولمع قواعد أهل السنة والجماعة، وهو كتاب غير اللمع الذي ألفه الأشعري.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[يُميِّزون بين الفلسفة الإسلامية وعلم التوحيد، فهل مِن مُبرِّرٍ؟]

يَقولُ أبو الوَليدِ بْنُ رُشْدٍ [1] عن الفلسفة: «إنْ كان فِعلُ الفلسفة ليس شيئًا أكثرَ من النظَرِ في المَوْجودات، واعتبارِها من جِهَةِ دَلالتِها على الصَّانعِ [2] - أعْني، من جهة ما هي مَصنوعاتٌ - فإنَّ المَوْجوداتِ، إنما تدُلُّ على الصَّانعِ [3] لِمَعْرفة صَنعِها، وأنه كُلَّما كانَتِ المَعْرِفةُ بِصَنعَتِها أتمَّ، كانت المعرفةُ بالصَّانعِ أتمَّ [4]؛ وكان الشَّرْعُ، قد نَدَب [5] إلى اعْتِبارِ الموجوداتِ، وحَثَّ على ذلك [...]. وواجبٌ أن نجعَلَ نظَرَنا في الموجودات، بالقِياسِ [6] العقليِّ». [7]

ويَقولُ أبُو عبدِ اللهِ محمدٌ السَّنوسي [8] في عِلم التَّوْحيدِ: «إنَّ موضوعَ عِلم التَّوحيد

---

1 - هو أبو الوليد محمد بن أحمد (1126-1198 م.)، ولد في قرطبة، وتُوفي في مراكش؛ ولي القضاء بقرطبة بعد والده وجده. اشتهر بشروحاته لكتب أرسطو؛ ومرَّ بمحنة عَزلته عن الدنيا ونفته إلى المغرب، وذلك بتهمة الزندقة، وبأنه يهودي أصلا، وهذه كلها مزاعم لا أساس لها من الصحة؛ عُرف بتفكيره العقلاني الذي فتح به النهضة لدى المسيحيين والأوروبيين. من مؤلفاته، فصل المقال، ومناهج الأدلة، وتهافت التهافت، وضاع بعضها وأحرق بعضها الآخر؛ استرجع بعض محبي التراث جزءا منها عن طريق ترجمتها من اللاتينية. للتفصيل، استأنس بكتاب «الإنتاج الفلسفي» : فصل المقال الخاص بالسنة 3 ثانوي.

2 - ويعني هذا، النظر في كل المخلوقات بحيث يتساءل عن أصلها، ومن ثمة سيتوجَّه بالضرورة وفي نهاية مساعيه، إلى الأصل الذي لا أصل وراءه، إلى أصل الأصول وهو الله الصانع الخالق المدبر.

3 - وينطبق الأمر أيضا - و في منطلق البحث - على الأشياء التي يصنعها الإنسان أو الحيوان، ثم يرتقي الباحث إلى ما وراء هاته المصنوعات وهاته المخلوقات المُنتجَة.

4 - فكلما زاد الإنسان في النظر وأمعن في الإبصار والاعتبار، أي كلما اتسعت مساحة علمه، اتضح وجود الله الواحد الأحد.

5 - ندب معناه حث على البحث في الموجودات من هذه الناحية أي قصد الوصول إلى اكتشاف الخالق المنظِّم. ويقدر الفقهاء الندب بالمستحب.

6 - ويقصد به الاستدلال البرهاني الذي يقوم على المنطق السديد الذي لا شبهة فيه.

7 - ابن رشد، فصل المقال، المطبعة الكاثوليكية، ط. 1، بيروت، 1961. ص 27 ، 28.

8 - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (1428-1490 م.)، عالم التوحيد؛ ولد بتلمسان وتوفي بها؛ آمن بالعقل و القلب معا، وكان على مذهب الأشعري؛ ترك ما يقارب الستين كتابا. أهم مؤلفاته عقائده الرباعية (الكبرى، والوسطى، والصغرى، وصغرى الصغرى)، وله المقدمات، والمختصر في علم المنطق، وله مجربات في الطب.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[أي عِلم الكلام] هو ماهِيَاتُ [1] المُمْكِناتِ [2]، مِن حَيْثُ دلالتُها على وُجُوبِ وُجُودِ مُوجِدِها، وصِفاتِه و أفعالِه». [3]

ابن رشد، فصل المقال
ابن يوسف السنوسي، العقيدة الوسطى

أسئلة

1 - قارن بين رأي ابن رشد في تعريف الفلسفة ورأي السنوسي في تعريف موضوع علم التوحيد، مُبيِّنا تطابق علم التوحيد و"علم" الفلسفة.

2 - إذا كان لا بد من تقريب عالم الكلام من الفيلسوف الإسلامي، ما دام كلاهما ينطلق من وجود الله، فماذا تقول؟ حرِّر فقرة، تعبر فيها عى رأيك.

---

1 - الماهيات ج. ماهية، يبدو بانها من اصل هذا السؤال: ما هو او ما هي الاشياء اي ما حقيقتها وما جوهرها؟

2 - الممكنات هي التي يمكن ان توجد و يمكن الا توجد؛ فإن هي وجدت، يكون قد وقع تقرير لوجودها، وصاحب التقرير والوجود هو الله. والوُجُوبُ في المنطق هو الضرورة المتومة عقليا.

3 - محمد بن يوسف السنوسي، العقيدة الوسطى، ط.1، مطبعة التقدم الوطنية، تونس، بدون تاريخ، ص: 53.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل تعليم عقائد التوحيد حَقٌّ للعَوامِّ والخَواصِّ؟]

«أمَّا قولُ بعض مَن لا بَصيرةَ له ولا تحقيقَ، أنَّه لا تُعلَّمُ العقائدُ للعَوامِّ [1] ولا تُذكَرُ لهم بَراهينُها من غَيْرِ فَرْقٍ منه بَيْنَ واضِحِها ـ الذي يُمْكنهم فهمُه ـ وبين غيره، فَواضحُ الفسادِ:

لأنه إذا كانت المعرفةُ واجبةً على الأعْيانِ [2] بإجماعٍ ـ على ما ذكَرَه [3] بالبُرْهانُ ـ فكيف لا يَتأكَّدُ السَّعيُ في تَعْليمِهم ما يُحصِّلُها [4]؟

وإذا جَازَتْ قِراءةُ القُرْآنِ والأَحاديثِ النبَويَّة بِحَضْرتِهم [5] من غيرِ شرْحٍ لهم لِمَعانيها ـ مع أنَّ فيها ظواهرَ يجب تأويلُها بإجماع، وبِسَبَب فهمِها على ظَواهرِها [6]، هَلَك كثيرٌ مِنَ الخَلْقِ ـ لأنْ يَجوزَ تعليمُهم العقائدَ مشرُوحةً بأَدلَّتِها التي تَسَعُها عُقولُهم، أحْرَى بل يَتعيَّنُ في حَقِّهم ذلك؛ لأنَّ التكليفَ بِمعْرفةِ عَقائِدِ الإيمان بالنَّظَرِ الصَّحيحِ [7] لا فرْقَ فيه عِند المُحَقِّقينَ، بَين العامِّيِّ وغيرِه.

---

1 - يرى السنوسي على العكس من ذلك، بأن الناس ـ إذا كانوا يختلفون في الاستعدادات ـ فإنهم يشتركون في الصفة العاقلة. فهو لا يدعو العوام إلى الحق بالموعظة فقط، ولا يُفرد للخواص تعلم آلة العقل والنظر، وإنما يخاطب الجميع بالحجج العقلية والبراهين الصحيحة. والاختلاف بين هذه الطائفة وتلك، إنما في الإجمال والتفصيل.

2 - الأعيان ج عين، أي الفرد؛ وفي الفقه، يميزون بين فرض عين وفرض كفاية؛ الأول واجب على الفرد المكلف كالصلاة مثلا، والثاني تكفي فيه الجماعة (أي عناصر منها)، كرد السلام الذي يكفي فيه بعض الأفراد من الجماعة. وهنا، يذهب السنوسي بأن معرفة التوحيد المؤسسة على العقل فرض عينٍ على كل مكلف شرعا.

3 - على ما ذكره الإجماع.

4 - وعلم التوحيد وسيلة ضرورية لتوصيل وتحقيق المعرفة المفروضة.

5 - أي بحضرة العوام.

6 - هناك بعض ما يحتاج في القرآن الكريم إلى شرح وتاويل بالضرورة، وإلا يكون الأمر مدعاة إلى الانزلاقات، و خاصة منها التجسيم وسوء الفهم الصحيح.

7 - إذن، كل مكلف شرعا، وجب عليه أن يؤسس إيمانه على العقل.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[وعليه، ف] تعليمُ العامَّة العقائدَ الصَّحيحَةَ، ثم تأييدُها مع ذلك، بالبَراهينِ القطعيَّة، المُتَّضِحِ فَهْمُها لَدَيْهم بِطُول التِّكْرارِ الذي يُوجِبُ للنَّفْسِ الطُّمأنينةَ وعَدَمَ قَبُولِها التَّشْكِيكَ بِوجهٍ من الوُجُوهِ، فَلا يخْفَى أنَّ هَذا مِن أعْظَمِ النَّصِيحةِ لهُمْ». [1]

اِبن يوسف السنوسي [2]

أسئلة

1 - حرِّر فقرة تحدد فيها بشيء من الوضوح المشكلة التي يطرحها النص، مبرزا سياقها الفكري العام.

2 - وضح بدقة الحجج التي يَدْحَضُ بها السنوسي الرأي القائل بمنع تعليم التوحيد للعوام.

3 - دافع عن رأي الكاتب بحججك الخاصة، في أربعة أسطر.

---

1 - محمد بن يوسف السنوسي، شرح العقيدة الوسطى، ط.1، مطبعة التقدم الوطنية، تونس، بدون تاريخ، ص:39 و 41.

2 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 20.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[فهل الاختلافُ الموجود بين الفلسفة والشَريعة، يَحُولَ دون اتِّفاقهما؟]

« يَتساءَل الوزيرُ ابْنُ سَعْدٍ :

كَيْفَ يَسُوغُ لإخوانِ الصَّفاءِ [1] أن يَنْصِبُوا مِن تِلقاء أنفُسِهم دَعوَةً تجمع حقائقَ الفلسفةِ في طَرِيقِ الشَّريعَةِ؟

[... ورُوِيَ أن أبا سُليمانَ المَنْطِقِيَّ [2]] قال :« الشريعةُ طِبُّ المَرْضَى، والفلسفةُ طِبُّ الأصحّاء، والأنبياءُ يَطِبُّون لِلمَرضى حتى لا يَتزايَدَ مرَضُهم، ويزولَ المرَضُ بالعَافِيَةِ فقَط، فأمَّا الفلاسفةُ، فإنهم يَحْفَظون الصِّحةَ على أصْحابها حتىَّ لا يَعْتريَهم مرضٌ أصلا. فَبَيْنَ مُدَبِّرِ المريض و مُدبِّرِ الصَّحيح فَرْقٌ ظاهرٌ، وأمْرٌ مَكشوفٌ، لأنَّ غايةَ مُدبِّر المريض أن يَنْتقِلَ به إلى الصِّحَّة [...] وغايةَ مَدبِّر الصَّحيحِ أن يَحْفظَ الصحةَ، وإذا حَفِظ الصحةَ، فقَد أفادَه كَسْبُ الفَضائِلِ وفرَّغَهُ لها [3] [...].

فإنَّ كسْبَ من يَبْرَأُ من المَرَضِ ـ بطِبِّ صاحِبه ـ الفضائلَ [يرتاح] أيضا، [ولكنْ] ليْسَت تلك الفضائلُ من جنسِ هذه الفَضائلِ، لأنَّ إحداها تَقليدِيَّةٌ وأُخرى بُرهانِيَّة ٌ، وهذه مَظْنُونَةٌ [4] وهذه مُسْتَيْقِنَةٌ، وهذه رُوحانِيَّةٌ وهذه جِسْمِيَّةُ[...].

---

1 - هي جماعة ذات نزعة شيعية، ظهرت في القرن العاشر للميلاد، واتخذت مقرَّها في البصرة. وهي تتكوَّن من خمسة مفكرين؛ منهم، أبو سليمان المنطقي (أو المقدسي)، وأبو الحسن الزنجاني، والنهرجوري، والعوفي، وزيد بن رفاعة. اشتهروا برسائلهم الثانية والخمسين، طبعت في خمسة أجزاء، وتلمس فيها نزعة اليونان والفرس والهنود؛ وتناولوا فيها، مبادئ الرياضيات، والمنطق، وعلم النفس، وما بعد الطبيعة، والتصوف، والتنجيم وغير ذلك.

2 - من كبار فلاسفة القرن العاشر للميلاد، صاحب مدرسة فلسفية كبيرة، وهو من تلامذة يحي بن عدي توفي ما بعد 390 هـ (انظر، إخوان الصفا، رسائل، 1، تقديم عبود عليوش). وهو أحد إخوان الصفا، وهي جماعة تألفت في القرن العاشر للميلاد، وكان موطنها البصرة، ولها فرع في بغداد، ولم يعرف من أشخاصها سوى خمسة يتغشاهم الغموض والشك ونجهل أخبارهم نظرا إلى ما كانوا عليه من التستر. (انظر، القسم الرياضي، بطرس البستاني، إخوان الصفاء، أنيس، ص، (3-5).

وجاء في الملل و النحل أن ابا سليمان هذا هو محمد بن مشعر البيستي ويُعرف بالمقدسي واحد من حكماء إخوان الصفاء. تعليق لأحمد فهمي محمد، ج. 3، ص، 18.

3 - أي وتفرَّغ لكسب الفضائل.

4 - والقصد بالمظنونة في السياق، أي القائمة على الإيمان القلبي العميق بالعقيدة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وقال أيضا، إنما جمَعْنا بين الفلسفة والشريعة، لأن الفلسفةَ مُعترفةٌ بالشَّريعة، وإنْ كانت الشريعةُ جاحدةً لها، وإنما جَمَعْنا أيضا بَيْنَهُما، لأن الشَّريعةَ عامَّةٌ، والفلسفةَ خاصَّةٌ، وهُما مُتطابقتان إِحْداهُما على الأُخْرَى، لأنها كالظِّهَارَةِ التي لا بُدَّ لها من البِطانةِ [1]، وكالبِطانة التي لَا بدَّ لها من الظِّهارةِ». [2]

أبو حيان التوحيدي [3]

أسئلة

1 - ارسم جدولا وقسِّمه إلى واديْن، أحدهما خاص بمميزات الفلسفة، والآخر خاص بمميزات الشريعة، واذكرها على أساس التقابل والمقارنة بين الطرفين.

2 - للإحاطة برأي صاحب النص، قدِّم إجابةً منطقية وافية عن السؤال التالي: هل التفلسف هو لجميع الناس، ولماذا؟

1 - الظهارة والبطانة أي ظاهر الشيء وباطنه.

2 - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج.2، الانيس، ص، (12-14).

3 - هو فيلسوف عاش بين (922-1023) له باع طويل في الفقه والتصوف. عاش منبوذا في بغداد، بسبب طبعه وأفكاره؛ وقد اتهم بالزندقة. من مؤلفاته، "الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي" وله "الإمتاع و المؤانسة"؛ وقيل: إن معظم كتبه أحرقها هو بنفسه.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[كيف يُمكِنُ الجمعُ بين الشريعة الربانية والحكمة البشرية؟]

يقول أبو سليمان [1]:

«إنَّ الفلسفةَ حقٌّ، لكنها ليْسَتْ من الشَّريعةِ في شيءٍ، والشريعةَ حقٌّ لكنها ليست من الفلسفةِ في شيءٍ [2]؛ وصاحبُ الشريعةِ مَبعوثٌ، وصاحبُ الفلسفةِ مَبعوثٌ إِلَيْه؛ وأحدُهما مَخصوصٌ بالوَحْيِ، والآخرُ مخْصوصٌ بِبَحثه؛ والأوَّلُ مَكفِيٌّ، والثانِي كادِحٌ؛ [3]

وهذا يَقول: [...] رأيتُ ونَظرتُ واسْتَحسَنتُ واستَقبَحتُ، وهذا يقولُ: نورُ العقلِ اَهْتدِي به؛

وهذا يَقولُ: مَعي نورُ خالِقِ الخَلْقِ أمْشِي بِضيائه، وهذا يقولُ: قال تعالى، وقال المَلِكُ؛

وهذا يقولُ: قال أفْلاطُونَ وسُقراطُ، ويسمَع من هذا ظاهرَ تَنْزيلٍ، وسائغَ تأويلٍ، وتحقيقَ سُنَّةٍ، واتِّفاقَ أُمَّة، ويَسمَعُ من الآخَرِ «الهَيُولَى» [4] والصُّورَةَ والطبيعةَ و«الأَسْطقِس» [5] والذَّاتِيَّ [6] والعَرَضِيَّ [...].

ويقولُ أيضا: مَن أراد أن يتفلسفَ، فيَجبُ عليه أن يُعرِضَ بِنظَرِه عن الدِّياناتِ، ومَن اختار التديُّنَ، فيجب عليه أنْ يُعَرِّدَ [7] بِعنايَتِه عن الفلسفةِ، ويَتحلَّى بهما مُفْتَرِقيْن في مكانيْن، على حاليْن مختلِفَيْن، ويَكونَ بالدِّين مُتقرِّباً إلى اللهِ تعالى على ما أوْضَحَهُ له صاحبُ الشَّريعةِ من الله تعالى، ويكونَ بالحِكْمةِ مُتَصَفِّحا لقُدرةِ الله تعالى في هذا العالَمِ.

---

1 - سبق الحديث عنه في النص رقم: 22.
2 - ولكن في النهاية، كلتاهما حق.
3 - وهذا يفيد التكامل بينهما.
4 - مفهوم أرسطي المقصود به المادة الخام الخالية من أي شكل؛ انظر درس مشكلة الفلسفة اليونانية.
5 - وكذا الأسطقس و هي كلمة يونانية تعني الأصل والعنصر أو بالأحرى العناصر الأربعة وهي: الماء و الهواء والنار والتراب.
6 - الذاتي يعني الجوهري الثابت؛ والعرَضي عكسه وهو الثانوي أو السطحي الطارئ الذي ← لا يتوقف عن التغير.
7 - عرَّد معناه انصرف و انسحب.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[...] ولا يَهْدِمُ أحدَهما بالآخرَ، أعني لا يَجْحَدُ ما ألْقىَ إليه صاحبُ الشريعةِ مُجمَلا ومُفَصَّلا، ولا يَغفُلُ عمَّا استَخْزَنَ اللهَ تعالى هَذا الخَلقُ العَظيمُ [...]، ولا يَتعرَّضُ على ما يَبْعُدُ في عَقْلِه ورَأْيِه من الشريعةِ وبَدائعِ آياتِ النُّبوَّةِ بأحْكام الفلسفة. فإنَّ الفلسفةَ مَأخوذةٌ مِن العَقل المَقصُورِ على الغايَة، والدِّيانةَ مأخوذةٌ من الوحْي الواردِ من العِلْمِ بالقُدرةِ». [1]

أبو حيان التوحيدي [2]

أسئلة

1 - إذا كانت الشريعة حقًّا في سياقها، والفلسفة حقا في سياقها، بيِّن مدى فرص الجمع بينهما.

2 - على ضوء اطلاعك على خصائص الفلسفة الإسلامية، وبناء على النص المطروح أمامك، أجب عن السؤال التالي: إذا كان أهل الشريعة يحترمون الحكمة، وأهل الفلسفة يحترمون الوحي ويؤمنون بالله، فأين المشكلة؟

1 - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج.2، الأنيس، ص، (20-21).
2 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 22.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل كان المسلمون سيَنْبُغون في التفلسف وبناء الحضارة، لو كانوا يمنعون الاحتِكاكَ بالأمَمِ الأخرى، ويَرفُضون حريَّةَ التفكير ؟]

«للإسْلامِ فلسفتُه، وقد ساهَمَ فيها شُعوبٌ كثيرةٌ مُختلِفةٌ [1]، من عَرَبٍ وفُرْسٍ وهُنود وتُرْكٍ وسوريِّين ومِصريِّين، وغيرِ أُولئِك مِنَ الشُّعوبِ التي دَخلتْ تحت لِوَاء الإسلامِ وانتَظَمَتْهُم دولَتُهُ. وقد كان للمُسلمين حَضارةٌ يَحُوطُها دينُهم، وتَرْفعُها عقيدتُهم، ويُهذِّبها ما قبَسُوه مِن نُورِ هَدْيِهم [2]؛ فلا عِراضَ للعِلْم ولا حِرَابَ للفلسفةِ، بل لقد اتَّسعَ الدينُ الإسلاميُّ لِشتىَّ الآراءِ ومُختلِفِ المذاهِب والمشارِب؛ وما كان الدِّينُ الإسلاميُّ يَحْجُرُ على الناسِ طريقَ فِكرِهِم و هو الذي دَعاهُم إلى التَّفْكيرِ وحَفَّزهُم إلى البَحْثِ والدَّرْسِ والتَّنقِيبِ [...]، فدَفعَهم إلى التَّفَكُّر والتَّدبُّر، ودَعاهم إلى التأمُّل والتبصُّر، وقد أهَاب بالناس إلى أن يَنظُروا إلى ما في السَّمواتِ مِن آياتٍ [3] [...]

وقد أفسَح المسلمُون صدورَهم لأولَئِك الذين يُخالِفونهم في عَقائِدِهم فوْقَ ما أباحَهُ الإسلامُ من تَشابُكِ الأرْحامِ ووَشِيجةِ القُرْبَى [...] ولم يجدِ المُسلِمُون من غَضاضة [4]

---

1 - إذا كانت للمسلمين حضارة، فلأنها كحضارة ساهم فيها عدد من الأمم والشعوب التي كانت تؤمن بالقيم الإنسانية السامية.

2 - وكانوا من جهة أخرى، يستلهمون ما أُنزل عليهم من وحي هو كتاب الله.

3 - وهناك عدد من الآيات القرآنية تؤكد هذه الدعوة، منها: «وفي أنفسكمُ ألا تُبصرون» (الذاريات،21)؛ «يقلب الله الليل و النهار إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار» (النور، 44)؛ «فاعتبروا يا أولي الأبصار» (الحشر،2)؛ «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» (آل عمران، 190).

4 - لم يشعروا بأدنى عقدة النقص والذل.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

في أن يَتَتَلْمَذُوا لجماعةٍ من النَّساطِرة [1] أو لِطائفة من اليهود، أو لفرقة من يَعَاقِبَة [2] النصارى وصَابِئةِ [3] المَجوسِ». [4]

تعليق أحمد فهمي محمد (عن المِلَل و النِحَل للشَّهْرَسْتاني [5])

أسئلة

1 - يُعتبر النص الذي هو أمامك، أطروحة يعالج فيها الكاتب السؤال الإشكالي؛ حلل هذه الأطروحة ورتِّب الحجج التي تستند إليها، ورقِّمها، ودعِّمها بأمثلة.

2 - أَنْزِل الآن، بهذه الأطروحة إلى أرض الواقع، واذكر مدى احتياجنا اليوم، إلى هذه السلوكات السامية التي يصف بها الكاتب الثقافة الإسلامية.

---

1 - النساطرة أو الأشوريون هم طائفة من المسيحيين، ينتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية؛ ازدهرت عندهم الحياة الرهبانية، ومنهم انتشرت النصرانية في فارس والهند والصين.

2 - طائفة مسيحية معروفة باسم السريان الأرثوذكس.

3 - الصابئة قوم ذكرهم القرآن الكريم بين أهل الكتاب ومنهم من كان يعبد الكواكب؛ مقرهم في حران بين النهرين؛ خرج منهم علماء وفلاسفة ومنجمون. يقول تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارىو المجوسَ والذين أشركوا إنَّ الله يَفصل بينهم يوم القيامة» (الحج، 17).

4 - عن الملل والنحل للشهرستاني، ج. 3، التعليق رقم، 1، مكتبة الحسين التجارية، ط. 1، 1368 هـ/1948 م. ص، 43.

5 - هو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الفيلسوف المتكلم على مذهب الاشعري. كان إماما مبرزا فقيها. وقد تفرد في علم الكلام وصنف فيه كتبا كثيرة منها، نهاية الاقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، وكتاب المناهج. عاش بين (1076-1153 م).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[متى نأخذ الآيات على ظاهرها، ومتى نُضطرُّ إلى تأويلها؟
وماذا لو اضطررنا إلى التأويل ولم نفعل؟
وماذا لو اتجهنا إلى تأويل الظاهر، أو إلى ما لا يقبل التأويل؟]

« والسَّببُ في وُرُودِ الشَّرْع، فيه الظاهِرُ والباطنُ، هو اخْتِلافُ فِطَرِ الناس وتبايُنُ قَرائحِهم في التَّصْديقِ [1]. والسببُ في وُرُود الظواهِر المُتعارِضة فيه، هو تَنْبيهُ الرَّاسِخين في العِلم على التَّأْويل الجامِع بينَها. وإلى هذا المَعْنى، وَرَدتِ الإشارةُ بقَوْلِه تعالى: «هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ» إلى قوله: «والرَّاسِخون في العِلم» [2]. [...].

وأمَّا الأشياءُ التي لِخَفائِها لا تُعلَمُ إلا بالبُرْهان، فَقدْ تلطَّفَ اللهُ فيها لِعِبادِه الذين لا سَبيلَ لهُمْ إلى البُرْهانُ، إمَّا مِنْ قِبَلِ فِطَرِهم، وإما من قِبل عادَتِهم، وإما من قِبل عَدَمِهم [3] أسْبابَ التَّعلُّم، بأنْ ضَرَب لهم أمْثالَها وأشباهَها ودَعاهُم إلى التَّصْديق بتلك الأمثالِ[...]. إنَّ الظاهِرَ هو تلك الأمثالُ المَضرُوبةُ لِتلك المَعاني، والباطِنَ هو تلك المعاني التي لا تَنْجلي إلا لأهْلِ البُرْهانِ.

[...] إنَّ هَهُنا ظاهِرًا من الشَّرع، لا يَجُوزُ تأويلُه؛ فإنْ كان تأْويلُه في المَبادِئ، فهُو كُفرٌ، وإنْ كان فِيما بعْدَ المبادِئ، فهو بِدْعَةٌ. وهَهُنا أيضا، ظاهرٌ يجِبُ على أهْل البُرهان تأويلُهُ؛ وحَملُهم إيَّاهُ على ظاهِرِه كُفرٌ [4]؛ وتأويلُ غيرِ أهِل البُرهان له، وإخْراجُه عن ظاهِره، كفرٌ في حَقِّهم أو بِدْعَةٌ». [5]

ابن رشد [6]

---

1 - أي التصديق في إمكانية الحكم على أمر بنفي أو إثبات.
2 - يقول تعالى: «هو الذي أنْزَلَ عليك الكتابَ منه، آيات مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتشابهاتٌ، فأما الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتَّبعون ما تشابَهَ منه ابْتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله، وما يَعْلم تأويله إلا اللهُ، والراسخون في العلم يقولون آمنَّا به كل من عِند ربنا وما يَذَّكَّرُ إلا أولوا الالباب» ، آل عمران، 7. وذهب ابن رشد فيما يبدو، إلى أن التاويل يبقى محصورا في الراسخين فقط.
3 - عدمهم أي فقدانهم لاسباب التعلم.
4 - وهنا يؤكد ابن رشد على ضرورة التاويل من قبل اهل البرهان؛ فإذا امتنع هؤلاء عن التاويل في المسائل التي يجب عليهم تاويلها، اصبحوا كافرين.
5 - ابن رشد، فصل المقال، ص، (36. 45-46)
6 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 20.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أسئلة

1 - يتضمَّن القرآن الكريم، الظاهرَ والباطن من الآيات؛ توسَّعْ في إبراز أسباب ذلك.

2 - وضِّح كيف علَّل ابن رشد، ورودَ الظواهر المتعارضة في القرآن.

3 - لخِّصْ بوضوح قواعدَ التأويل التي تُستشف من خلال قراءتك للنص.

4 - كثيرا ما تسمع المتنوِّرين يقولون: اقرؤوا القرآن بِلسان العصر؛ حدِّدْ مَوْقِفًا مؤسَّسا.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل تسْخيرُ الدِّينِ للفلسفة يَحُلُّ مشكلة العلاقة بينهما ؟]

«وهَكذا الشأنُ في العُصورِ الوُسْطَى الأورُوبيَّة [1] : وَجَد العقلُ الإنسانيُّ نفسَه مُغلَقًا عليه داخلَ أسْوارٍ مَتينَة هي أسوارُ العَقيدة الدِّينيَّة، أعْني داخِلَ حِصنِ الإيمان، فكان عليه أن يَقتَصرَ على التَّجْوال بين هذه الجُدْران. ولمَّا بدأ يَشعُرُ بشيءٍ من الحُرِّية، كان عليه مع ذلك، أن يُحدِّدَ مَوقفَه من مَسْألة حقِّ العَقل بإزَاء النَّقْل [2]، أعْني الصِّلةَ بيْنَ نفْسه وبين مَضْمون الإيمانِ المَفروضِ عليه [3]. وكان عليه في أوَّلِ الأمْرِ، أنْ يَقولَ بأنَّ الاتفاقَ تامٌّ فيما بين ما يقولُ به العقلُ، وما أتى به الإيمانُ، لأنَّ الحقَّ لا يتعدَّدُ؛ والفلسفةُ ما هي إلا البحثُ عن الحَقِّ، والحقُّ هو الدِّينُ. لهذا، نَجدُ عِنْدَ الآباءِ الأوَّلينَ أنَّ كلمةَ «لاهُوت» وكلمةَ فلسفة أو «حكمة» تدُلاَّن على أمرٍ واحد، كما هو مُشاهَدٌ عند يُوستِينُوس [4]. ثم تطوَّرت الصِّلةُ شيئا فشيئا، فحاوَل العقلُ أن يُؤكِّدَ كِيَانَه إزَاءَ هذا المضْمون. فبَدأ أولا، بالخُضُوعِ في شيءٍ من الدَّهاء، بأنْ قال: إنَّ الحقيقةَ هي الحقيقةُ الإيمانيَّةُ، غيْرَ أن هذه الحقيقةَ مُجمَلةٌ، فهي في حاجَةٍ إلى التَّفصيل والشَّرح، وكِلاهُما يَتمُّ عن طريقِ العقلِ». [5]

عبد الرحمن بدوي [6]

أسئلة

1 - تصوَّر حوارا بين رجل دين وفيلسوف، تُجسِّدُ فيه الأساليب الاحتيالية المتدرجة التي يستخدمها العقل لإقناع القلب.

2 - بيِّن إيجابيات وسلبيات تسخير الدين للعقل، مع العلم بأنه قد يَتغلَّب أحدُهما عن الآخر.

---

1 - وهي عصور تمتد ما بين سنة (476-1492) أي من بداية سقوط الأمبراطورية الرومانية في العالم الغربي إلى غاية اكتشاف أرض جديدة من طرف خريسطوف كولامب.

2 - النقل يُقصَد به النصوصَ المقدسة التي يجب الإيمان بها عن طريق القلب؛ والعقل هو الحركة الفكرية التي يُستدَلُّ بها عن طريق البرهان.

3 - وهنا تطرح قضية التوفيق بين العقل والقلب في مستوى الفرد أولا.

4 - قديس فيلسوف مسيحي ولاهوتي (Saint Justin 110-165 م.) له الرسائل في الديانة المسيحية.

5 - عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص، 191.

6 - ارجع لترجمته إلى النص رقم : 12.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[إذا تمَّ الاتفاقُ بين النقل و العقل، و طرأ الخلافُ بينهما في بعض المسائل، فالحُكم الفَصْلُ يعود لأيِّهما: للأوَّل أم للثاني؟]

« وإذا كانَتْ هذه الشرَائعُ حقاً، وَدَاعِيَّةً إلى النظَر المُؤدِّي إلى مَعرفة الحَقِّ، فإنَّا ـ مَعشرَ المسلمين ـ نَعْلمُ على القَطْع، أنه لا يؤدي النظرُ البرهانيُّ إلى مُخالَفةِ ما وَرَدَ به الشرْعُ . فإنَّ الحقَّ لا يُضَادُّ الحقَّ، بل يُوافِقُه ويَشهَدُ له [1].

وإذا كَانَ هَذا هَكذا، فإنْ أدَّى النظَرُ البُرهانِيُّ إلى نَحْوٍ مَا مِنَ المعرفةِ بمَوْجودٍ مَا، فلا يَخلُو ذلك المَوْجودُ أن يكونَ قد سُكِت عنه في الشَّرْعِ أو عُرِّف به. فإنْ كان مِمَّا قد سُكت عنه، فلا تعارُضَ هنالك، وهو بِمَنْزِلةِ ما سُكت عنه من الأحْكام، فاسْتَنْبَطَها الفَقيهُ بالقِياس الشرْعِيِّ. وإنْ كانت الشريعةُ نَطقَتْ به، فلا يَخْلُو ظاهرُ النُّطْقِ أن يكونَ مُوافِقاً لما أدَّى إليه البُرهانُ فيه، أو مخالِفاً. فإن كان مُوافِقاً، فلا قَوْلَ هنالك، وإن كان مُخالِفاً، طُلِب هنالك تأويلُهُ. [2]

ومَعْنَى التَّأْويلِ هو إخراجُ دَلالةِ اللفْظِ من الدَّلالة الحقيقيَّةِ إلى الدَّلالة المَجازيَّة [3] مِن غيْر أنْ يُخَلَّ في ذلك، بِعَادَةِ لِسان العَرَبِ في التجوُّزِ، مِن تَسمِيَّة الشَّيءِ بِشَبيهِه أو بسبَبِه أو لاحِقِه أو مُقارِنِه أو غيرِ ذلك من الأشْياء التي عُدِّدَتْ في تعريفِ أصْناف الكلام المَجازِيِّ.

---

1 - إذا نحن انطلقنا:

1. من أن الشرائع حقٌّ وتدعو إلى النظر الذي يوصل إلى الحق،

2. ومن أنه إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن للنظر أي العقل إلا أن يؤيد الحق ولا يخالفه،

3. استنتجنا بالرموز ما يلي: إذا كان (أ) يؤدي إلى (ب) و (ج) يؤدي إلى (ب)، فإن (أ) و (ب) يشتركان في الغاية وهي (ب).

2 - بالإمكان في هذه الفقرة تحليل استدلال ابن رشد، والتمتع بالطريقة البرهانية والعقلانية التي يستخدمها.

3 - ويرى بعضهم بأن العكس هو الأصح أي «من الدلالة المجازية إلى الدلالة الحقيقية» ؛ انظر، الصفحة 35، الهامش رقم: (3).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وإذا كان الفقيهُ يَفعلُ هذا في كثيرٍ من الأحْكامِ الشرْعيَّةِ، فَكَمْ بالحَرِيِّ أن يَفعلَ ذلك صَاحبُ عِلْمِ البُرهان؟ فإنَّ الفَقيهَ إنما عِندَه قِياسٌ ظَنِّيٌّ، والعارِفَ عنده قياس يَقِينِيٌّ.[1] ونحْنُ نَقطَعُ قطعاً أنّ كلَّ ما أدّى إليه البُرهانُ وخالَفَهُ ظاهِرُ الشَّرْعِ، أنّ ذلك الظاهِرَ يَقبَلُ التأويلَ على قانُون التأويلِ العَرَبيِّ. وهذه القضيةُ لا يَشُك فيها مسلمٌ ولا يَرتابُ بها مُؤمِنٌ[2]. وما أعظمَ ازدِيَادَ اليَقينِ بها عِندَ مَن زاوَل هَذا المَعْنى و جرَّبَه وقصَد هذا المقصِدَ من الجَمْعِ بين المعْقولِ والمنْقولِ».[3]

ابن رشد[4]

أسئلة

1 - وضِّح المشكلة التي يعالجها ابن رشد، وصُغْها بأسلوب آخر، وهذا بغرض التمهيد للنص.

2 - حدِّد كتابيا وبدقة ثلاثة أو أربعة مقاطع منطقيةً يبرهِن بِها ابن رشد على التقارب بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية.

3 - أصدِر حُكما تُصنِّف فيه توَجُّه الأطروحة الرشدية: هل الدين يحكم العقل أم العقل يحكم الدين أم الحكم لهما معا؟

1 - ويلاحظ هنا، أن ابن رشد يستعمل مبدأ التفاضل في البرهان إذ لما كان الفقيه يستنبط الأحكام الشرعية بالقياس، فلماذا لا يُسمح لأهل النظر أن يصنعوا بالمثل، خصوصا وأن قياس هؤلاء برهاني وليس ظنيا، كما هو الشأن لدى الفقيه.

2 - وإذا وقع خلاف بين العقل وظاهر الشرع، تعيَّن تاويلُ الظاهر طبقا للمألوف العربي.

3 - ابن رشد، فصل المقال، ص، (35-36).

4 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 20.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل للعقل الاستعدادُ الكافي للخوض في الماوَرائيَّات؟]

«العقلُ ميزانٌ صحيحٌ؛ فأحكامُه يقينيَّةٌ لا كَذِبَ فيها [1]. غيْرَ أنَّك لا تَطمَعْ أن تَزِنَ به أمورَ التوْحيد والآخِرَةِ، وحقيقةَ النبوَّةِ وحقائقَ الصِّفاتِ الإلَهيَّةِ وكلَّ ما وَراءَ طَوْرِه [2]، فإنَّ ذلك طمَعٌ في مُحالٍ؛ ومِثالُ ذلك، مِثالُ رَجُلٍ رأى الميزانَ الذي يُوزَنُ به الذهَبُ فطَمِعَ أن يزِنَ به الجبالَ؛ وهذا لا يُدرَكُ على أنَّ الميزانَ في أحْكامِه غيرُ صادقٍ، لكنّ العقلَ قد يَقِفُ عِنْده، ولا يَتعدَّى طَورَه حتى يكونَ له أن يُحيطَ بالله وبصِفاته، فإنه ذَرَّةٌ من ذَرَّاتِ الوُجود الحاصِلِ منه [3].

وتَفَطَّنْ في هذا الغَلَط ومَنْ يُقدِّمُ العقلَ على السَّمْع في أمْثالِ هذه القَضايا وقُصُورِ فهمِه واضمِحلالِ رَأْيِه! فَقَدْ تبيَّنَ لكَ الحقُّ من ذلك، وإذ تبيَّنَ ذلك، فلَعلَّ الأسبابَ إذا تجاوَزتْ في الارْتِقاءِ نِطاقَ إدْراكِنا ووُجُودِنا، خرَجَت عن أن تكونَ مُدرَكةً، فيَضِلُّ العقلُ في بَيْداءِ الأوْهامِ، ويَحارُ ويَنْقَطِعُ [4].

فإذن، التَّوْحيدُ أو العَجْزُ عن إدْراكِ الأسْباب وكَيفِيَّاتِ تأثيرِها، وتَفْويضُ [5] ذلك إلى خالِقِها المُحيطِ بها - إذْ لا فاعلَ غيرُه، وكلُّها ترتقِي إليه، وتَرجِعُ إلى قُدْرتِه - وعِلْمِنا به، إنَّما هو من حيث صدورُنا عنه؛ وهذا معْنى ما نُقِل عن بعض الصِّدِّيقين

---

1 - هذا اعتراف صريح بالإيمان بالعقل.

2 - ولكن العقل مجاله محدود؛ وذلك لانه لا يستطيع أن ينال الموضوعات التي تخرج عن ولايته كمسالة الألوهية وما تفترضه من علوم.

3 - لا يجب أن نغترَّ بنعمة العقل بحيث نستعمله في كل المجالات؛ إن له حدودا يجب الوقوفُ عندها.

4 - فالاحتكام إلى العقل في أمور تتجاوزه قد يزعج العبد وينشر في نفسه الاضطراب وفي قلبه البلبلة.

5 - إذن، إن ابن خلدون يفضل تفويض الأمر لله في هذا النوع من المسائل الخاصة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[وهو]: العَجزُ عن الإدراكِ إدراكٌ. ثم إنَّ المُعتبَرَ في هذا التَّوحيدِ، ليس هو الإيمانُ فقط، الذي هو تصديقٌ حُكْمِيٌّ - فإنَّ ذلك مِنْ حَدِيثِ النفسِ - وإنما الكمالُ فيه، حُصُولُ صِفةٍ منه تتكيَّفُ بها النَّفسُ»[1].[2]

عبد الرحمن بن خلدون[3]

أسئلة

1 - حدِّد للعقل المجالات التي تناسبه، مبرزا بالأمثلة الحدود التي يقف عندها.

2 - بيِّن في تحليل وجيز، النزعة الواقعية والعلمية التي يأخذ بها ابن خلدون، وكيف حل مشكلة المعرفة الماورائية بالتَّفْويض.

3 - تأمَّلْ وأجبْ عن هذا التساؤل: إذا كان العقل عاجزا في مجال العقائد عن إدراك الألوهية مثلاً، فكيف وبمَ نتوصَّلُ إلى الإيمان؟

1 - فالقضية تتعلق بالإيمان النفسي ولا علاقة لها بالعقل إطلاقا.

2 - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الكتاب الأول، الباب 6، الفصل 10، ص، 460.

3 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 18.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هلِ الفلسفةُ عبر العصور متواصلةُ الحلَقات أم مُتقطِّعةٌ؟]

« اتَّجَهَ الفِكرُ في عَصْرِ النَّهْضَةِ [1] إلى إحْيَاء التُراث الفلسفِيِّ اليُونانيِّ والرُّومانِيِّ - بترْجَمَةِ كُتُبِ مُفكِّري العَرَبِ وفَلاسِفتِهم في العُصور الوُسطى - واقْترَن هذا بالاعتِزازِ بالعَقلِ الذي كانتِ السُّلُطاتُ الدِّينيةُ في أورُوبا قد استعْبَدَتْهُ وقيَّدتِ انْطلاقتَه، والنُّزوعِ إلى استِقاءِ الحَقائِقِ مِنَ التَّجْرِبةِ، واستوْعَبت فلسفةُ العَصْرِ هذه المَجالاتِ.

فلَمَّا بَدأ العصرُ الحديثُ [2]، تطلَّع الفلاسفةُ إلى إنْشاءِ فلسفةٍ جديدةٍ، أقامَها أصحابُ الاتِّجاه العقليِّ على العقل، وأقامَها أصحابُ الاتجاه التجْريبيِّ على الملاحَظة والتجرِبةِ [...]؛ فقد اتَّجهتْ إلى البحث في المَعرفةِ [3] واهتمَّت بدِراسةِ طبيعتِها [...] حوْل أدَوات المَعرِفةِ ومَصادِرِها [...] وحَوْلَ إمْكانِ قِيامِ المعرفة الصَّحيحة [...]، وإنْ كان من المُمكِن أنْ يُقالَ: إنَّ الفلسفةَ القديمة، قد اهتمَّت بالوجُود [4]، ونظرَت إلى المَعْرفة من خلاله؛ أمَّا فلسفةُ المُحْدَثينَ، فقد عَكسَتِ الآيةَ حِينَ اهتمَّت بالمعرفة، ونظرَتْ من خِلالها إلى الوُجود [5].

---

1 - (La renaissance) بين القرنين 15 و 16.

2 - وهو عصر يبدأ مع فرنسيس بيكون (1561-1626) وديكارت (1596-1623).

3 - وفي مجال مبحث المعرفة هذا، يقع هذا النوع من التساؤلات: هل في وُسع الإنسان أن يدرك الحقائق وأن يطمئن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته، أم أن قدرته على معرفة الأشياء مثارٌ للشك؟ وهل المعرفة البشرية ممكنة وما حدودُها؟ أهي احتمالية ترجيحية أم أنها تتجاوز درجة الاحتمال إلى مرتبة اليقين؟ ثم ما منابع هذه المعرفة وما أدواتها: أهي العقل أم الحس أم الحدس أم (الوحي)؟

4 - الوجود من حيث هو وجودٌ على الإطلاق حيث يقع التساؤل: هل ما يجري في العالم يهدف إلى غايات أم يتم بصورة عفوية من غير قصد ولا تدبير، وهل هناك إله وراء عالم الظواهر المتغيرة، وهل الوجود مادي صرف أو روحي خالص؛ أما العلوم (الطبيعية) فتبحث في الوجود من حيث هو جسمٌ متغير، والرياضيات من حيث هُوَ كمٌّ أو مقدار، أي من حيث هي ظواهر الوجود.

5 - إذا تحدد موضوع الفلسفة الميتافيزيقية بالوجود اللامادي، تحتم أن يكون منهج البحث فيه عقليا استنباطيا، ولا يمكن أن يُعالَجَ مثلُ هذا الموضوع بمناهج التجربة؛ وإذا تحدد موضوع العلم الطبيعي بالجزئيات المحسوسة، كان أنسبَ منهج لدراستها اصطناعُ المنهج التجريبي.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[وإذا كانت] فلسفةُ المُحدَثين قد اتَّجهت إلى المعرفةِ باعْتبارِها شاملةً للوُجُودِ، فإنَّ فلسفةَ المُعاصرين قد ضَاقتِ بِتبْديدِ النظَرِ العقليِّ في الوُجود العامِّ ومعرفتِه، وحوَّلت التفكيرَ إلى دِراسةِ الإنسان في وجودِه الواقعيِّ، واختَلفَت في هذا وِجْهاتُ النظَرِ بين مَدارِسِ الفكرِ الفلسفيِّ المعاصِرِ. [وحَسْبُنا أن نُشيرَ...] إلى أن إميل برِييه [1] يَقُول في تَأَرْجُحِ اتجاهات الفلسفة المُعاصِرةِ خِلالَ نِصْف القَرنِ المُنصَرِم: إنَّ هذه الاتجاهاتِ تَتميَّزُ بوجهٍ عامٍّ، بالنُّزوعِ إلى مُقاوَمةِ الآليَّةِ واحْتِضان النزعةِ الإنسانية [2]، والنُّفورِ من الاعْتِقاد بأن الطُّرقَ المادِّيةَ وتطْبيقاتِ العُلوم الإنسانيةِ تتكفَّلُ بحَلِّ جَميعِ المَشاكِل التي تُقلِقُ الإنسانَ [3]. و لكنْ نرَى أنَّ هذا الحُكمَ يَنطبِقُ على بَعْضِ الفلسَفاتِ المُعاصِرةِ، ولا يَنْسحِبُ على بعضِها الآخَرِ». [4]

توفيق الطويل [5]

أسئلة

1 – اكتب مقدمة تمهد فيها للنص، متَّبِعا الخُطة التالية وهي:

أ ـ اختيارُ وتحديد الإطار الفكري المناسب؛

ب ـ صياغةٌ شخصية للمشكلة الفلسفية؛

ج ـ التصريحُ بالخطة التي يتبعها النص في محاولة حل المشكلة.

2 – إن اهتمامات الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة لم تكن واحدة؛ وضِّح لماذا وقع الانتقال من العقل مثلا، إلى التجربة، ومن الكون إلى الإنسان؟

---

1 - (Emile Bréhier)

2 - اتجه الاهتمام إلى الإنسان من حيث هو إنسانٌ، أي من حيث إنه مصدرُ تساؤلٍ عن ذاتيته و مصيره وأسباب قلقه.

3 - Emile Bréhier, les thèmes actuels de la philosophie (1954), P. 6.

4 - توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ط. الخامسة 1967، دار النهضة العربية، القاهرة، ص: (53-55)

5 - هو أحد عمداء أساتذة الفلسفة في مصر؛ درَّس وحاضر في جامعة القاهرة، وكانت جملة انشغالاته منصبة بوجه الخصوص، على الفلسفة والدين والتصوف؛ ومن المؤلفات الكثيرة التي تزْخَرُ بها المكتبة العربية، الفلسفة الخلقية، وقصة النزاع بين الدين والفلسفة، وقصد الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، والشعراني إمام التصوف، إلى جانب أسس الفلسفة و مساهماته في الترجمة ونشر عدة مقالات.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل تخلُّف الفلسفة عن أداء رسالتها في مُواكبة تطلُّعات الإنسان، يُؤذِن بانسحابها؟]

«إنَّ ما يُثيرُ الشُّكوكَ حَوْل مُستقبَلِ الفلسفة في عَصْرِنا، هو جُملةُ المَخاطرِ والتهديداتُ التي لا يُمكنُ اعتبارُها، على أيَّة حالٍ، علاجاً لأزْمةِ الرُّوح [1]. وقد كان من غيرِ المُمكن مُقارنةُ ثقافتِنا بثقافةِ القُرُونِ الخاليَةِ، بدون شُعورٍ عميقٍ بالمَرارَةِ والقلَق؛ فبَيْن عَظَمة الاكْتشافات العلميَّةِ وتطبيقاتها التقنيَّةِ، وفَراغِ مَدلُولها الإنسانيِّ، [2] يَزدادُ اللاتَوازُنُ بِشَكلٍ مُريع. وهذا ما يُترجمُه على أرْض الواقع، ذلك التَّدَهْوُرُ الأخلاقيُّ لحضارةٍ تَتَسارَعُ فيها الفتوحاتُ الجديدة الخارقةُ.

وعِنْد مُقارَنةِ تحْليلاتِنا الفلسفيَّةِ بمَثيلاتِها في الأنْساقِ الفِكريَّة القديمة، يَتبيَّنُ أنها، وإنْ كانت ثَريَّةً بالإجَابات المعرفيَّةِ والعِلْميَّةِ والتفْسيراتِ العَميقة أحْيانا، فقد ظَلَّت مُبعثَرَةً مُتناثِرةً تَعمَلُ، طِبْقا لِهُويَّتِها الخاصَّةِ بها، على تَفادِي المَسائِلِ الحَيويَّةِ لِعَصْرِنا.

ولا شكَّ في أنَّ الفَلْسفةَ لا تُمثِّلُ صيغةً للإجابَةِ بِقدْرِ ما هي نَسَقٌ من المَعارِفِ: إنها، بامْتِدَادِها نَحْوَ الأزَليَّة، تَعْبيرُ الإنْسَانِ الفَرْدِ عَنِ انْشِغالاتِه وتوَجُّساتِه، وتعبيرُ المجتمَعِ عن حاجاته المتنوِّعةِ. ولكنْ، لا الفلسفةُ ولا العِلمُ بِقادِرَيْنِ، كلٌّ بمُفرَدِه، على الحَدِّ من قلَقِ الإنسان المعاصِر أو الإيفاءِ بحاجاته الرُّوحيَّةِ». [3]

بيار دُوكَسِّي [4]

---

1 - لقد كان للفلسفة بمعناها التقليدي، الفضل في توجيه الناس إلى قيم الحق والخير والجمال؛ وكانت تنهض بأداء مهام اجتماعية؛ واليوم، يبدو أن الاهتمامات التي كان يجب على الفلسفة أن تحملها، وهي اهتماماتها بالحياة الروحية والأخلاقية، أصابها الفتور وأضحت راضخة تحت رحمة التقدم اللامتَّزن للصناعة الوحشية المخيفة.

2 - وعلى الرغم من اهتمام بعض الفلسفات بالإنسان كإنسان مثل الوجودية والظواهرية، إلا أن الفراغ الروحي ما يزال يشغل أعماق هذا الإنسان المتأزم.

3 - الفلسفات الكبرى (115 .Pierre Ducassé, Les grandes philosophies, 15ème édition, PUF,Paris 1976, p-
.(116

4 - مفكر معاصر يهتم بالفكر الفرنسي بوجه أخص؛ من أهم مؤلفاته، الفلسفات الكبرى، وهو كتاب اجتاح العالم وطبع أكثر من خمس عشرة مرة، وتاريخ التقنيات، و(دراسة حول حياة وأفكار) مالبرانش، والمنهج والحدس عند أوغست كونت.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أسئلة

1 - قارِنْ بين مهام الفلسفة في عهد اليونان، وما بقي لها منها في العصر الحالي.

2 - ولَكَ أن تتساءل أيضا، وتجيب: إذا فقدت الفلسفة اليومَ، الكثيرَ من شُمُوليتها ونَسقيَّتها، فكيف تتصوَّرُ مصيرها في المستقبل؟

3 - اكتب فقرة، تعبِّر فيها عن المهام الجديدة التي تتولاها الفلسفة، محترما في ذلك، الاتجاه الذي يتطلع إليه صاحبُ النص.

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

في المذاهب الفلسفية

كيف يمكن فهمُ الإشكالية القائلة، بأنه قد تختلف مضامين المذاهب الفلسفية، ولا تختلف صورها المنطقية التي تؤسسها؟

31 - بين العقل والحَدْس

32 - أهل الذَّوْقِ

33 - القلب والعقل

34 -بين العقل والواقع

35 - المذاهب

36 - البَرَاغْمَاتِيَّةُ

37 - الوُجودية

elbassair.net
elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مدخل

إن المصدر الذي ينهل الإنسان عن طريقه المعرفة، ليس واحدا؛ فهو أربعة أنواع: العقل، والتجربة، والحدس، والوحي. فأيٌّ هذه الأنواع يُعتبر الأصل الأول والأكثر وثوقا؟

■ مع العقلانية و التجريبية

إذا كان لكلٍّ من المذهبين: العقلاني والتجريبي ـ في مجال مصدر المعرفة ـ نسقُه المنطقي،

وإذا كان لا يُعقل ـ لهذا السبب ـ رفضهُما أو رفض أحدهما،

فأيُهما نتبنَّى، وأيهما نرفض، وهل يجوز الأخذُ بهما معا، على الرغم من تنافرهما؟

ما مصدر المعارف التي يحملها الإنسان؟ فهل هو العقل أو التجربة؟ فإن كان العقل هو المصدر الحقيقي للمعرفة، فهل معنى هذا، أنه كان سيكون المسؤول عن ذلك، حتى في حالة غياب التجربة؟ وإن افترضنا أن التجربة هي المصدر، فكيف تتشكل المعرفة من غير عقل؟ ومهما كانت الإجابة عن هذه الأسئلة، فالأمر الذي يهمنا هو: أيهما أسبق إلى ذلك، العقل أم التجربة؟

كيف تدرَك الحقائق بالحدس، ومن غير مقدمات؟ إن بعض القضايا التي يحكم بها العقل، قضايا لا يتطرق إليه الشك، وتصدق في كل زمان ومكان؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ثم هل تستطيع التجربة أن تنشئ في العقل، المعاني والتصورات؟ وهل لها القدرة على خلع صفة الصدق على ما تبتدعه من معرفة؟ وهل العلم في كل صوره، يرتد إلى التجربة؟

■ مع المذهب البراغماتي والمذهب الوجودي

أيُّ المَسْعَيَيْنِ نحتاج إليه، المسعى الدَّاعي إلى العمل النافِع في الحياة أم المسعى الداعي إلى رجوع الإنسان إلى ذاته الباطنية لتحقيق ماهيته ومن ثمة، تحمله تبعات كلِّ ما يترتب عن ذلك من قلق؟

هل التفكير الفلسفي الصحيح هو الذي ينشغل بتساوق المبادئ مع نتائجها وبانطباق الفكر مع نفسه أم هو الذي يصادق على تطابق الفكر مع الواقع الحسي؟ هل هو الذي ينسحب إلى البُرْج العاجي أم الذي يتجه إلى العمل، ويستجيب لحاجات الإنسان اليومية، وكم هي كثيرة؟ وماذا يبقى للمبادئ والأوليات من معنىً، إن لم تَنْتَهِ إلى النتائج الصالحة والغايات المفيدة؟ وأيُّهما أحسن، الفكر للفكر أم الفكر للعمل؟ وهل الصدق الرياضي أو الصواب النظري صدق وصواب، إن لم يكن وسيلة لحل إشكال؟

لماذا وقع الاهتمام بالوجود من حيث هو وجود، على حساب الإنسان؟ وهل مَن اهتم بهذا الإنسان، أعطاه حقه من التأمل، كإنسان من حيث إنه يتميز عن كل الموجودات؟ أليس الأحقُّ

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كانت المعرفة، علامتُها الدليلُ العقلي أو التجريبي، فما دليلُ المعرفة الحدسية؟]

«فِي حَديثِنا عن المَذهب العَقليِّ، [أشَرْنا] إلى أنَّ أصحابَه يَرُدُّون المَعرفةَ الصَّادقةَ إلى الحَدْسِ [1] والاستِنْباط [2] العقليِّ. ولكنْ بين المُحدَثين مِن الفلاسِفةِ مَن رَدَّ المعرفةَ إلى الحَدْسِ وَحْدَه، وَعُرف هذا الاتجاهُ أوْضحَ ما يكونُ، في العُصور الوُسطى عِند صُوفيةِ [3] الإسْلامِ كذلك؛ فقَدْ كانوا - مع اعترافِهم بأنَّ مِن مَعارِفِنا ما يَرْتدُّ إلى الحِسِّ، ومنها ما يَرجِعُ إلى العَقْلِ - مُتَّفقين على أن المعرفةَ الحِسِّية أدْنَى مَراتِبِ المَعْرِفَةِ وأكثرُها تَعرُّضاً لِلخَطأ [4]؛ وأنَّ المعرفةَ التي يُزَوِّدُنا بها العَقلُ بِاسْتِدلالاتِه المَنطِقيةِ أدْعَى إلى الثِّقَةِ وأكثرُ أمَاناً [5]؛ إلا أنَّ لِلعقلِ نِطاقًا لا يَستطيعُ بطَبيعتِه أن يَتجاوَزَ حُدودَه؛ وَوَرَاءَ هذا النطاقِ مَجالٌ يُمكنُ ارْتِيَادُ مَجاهِلِه بِنَوْعٍ مِنَ الإدراكِ، يَقومُ فَوْقَ مَدارِكِ البشَرِ - الحِسِّيَّةِ والعَقليَّةِ مَعاً - ذلك هُوَ الإدراكُ الحَدْسِيُّ. وقدْ قَابَل الصُّوفِيَّةُ بَيْن العِلمِ الذي يَجيءُ عن طَريق الإدْراكِ الحَدْسِيِّ والعِلمِ الذي يجيءُ عن طريقِ البُرهانِ

---

1 - ولقد سبق أن قلنا، بأن الحدس هو المصدر المعرفي المطلق الذي لا يتقيد بقواعد منطقية ولا ضوابط اجتماعية؛ فهو نوع من الإلهام أو الوحي الذي ينزل على الإنسان، فيجعله يكتشف معارف لا يقوى على إنتاجها العقل ولا التجربة؛ فهو معرفة مباشرة وذاتية من غير وسائط. وفي سياق النص، يتفق علماء المنطق على أن الانتقال في القياس مثلا، من مقدمة إلى أخرى يتم بالحدس لا بالعقل؛ ويكون معنى هذا أنه لا استدلال من غير نوع من الحدس. هذا فضلا، عن حدس البديهيات التي تفرض نفسها على العقل دون برهان ولا مناقشة.

2 - والاستنباط هو الاستدلال، والكلمة منتشرة في لغة علماء الفقه والشريعة بوجه أخص.

3 – وهم أهل الذوق كما يقولون أنفسهم، أو الكشف حيث تنكشف الحقيقة انكشافا من غير إعمال عقل ولا استدلال.

4 - المعرفة الحسية هي التي تأتينا عن طريق الحواس الخمس انطلاقا من العالم الخارجي أو التجريبي. وهي أكثر المصادر المعرفية تعرضا للخطأ، لأنها نسبية أي أننا يختلف بعضنا عن بعض في هذا الإدراكي الحسي.

5 - لأن العقل ملكة مشتركة لدى جميع الناس، تحكمه قواعد ومبادئ صارمة لا يحيد عنها أحد.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

العقليِّ، ويَتيَسَّرُ أوَّلُهُا للأنْبياءِ - عن طريق الوَحْي [1] - وللأوْلياءِ - عن طريق الإلْهَامِ [2] - ومع بَعضِ النَّاسِ نَمُوذجٌ منه، يَبدُو ضَعيفاً في الرُّؤيَا الصَّادِقةِ [3] ». [4]

توفيقُ الطويل [5]

أسئلة

1 - اكتب فقرة تحدد فيها المشكلة مبرزا موقع الإحراج فيها.

2 - رتِّب مصادر المعرفة الثلاثة، ورتبها من الأصدق إلى الصادق إلى الأقل صدقا، وعلِّل ذلك.

3 - تأمَّلِ السؤال الآتي، وأجب عنه: إذا لم تكن المعرفة حِكرا على الحواس ولا على العقل، فكيف نصدق خطاب الحادس؟

4 - لتقويم النص، أجب عن هذا السؤال: هل أجاب الكاتب عن الإشكالية المطروحة؟

---

1 - الوحي أصلا، هو ما يُلقيه الله إلى أنبيائه بالكلمة مباشرة، أو بالكلمة والقبض والجذب عن طريق الملائكة؛ وقد يؤيد ذلك بالمعجزة. والحقيقة أنه يختلف عن الحدس الذي يتحدث عنه الفلاسفة وعلماء النفس من حيث إن الوحي مصدر معرفي رباني.

2 - وهذا الإلهام يؤيده الله بالكرامات كما يذهب إلى ذلك الجمهور من أهل السنة والجماعة.

3 - الرؤيا بمعنى الرؤية بالتاء المربوطة إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة.(انظر، تفسير الكشاف للزمخشري، سورة يوسف، 05)؛ فالرؤية لليقظة والرؤيا - بدون تاء مربوطة - للمنام. وقد تكون الرؤيا لدى الأنبياء في اليقظة، وقد تكون في النوم؛ وقد يكون بعضها في هذه الحالة، نوعا من الوحي الرباني.

4 - توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ط. الخامسة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967، ص، (368-369).

5 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 29.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل نستطيع أن نفهم بالعقل، التجرِبَةَ الذَّوْقِيَّةَ التي تَنْفَلِتُ من مَوازين العقل؟]

«وَإذا كان أهْلُ السُّنةِ يَستمِدُّون عِلمَهُم عن الكتابِ والسُّنة، والمتكلِّمون يَرَوْنَ أن العِلمَ تَفَقُّهٌ، والفلاسفةُ يَعتبِرُون العقلَ مَصْدَرَ المَعْرِفَة، فإنَّ الصُّوفيَّةَ يَقولُون إن العِلمَ اليَقِينِيَّ يَجيءُ عَنْ طَريقِ الحَدْسِ (أو الذَّوْقِ أو الكَشْفِ أو العِيَانِ أو الوِجْدانِ كما يقول الصُّوفيةُ)، ولا يَصْدُرُ عَن مُعلِّمٍ أو تأمُّل عَقلِيٍّ أو خِبْرَةٍ حِسِّيَّةٍ؛ و هو يُقابِلُ العِلمَ الذي يَجيءُ عن طَريقِ البُرهانِ العقليِّ عِند الفلاسفةِ والمُتكلِّمين معا؛ إنه يُلْقَى في قَلْبِ الصُّوفيِّ إلقاءً، فيَذوقُ مَعَانِيه ولا يستطيعُ وَصْفَها و لا الإفصاحَ عنها، وكُتُبُ الصُّوفِيَّةِ حافِلةٌ بِوَصْفِ هذا العِلمِ اللَّدُنِّي [1] وبَيَانِ خصَائصِه، وعَوائقِه، وطُرُقِ التوَصُّل إليه.

ومِن الصُّوفية مَن أدْرَكَهُم حَالُ الفَناءِ [2] عن النفْسِ، وعن كلِّ مَا سِوَى اللهِ، فلَمْ يَشهَدوا إلا اللهَ (مذهبُ وَحدَة الشُّهودِ):

فانْتَهَوا إلى القَوْل بالاتِّحادِ [3]، اتِّحادِ النَّاسُوتِ باللاهُوتِ أي اتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهِيَّة كما ذهب [إلى ذلك]، أبُو زيْد البُسْطامِي [4]؛

---

1 - العلم الرباني الذي لا ينكشف سره ولا يدركه إلا المتقربون من الله تعالى.

2 - وحال الفناء طرق متعددة ومتنوعة تختلف باختلاف أصحابها.

3 - الاتحاد هو اتحاد الخالق والمخلوق. وهو يشبه وحدة الوجود. ومن أنصاره ابن الفارض (1180-1234 م.)، الشاعر الصوفي الذي إذا حضر مجلسا، استولى السكون على أهله، وإذا أراد النظم أصابته غيبوبة؛ قيل إن بعضها كان يستغرق عشرة أيام، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك.

4 - هو من أصل فارسي؛ كان يكثر الكلام في الاتصال بالله والتفكير فيه. ويبدأ بفكرة كانت من أركان الصوفية فيما بعد، وهي فكرة الفناء في الله. وفكرة الفناء قديمة ومعروفة في الديانة البوذية، وهي تسمى عندهم «نرفانا» (Nirvana) وهي درجات لدى الصوفية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أو القولِ بالحُلولِ [1] أي حُلولُ الله في مخْلُوقاتِه كما ذهب [إلى ذلك] الحَلاَّجُ؛

أو القولِ بِوَحْدَةِ الوُجودِ [2]: إنَّ اللهَ والمَخلوقاتِ حقيقةٌ وَاحِدةٌ، هِي عِلَّةُ نفْسِها ومَعلولَةٌ لِنفسِها، كما قال ابْنُ عَرَبِي؛ وإنْ جاءَ مَذهبُه في صَحْوَتِه، وليس في حالِ فَنَائِه». [3]

توفيق الطويل [4]

أسئلة

1 - حرِّر كلمة عن التصوف ومصدره بالمقارنة مع المعرفة العقلية والعلمية والفلسفية.
2 - المتصوِّفُ يشعر بمتعة في تجربته الذوقية (أو تجربته الحدسية الروحانية)، بيِّنْ ما يبرر ذلك.
3 - ميِّز بيْن العلم لدى العلماء والعلم اليقيني لدى أهل التصوف معتمدا على ما قرأته في المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي.

---

1 - مذهب الحلول (infusion) معناه أن الله و العالم امتزجا، وأن الله والقوة الداخلية الفاعلية في العالم مترادفان. وأصحاب هذا المذهب يقولون: ليس في العالم وجودان بل وجود واحد والله هو العالَم و العالَم هو الله. و من أنصاره أبو المُغيث الحسين الحلاج (858-922 م) الذي اتُّهم بالشعوذة، فعُذِّب وصُلب؛ والذي اختلف المسلمون في الحكم عليه، وقد اشتهر عنه البيتان التاليان:

أنا مَنْ أَهْوَى ومن أهوى أنا * نحنُ روحان حلَلْنا بدنا
فإذا أبْصرتَه أبصرتـــني * وإذا أبصرتني أبصرتنا

2 - ومعنى وحدة الوجود أن يفنى المحب في محبوبه ويحبه بكل قلبه حتى لا يكون هناك فرق بين محب و محبوب. ومع ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني، أخذت وحدة الوجود معان شتى.
3 - توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ط. الخامسة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967، ص، 369.
4 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 29.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[ماذا لَوْ اكْتَشف الاستدلالُ
بأن مبرِّرَ وجودِه مُتَوَقِّفٌ على نشاط القلب ؟]

«إنَّ لِلقلب أدلَّته المَنطقِيَّةَ [1]، وهي أدلةٌ لا يَعرفُ عنها العقلُ شيْئًا. فنحْنُ نَعْرِفُ ذلك، في آلافِ الأشْياءِ [2][...].

والقلبُ هو الذي يُحِسُّ باللهِ [3] وليس العقلُ. وهذا هو الإيمَانُ: «اللهُ يُدرَكُ بِالقَلْبِ» [...].

فنَحْنُ نَعْرِفُ الحقيقةَ، ليْس فقطْ بالعَقلِ، وإنما بالقلْبِ أيضا [4]. وبهذا الشكلِ الأخير، نَعرفُ المَبادِئَ الأُولَى، وهِي تلك التي يُحَاوِلُ مُحَارَبَتَها الاستِدْلالُ عَبَثاً، والتي لا يَمْلِكُ فيها أيَّ نصيبٍ [5]. والشُّكَّاكُ [6] الذين لا يَملِكون في مجال اهتِمامِهم سِوَى هذا الشكلِ، لَيَعْبَثُونَ فِيه. ونحْنُ نَعرِفُ أنَّنا لا نَحْلُمُ بَتاتاً، إذْ مَهما كان عَجزُنا في البَرْهنَةِ عليه بالعقلِ، فإنَّ هذا العجزَ لا يَخلِصُ إلى شيءٍ آخَرَ سِوَى ضُعفِ عُقولِنا، وليسَ إلى لايَقِينِ مَعارِفِنا كلها كما يَزعُمُون؛ وذلك، لأنَّ مَعرِفةَ المَبادِئِ الأُولَى - كوُجودِ المكانِ والزمانِ والحَرَكةِ والأعْدادِ - تُماثِلُ في عُمْقِ رُسُوخِها، المَعارفَ التي تُمُدُّنا بها استِدْلالاتُنا. وعلى هذِه المَعارِفِ القلبيَّةِ والغريزيَّة [7]، يَعْتَمِدُ العقلُ، وعَلَيْها يُؤسِّسُ خِطابَه. (إنَّ القلبَ يُحِسُّ أن هُناك أبْعاداً ثلاثةَ للمَكان، وأنَّ الأعْدادَ لانِهائِيَّةٌ، وأن العقلَ يُبَرْهِنُ بَعْدَ هذا، أنه لا وُجودَ لِعَدَدَيْن مُرَبَّعَيْن

1 - وأدلته المنطقية هي مجرد الحدس والإلهام والتعرف المباشر على ما هو بديهي لا يحتاج إلى منطق العقلانيين ولا منطق التجريبيين من الفلاسفة.

2 - هذا يعني أن مجال القلب ليس محدودا ولا ضيقا.

3 - وهذه حقيقة يذكرنا بها بسكال؛ لان العقيدة في الواقع هي أولا اعتقاد وإيمان ثم اقتناع.

4 - وهو هنا لا ينكر منزلة العقل؛ إنما أراد أن يذكر بأن للقلب هو الآخر، منطقه.

5 - ومن أراد من أهل الاستدلال إنكار دور القلب، يتنازع مع عقله، لان العقل لا غنى له عن الحدس القلبي طالما يقدم له القلب منطلقاته الضرورية التي لا يستطيع العقل إثباتها.

6 - ولا يقصد بالشكاك في هذا السياق، البيرونيين فقط - أصحاب الشك المطلق - وإنما يقصد أيضا، وفيما يظهر، أولئك الذين يؤمنون بكل أشكال الاستدلال، ما عدا هذا المصدر القلبي.

7 - الغريزية أي الفطرية والتلقائية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

حيث يكون أحدُهما ضِعْفَ الآخرَ [1]؛ إن المَبادئَ يُحَسُّ بها، و القضَايا تُستَنْتَجُ. وكِلاهُما على يَقينٍ، وإنْ كان ذلك، بِطُرُقٍ مُختلِفةٍ).

وإنه لَمِن غير المُفيد، وإنه لمِنَ السَّخافَةِ بِمَكانٍ، أنْ يَطلُبَ العقلُ مِنَ القلب، أدلةً على هذه المَبادئِ الأُولى، لِيَتمَكَّنَ من المُوافَقةِ عليها؛ وإنه لَمِنَ السَّخافَةِ بمكان أيضا، أن يَطلُبَ القَلْبُ مِن العَقْلِ، الإحساسَ بِكُلِّ القضايا التي يُبَرْهِنُ عليها حتى يَتمكَّنَ من قَبُولِها [2] ». [3]

بليز بسكال [4]

أسئلة

1 - قدِّم مدخلا للنص حيث تبرز دور العقل على حساب القلب، تمهيدا لطرح المشكلة التي تصوغها صياغة استفهامية.

2 - أُكتُب حوارا بين القلب والاستدلال، القصدُ منه إبراز حدود العقل وتبعيتِه للقلب.

3 - برهِنْ على تكامُلِ مَنطِقَي القلب والاستدلال.

---

1 - معنى هذا أن العقل يُسبَق بالحدس قبل الانطلاق في استدلالاته.

2 - لأن لكل من العقل والقلب مجاله ومنطقه.

3 - خواطر،(277-278 ; 282) Blaise Pascal, Pensées, Les éditions Bordas, Paris,1966,P. Section IV, N°.

4 - كاتب فرنسي جمع اهتماماته بين الفلسفة و الرياضيات والفيزياء (1623-1662)، أنجز بحثا في المخروطيات وهو ابن ست عشرة سنة، وبعده بسنتين اخترع آلة حسابية، ثم انكب بعد ذلك، في أعمال علمية عديدة حول الضغط الجوي، وتوازن السوائل، والمثلث الحسابي، والضغط المائي، ونظرية الدوريات. و اكتشف مع فيرما (Fermat) حساب الاحتمالات؛ من مؤلفاته، «الخواطر» وهي أوراق مركزة، كتبها من أجل الدفاع عن المسيحية، ومات قبل أن ينتهي منها. ولقد ساهم بهذه الأوراق الثمينة، في تعبيد الحركة الكلاسيكية في الأدب.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل يتعامل العقلُ مع الواقع مِن غَيْرِ خَلفيات؟]

«كان الفلاسفةُ خِلالَ الفَترَةِ السَّابِقةِ شَديدِي الاهْتِمامِ بِمُشكِلةِ المَنْهَجِ؛ لكنَّهم، على وَجْهِ العُمُومِ، لمْ يَشُكُّوا بِصُورةٍ جِدِّيَّةٍ بِوُجودِ واقِعٍ مُشترَكٍ ومُسْتَقِلٍ ومَوْضُوعِيٍّ، يُمكِنُ إلى حَدٍّ ما فهْمُه [1]؛ كَمَا أنهُم لمْ يَشُكُّوا بِوُجودِ أدَاةٍ مَوْضوعيَّة للتفكيرِ في الواقِع [2]، تَشْترِك فيه جَميعُ الحيواناتِ العاقِلةِ،لا تُغيِّرُ أو لا تُشوِّهُ بشكلٍ جِذرِيٍّ، الشيءَ المعروفَ [3].

وفي الواقع، فإنَّهُم لم يُقَلِّبُوا مفهُومَ المَوْضوعيةِ على وُجُوهِه [4]؛ لم يَزيدُوا على أنِ اسْتعمَلُوه لِيُعبِّروا بقَناعَةٍ شِبْهِ واعيَّةٍ،عن كفاءة المَلَكَةِ العقليَّة على استِيعَابِ مَوضُوعِها وعن الانْسِجام بين الشيْءِ ذاتِه، وبين الشيءِ كما هو مَعروفٌ. إنَّ ما دَعَوْهُ (العقلَ) فُهِم بمعنيَيْن معاً: على أنه المَلَكَةُ العَقْلِيَّةُ التي تُدْرَك بواسِطتها قوانِينُ الطَّبيعَة، وعلى أنه مَبدَأُ النِّظامِ أو سِيَادَةُ القانونِ في الطَّبيعة التي تُدرِكُها المَلَكَةُ العَقليَّةُ [5].

وهكذا اعتُبرت العلاقةُ بين تَفْكيرِ الإنسانِ بالواقِع، وبين الواقِع ذاتِه علاقةَ انسِجامٍ غيرِ مُشوَّهٍ [6]؛ كما وَقُرَ في خَلَدِهِم أيضا، أنها علاقةٌ خارجيَّةٌ مَحْضَةٌ لا تُؤَثِّرُ بشَيْءٍ

---

1 - إنهم مؤمنون بإمكان الوصول إلى المعرفة؛ ولكن لم يطرحوا قضية طبيعة الموضوع.

2 - وليس المقصود بالواقع الظواهر الطبيعية بالضرورة؛ فقد يكون معناه أيضا، الواقع البشري المعقد.

3 - ومؤمنون بأهمية و موضوعية العقل كأداة ومصدر موضوعي للمعرفة.

4 - إلا أنهم لم يضعوا العقل تحت محك النقد الفلسفي أو الإبستيمولوجي بحيث يتساءلون: هل النتائج التي يحققها العقل هي حقا موضوعية؟ وهل دراسة الظاهرة الواقعية الطبيعية مثل دراسة الظاهرة الواقعية الإنسانية؟

5 - اكتفوا بحصر العقل في أنه ملكة ذهنية او نفسية؛ وآلة تُدرك الطبيعة باعتبارها نظاما منضودا.

6 - وكأنهم اكتفوا بعدّ العلاقة بين العقل وما يعكسه عن الطبيعة، علاقةً أمينة كالمرآة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

على الخَصائِصِ الدَّاخِلِيَّةِ المُلازِمةِ للشيءِ المَعْرُوفِ [1]. فالتَّناسُقُ المَفروضُ [2] سَلَفاً بين العقلِ العارِف ومَوضوعِ المَعرِفةِ الحقيقيِّ، في مِثل هذا الرَّأي، هُو مُعجِزةٌ إلهِيَّةٌ لا يَسَعُ للإنسان إزَاءَها إلا أنْ يُعْلِنَ امْتِنانَه». [3]

هنري أيكن [4]

أسئلة

1 - مما لا شك فيه، أن العقل آلة مفيدة في فهم العالم الخارجي؛ وضِّح ذلك، معتمدا على حجج النص.

2 - العقل عقلان: عقل هو قاسم مشترك عند جميع الناس (وهو المعجزة الربانية)، و عقل يُكوِّنه المحيط الثقافي (وهو العقل كظاهرة اجتماعية)؛ وضِّح تأثير هذا المحيط في العقل الثاني، ومدى قابليته للانزلاق في دراسة الواقع.

---

1 - فهم لم يطرحوا التصورات المسبقة التي يحملها العقل قبل الاتصال بالعالم الخارجي؛ لأن العالم الخارجي قد يُنظر إليه من خلال هذه التصورات وهذه الأحكام المسبقة والمبيَّتة.

2 - وهذا التناسق أو التطابق بين العقل كعالم داخلي والطبيعة كعالم خارجي هو أمر مسلم به قبل أية محاولة في النقد. ولا يسع الإنسان إلا الانحناء أمام الله على هذه النعمة، لأنه خلق الطبيعة وأحكمها بقوانين، وخلق العقل وزوَّده بالقواعد التي تساعده على فهم الطبيعة.

3 - هنري أيكن، عصر الإيديولوجيا، ترجمة محي الدين صبحي، ص10، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1982.

4 - باحث إنجليزي معاصر (Henry David AIKEN) حاضر في أستراليا وأمريكا، وهو ذو نزعة روحية؛ من مؤلفاته: نظرية موقع العقل في الحياة الأخلاقية والسياسية لدي دافيد هيوم، ورسالة سدناي هوك كفيلسوف، وعصر الإيديولوجيا (The age of ideology).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل أصل المعرفة هو مجردُ تركيبٍ بين العقل والتجربة؟]

«إنَّ المُشكِلةَ التي تُواجهُنا هنا، هي مشكلة أصلِ العِلم الإنسانيِّ ومَصدرِه. وفيها انقسَم الفلاسفةُ إلى ثلاثةِ مَذاهِبَ:

الأوَّلُ مذهبُ العقليِّين الذين يَقُولون إن القوَّة العاقِلةَ في الإنْسانِ - وهي في نَظَرِهم، قُوَّةٌ فِطريَّةٌ [1] - هي الأصلُ الذي يَصْدُرُ عنه كلُّ عِلمٍ حقيقيٍّ، أو أنها على الأخصِّ، مَصدَرُ أهمِّ صِفتيْنِ يَتَّصِفُ بهما العِلمُ الحقيقيُّ، وهما: صِفَتا الضَّرورةِ والصِّدقِ المُطلَقِ [2]؛

والمَذْهَبُ الثَّاني، مَذهَبُ التَّجريبيِّين الذين يُرجِعُون كلَّ عِلمٍ إلى التَّجرِبة. ويَصِفُون العقلَ قَبل التَّجرِبةِ بأنه صَفحَةٌ بيْضاءَ [3]؛ وقدْ يُسمَّى هذا المذهبُ بمذهَبِ الحِسِّيِّين، إذا اعْتَبرَ الإدْراكَ الخارِجيَّ - أي الإدْراكَ عن طَريق الحَوَاسِّ - أصلَ كلِّ عِلمٍ؛

والمذهبُ الثالثُ، مذهبُ النَّقْدِيِّين [4] الذين يُحاوِلون التوفيقَ بين الدَّعاوَى المُتعارِضَةِ التي يَدَّعِيها أصْحابُ المذهبيْن الآخَرَيْن. ويُفسِّرُ النَّقدِيُّون «العِلمَ» بأنَّه نتيجةُ اجْتِماعِ عامِلَيْن، أحَدُهُما صُوريٌّ [5] يَرجِعُ إلى طَبيعةِ العقلِ ذاتِه، والآخَرُ

---

1 - أي قوة طبيعية ولد بها الإنسان.

2 - ما هو العلم الحقيقي؟ وهو سؤال يوحي بأن هناك في المقابل، علما غير حقيقي وهو الذي يفتقد الضرورة المنطقية والصدق البديهي. وعلى هذا الأساس، يجب أن يتوفر في مصدر المعرفة شرطان: الضرورة التي تفرض نفسها على العقل لأنها توافقه؛ والصدق المطلق الذي لا يرادفه سوى الوضوح الذي لا مناقشة فيه، ويكون شأنه شأن البديهيات.

3 - وهذه حجة مشهورة لدى التجريبيين من حيث إن الصبي لا يعلم شيئا عند الولادة، ويأخذ عن طريق التربية والتكوين والاحتكاك مع المجتمع، في تعلُّم ما لم يكنْ يعرفُه.

4 - والمذهب النقدي هو المذهب الذي يعرف به الفيلسوف الالماني إمنوال كانط؛ فلقد انتقد المذهبين: العقلي والتجريبي على التقصير الذي كان يحتمل أن يُرفع بتقربهما وتكاملهما.

5 - صوري معناه شكلي يتعلق بالقواعد المنطقية والقوالب الفكرية التي لا معنى لها خارج المادة التي تملؤها.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مادِّيٌّ يَتكَوَّن من الإحْسَاساتِ الدَّاخلةِ في الإدْراكاتِ الحِسِّيَّةِ [1]. فإذا لم يُوجَدْ أحدُ هذيْن العامِلَيْن، اِسْتحالَ وُجودُ عِلمٍ حقيقِيٍّ [2]؛ إذ من المُستَحيلِ قطْعاً في نظَرِهم، أن نَصِلَ من طريقِ العقلِ الصِّرْفِ، إلى حقائقَ لها أيَّةُ قيمةٍ عِلميَّةٍ على نحْوِ ما يَدَّعي العقليُّون.

و[...] بهذا، يُوَفِّقُ كَانْط [3] بين المذهَبِ العقليِّ والمذهب التجرِيبِيِّ، ويَصِلُ إلى نُقطةٍ أبَعَدَ بكثِيرٍ من مُجرَّد التقابُلِ بَيْن الفِكْرِ والحِسِّ. فبالإحْساسات نَستطيعُ الوُصولَ إلى عِلمٍ صحيحٍ، لأنها تَخضَعُ - كما يَخْضَعُ الفِكرُ نفْسُه - لِصَورةٍ عقليَّةٍ أوَّليَّةٍ». [4]

أزفلد كولبي [5]

أسئلة

1 - أُذكُر المسلمات التي يبنى عليها كلُّ مذهب من المذاهب الثلاثة فلسفتَه والنتائج التي تناسبها.

2 - دافِعْ بالبرهان عن المذهب الذي تقتنع به، مُبطِلا بالبرهان ما لا يتفق معه.

---

1 - لأن الظواهر الخارجية تترك فينا انطباعاتٍ وصورا وأشكالا و هي إحساسات غامضة لا تتضح ولا تنتظم إلا بقواعد ومقولات العقل.

2 - فقد يرى الشخص مثلا، أشياء العالم الخارجي ولا يرتقي إلى معرفةٍ، لأنه ضعيف العقل أو معتوه.

3 - هو فيلسوف ألماني (1724 E.Kant-1804) يعرف بمذهبه النقدي؛ من مؤلفاته المشهورة، نقد العقل النظري، ونقد العقل العملي.

4 - أزفلد كولبي، المدخل إلى الفلسفة ترجمه أبو العلا عفيفي، ط. 5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص، (269-272).

5 - باحث ألماني (1862 Oswald KÜLPE-1915) اهتم بعلم النفس التجريبي وأبدع فيه، وساهم في تقدم الفلسفة وخاصة منها الواقعية؛ وفي نظريته للمعرفة، دافع عن البحث في «الذات» المدركة، و«الموضوع» المدرَك؛ من الكتب التي نشرها، أصول علم النفس، والحقيقة الواقعية، والفلسفة المعاصرة، والمدخل إلى الفلسفة الذي عَرف رواجا كبيرا، مما جعل المترجمين والناشرين يتهافتون عليه، وطُبع العشرات من المرات، كانت أولها عام 1895.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل هناك ما يَدْعُو إلى الحديث عن الحقيقة (المطلَقة) ،

«إنَّ القبْضَ على الحقيقةِ ـ أبْعَدُ ما يَكونُ هنا، عن كَوْنِه غايَةً في ذاتها [1] ـ لا يَزيدُ عن كَوْنِه وسيلةً أو أداةً أوَّليَّةً لِبُلوغ أنواعٍ حيَويَّةٍ أُخرَى من الإشْباعِ والرِّضَا والسُّرورِ [2]. وإذا قُدِّر لي أنْ أضَلَّ طريقِي في الغابَةِ، وأتضَوَّرُ جُوعًا، ثم وَجَدتُ ما يُشبِهُ طَريقًا مَعَبَّدا لِلبَقَرِ، فإنه لأمْرٌ بالِغُ الأهمِّيَّة، أنه يَتعيَّنُ عَليَّ الاعتقادُ بوُجودِ مَقامٍ أو مَأوًى إنسانيٍّ في نِهايَتِه، لأنَّني إذا فعَلتُ ذلك، ومَضَيتُ في أثره، فَسأنْقُذُ حَياتي.

إن الفكرةَ الصَّحيحَةَ هَهُنا نافعةٌ [3]، لأنَّ المَقامَ أو المأْوَى الذي هو هَدَفُها أو مَوْضوعُها، نافِعٌ. ومن ثَمَّةَ، فإنَّ القِيمةَ العمَلِيَّةَ للأفكارِ الصَّحيحةِ، تُشْتقُّ بصفةٍ أوَّليَّة، من الأهمِّيَّةِ العَمَلية لمَوْضُوعاتِها بالنِّسْبة لَنا. وليس ثمةَ رَيْبٌ، في أن مَوْضوعاتِها ليْست في الحقيقةِ، هَامَّةً في كلِّ الأوْقاتِ؛ فرُبَّما في مُناسَبةٍ أُخرى، لا تكُونُ بي في حاجةٍ إلى المَقامِ أو المَأْوَى وعِنْدَئِذٍ، ففِكْرَتِي عَنه، مهما تكُنْ مُحَقَّقةً، سَتكُونُ من الناحيَةِ العمليَّةِ، فِكرةً مُنفصِمَةً [4] وغيرَ مُرتبِطةٍ وأوْلَى بها أنْ تَظلَّ كمِينَةً [5].

---

1 - البحث عن الحقيقة لا يتعدَّى غايتين: إما من أجل الحقيقة كحقيقة في حد ذاتها، وإما من أجل تحقيق مشاريع حيوية تعود بالفائدة العملية لمن يتطلع إليها. الغاية الأولى تتمثل في البحث من أجل البحث؛ والثانية تتمثل في البحث كوسيلة لأغراض شتى.

2 - فلا معنى لاعتبار أمرٍ حقيقةً من الحقائق، إنْ لم يُؤدِّ لي أو لنا السعادة والراحة ويضمنْ أسباب الخروج من الأزمة والقلق.

3 - إن الحقيقة تُقاس بمعيار العمل المُنتج؛ فكل ما يؤدي إلى النجاح فهو حقيقي؛ وإنَّ كل ما يعطينا أكبر قسط من الراحة وما هو صالح لأفكارنا ومفيد لنا بأي حال من الأحوال فهو حقيقي.

4 - منفصمة أي منقطعة لا يحتاج إليها السياق.

5 - كمينة أي تبقى محفوظة في الخفاء إلى أن تتهيأ لها الفرصة فتظهر وتُبرهن على حقيقة صدقها. يمكنك مثلا، أن تعتبر العددَ (27) مكعب العدد (3) أو حاصلَ ضرب (3×9) أو حاصل جمع (26+1) أو باقي طرح (73) من (100) أو بطرقٍ لا نهاية لها، وكلُّها صادقة؛ فالأمر يتوقف على نوعية العملية الحسابية التي تستجيب وتنسجم مع الموقف.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[...] وكلَّما أصبَحتْ حقيقةٌ من تلك الحقائِق الإضافِيَّة، مُرتبِطةً عَمليًّا بمَطْلَبٍ عاجلٍ من مَطالِبنا أو بضَرورةٍ مُلِحَّةٍ من ضَروراتِنا، فإنها تُنقَلُ مِن مَخزَنِ التبريدِ حيْث كانت قابِعَةً، لِكي تؤدِّيَ عَمَلاً في العالَمِ ويَزْدادَ نشاطُ اعتقادِنا بها». [1]

وليام جيمس [2]

أسئلة

1 - أُكتُب تمهيدا تحدِّدُ فيه الإطار الفكري للنص مبرزا التقابُل بين البحث عن الحقيقة الثابتة والبحث عن الحقيقة التي تتغيَّرُ بتغير أسباب نجاحها.

2 - إن حلَّ مشاكل الإنسان تحتاج إلى أدوات؛ بيِّن على ضوء النص، كيف تتحوَّل الوسيلة إلى غاية.

3 - تأمَّلْ هذا السؤالَ، وقدِّمْ جوابا عنه: إذا كانت الحقيقة الظرفية تابعةً للعمل، أفلا تتعدد بتعدد الأعمال، ولم يَعُدْ للحديث عن الحقيقة المطلقة التابعة للفكر ما يبرِّرُهُ؟

1 - وليام جيمس، البراغماتية، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص، (239-241).

2 - فيلسوف أمريكي (1842-1910)، أشهر مؤسسي المذهب البراغماتي أو الذرائعي، من مؤلفاته: مبادئ علم النفس، والبراغماتية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل الوجودُ الحقيقيُّ هو الوجود الخارجيُّ الذي أتأمله أم الوجود الذاتي الذي أعيشه؟]

«وهُنا، لا نستطيعُ أنْ نُقدِّمَ إلا صُورَةً مُجمَلة [1] جِدًّا لخصائِصِ هذا المذهَبِ [2][...].

الوُجُودِيَّةُ بكُلِّ مَعَانِيها، تتَّفِقُ في القَوْلِ بأن الوُجودَ يَسبِقُ المَاهِيَةَ [3]؛ فَماهيةُ الكائنِ هي ما يُحقِّقُهُ فِعْلاً، عن طريقِ وُجودِه؛ ولهذا، هو يُوجَدُ أوَّلا، ثم تَتحدَّدُ ماهِيتُه ابتداءً من وُجودِه.

وتتَّفِقُ كذلك، في أنَّ الوجودَ هو في المَقامِ الأوَّل، الوُجُودُ الإنسانيُّ في مُقابِلِ الوجودِ المَوْضوعيِّ الذي هُوَ وُجودُ أدَوَاتٍ فحَسْبُ؛ وفي أنَّ هذا الوجودَ مُتناهٍ، وسِرُّ التَّناهِي فيه، هو دُخولُ الزَّمانِ في تَرْكيبِه [4][...].

والإنسانُ الحُرُّ يَخْتارُ، وفي اختِيارِه، يُقرِّرُ نُقْصانَه، لأنَّه لا يَملِكُ تحقيقَ المُمْكناتِ كُلِّها. والذَّاتُ الوُجودِيَّةُ تسْعَى بَيْنَ الإمْكانِ - وهو الوجودُ المَاهَوِيُّ [5] - وبَين الواقِعِ وهو الوجودُ في

---

1 - لماذا مجملة، لأن الكلام عن الوجودية متشعب من حيث إن المذهب يتفرع إلى صنف المؤمنين وصنف غير المؤمنين، فضلا عن بعض الاختلافات التي يمكن تسجيلها في بعض المسائل الجزئية، على مستوى كل فيلسوف وجوديٍّ، وتنوع إنتاجاتهم الفلسفية والأدبية من قصص وروايات ومسرحيات.

2 - ويعني الوجودية.

3 - فهي قاعدة نجد عكسها مجسَّدا في واقع الوجود الخارجي، حيث تسبق الماهية الوجود؛ فالبذرة من البرتقال لا تعطي تينا ولا رمانا، لأن ماهية البرتقال سابقة على شجرة البرتقال. فلو غرسنا بذرة من التين لحكمنا على مصير نمو هذه البذرة بأنها ستكون حتما شجرة التين لا غير. ولكن الأمر في عالم الإنسان غيرُ ذلك، لأن الإنسان يولد أولا، ثم يصنع ماهيته، ولا ينتهي من صناعتها إلا بحلول الموت. ولهذا، فمن يقول: أنا كريم، نقول له أنَّ (أنا) هو الوجود، و(كريم) هو ماهية مؤقتة لأن الأنا قد يُغيِّر من اختياراته فيتراجع ولا يثبت على حال؛ حتى إذا مات يقال عنه كان فلان كذا؛ فـ(فلان) يمثل الوجود و(كذا) يمثل الماهية.

4 - إن عالم الطبيعة محكوم بقوانين آلية، ظواهره مقيدة من حيث إنها متناهية في الزمان.

5 - هو الوجود الإنساني الذي يسعى إلى تحقيق ماهيته وحقيقته ومصيره.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

العالَم. والذَّاتُ تَعْلُو على نَفْسِها بأنْ تَنْتقِلَ [1] مِن المُمْكنِ إلى الواقِعِ، فتُحقِّقَ ما يَنْطَوِي عليه؛ وفي هذا التَّحقيقِ تَخاطُرٌ، لأنها مُعَرَّضةٌ للنَّجاحِ والإخْفاقِ [2]؛ ومِن المُخاطرةِ [3] تُولَدُ ضرورةُ التَّصميمِ. وهذا التحقيقُ ضروريٌّ، لأنَّ الوجودَ لا يَكْفي نفسَه. واللَّحَظاتُ العُليا للوُجودِ هي تلك التي يَكونُ فيها الوجودُ مُهدَّدًا في كِيانِه الأصيلِ، مِثلَ لَحَظاتِ المَوْتِ وما إليها.

[... وفي كلمةٍ...]، إنَّ العَصَبَ الرئيسيَّ للوجوديَّةِ هو أنها فلسفةٌ تَحْيا الوجودَ، ولَيْسَتْ مُجرَّدَ تَفْكيرٍ في الوُجودِ. والأُولى يَحْياها صاحبُها في تجارِبِه الحيَّةِ وما يُعانِيهِ في صِراعِه مع الوجودِ في العالَمِ؛ أما الثانيةُ، فنَظَرٌ مُجرَّدٌ إلى الحَياةِ مِن خارِجِها وإلى الوُجودِ في مَوْضوعِه». [4]

عبد الرحمن بدوي [5]

أسئلة

1 - إن كلمة وجود (أو وجودية، ويوجد) تتكرر أكثر من عشرين مرة في النص؛ فماذا يعني هذا بالنسبة إليك؟ عبِّرْ عن انطباعاتك.

2 - بيِّن على ضوء النص، الفرق بين الوجود (الخارجي) الذي نتأمله والوجود (الباطني) الذي نعيشه.

3 - وضِّحْ أين موقع القلقِ في قول الوجوديين: الوجود يَسْبِق الماهية؟

---

1 - والذات البشرية ليس من طبعها الانزواءُ والخلوة بل إنها تنزع نحو العالم الخارجي؛ وبقدر نزوعها إلى الخارج، تتحقق وتكتمل ماهيتها تدريجيا.

2 - وعلى الرغم من أن الإنسان يصنع مصيره بكل حرية، إلا انه يخاطر من حيث إنه تارة، يحقق مشاريعه وتارة أخرى، يفشل فيها؛ ومن هنا، ينتابه القلق.

3 - والمخاطرة رهان. (Le risque)

4 - عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص، (15-17: 20).

5 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 12.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الإشكالية الخامسة

في قضايا فلسفية 1

إن حركةَ التَّنافُر والتَّجاذب التي تحكم حياة الناس، قد تطغى عليها مظاهرُ العنف واللاتسامح حيث تضطرب حدودُ الحرية والمسؤولية، وتفتر العلاقة التكاملية التي تجمع بين هذا الأنا وذاك. فكيف إذن، يطمح الناس والحالة هذه، إلى العيش في ظل عولمة يعود فيها الشَّتاتُ إلى شمله؟

38 - اَلْأَنَا يَتوَلَّى نفسه

39 - اكتشاف الأَنَا

40 - لامَدَنِيَّةُ مَدَنِيَّةِ الإنسَان

41 - العِلِّيَّةُ العلمية والعلية البشرية

42 - بين القضاء الإلهي وشَرعيَّة المسؤولية

43 - مملكة الحرية

44 - علاقة الحرية بالضرورة

45 - المسؤولية لدى الوُجوديِّين

46 - التسامح

47 - مصدر العنف

48 - في إطار الحوار بيْن الحضارات

49 - القوة لا تُنتج إلا القوة والمَهانة

50 - في عصر العولمة والاقتداءِ بالغالب

51 - في تسامح الطفل

52 - حِوارُ الحضارات

53 - لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

54 - "وَقُلِ الحَقَّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِنْ ومَن شاءَ فَلْيَكفُرْ" [2]

55 - تَعَالَوْا جَمِيعًا

56 - التنوُّع الثقافِيّ

57 - الحَقُّ الثقافِيُّ

58 - الثقافة

59 - التفتُّحُ على العَالَم أو التفتح على الحياة والارتقاء إلَى العالمية

1 - أما الإشكالية الخامسة، فإننا نعالجها مع أبي حامد الغزالي في المنقذ من الضلال، وهذا في القسم الثاني من الكتاب والخاص بالإنتاج الفلسفي، واحتراما لمضمون الكفاءة الختامية الأولى التي يقرها البرنامج الرسمي.

2 - الكهف، 29.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مدخل

■ في الشعور بالأنا والشعور بالغير

هل شعورُ ذاتي بذاتها متوقِّفٌ على معرفة الغير؟ وهل يَكفي أن أكون مُغايِرا للآخرين، حتى أكونَ أنا؟

■ في الحرية و المسؤولية

إذا كانت المسؤوليةُ مشروطةً بالحرية، فماذا يبقى لها من مشروعية، أمام المناصرين للجَبْر و الحتمية؟

■ في العنف و التسامح

إذا كان من الحكمة، مواجهةُ العنف باللاعنف واللاتسامح بالتسامح، فكيف نُهذِّب مبدأ التناقض القائل بأن المتناقضيْن لا يجتمعان؟

■ في التنوع الثقافي والعولمة

كيف يمكنُنا تصورُ بقاء الأُمَم بثقافاتها المتنوعة، وإثبات الذات، أمام تحدِّيات العولمة التي تُقرر مرجعيات المستقَبل؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل كلُّ من يخالِفُني الرأيَ اَعْتبِرُه قاصرا ؛ وفي حالة ما إذا كان صائبا ، فهل صوابُه هذا ، يَمْنعُني من النظر فيه من أجل تمحيصه و تعميق البحث والخروج بمبادرة شخصية ؟]

« ولكنَّني لَمَّا كُنتُ قد تعلَّمتُ مُنذ أيَّام المَدْرسة، أنَّه لا يُمكِنُ أنْ نتَخيَّلَ أمْرًا مُهِمًّا بَلغَ الشُّذوذَ والبُعدَ عن التَّصْديقِ، إلا وقدْ قالَ به أَحَدُ الفلاسِفةِ [1]، ثم إنَّني عَرفتُ في رِحْلاتِي أنَّ كلَّ الذين لهُمْ عَوَاطِفُ مُخالِفةٌ لِعواطفِنا كلَّ المُخالَفةِ، ليْسُوا مِن أجلِ هذا بَرَابِرةً ولا مُتوَحِّشِينَ [2]، ولكِنَّ الكثِيرينَ مِنهُم يَستَخدِمُونَ العقلَ مِثلَنا أو أكثرَ مِنَّا [3].

ولَمَّا تأمَّلتُ فِي أنَّ الرَّجُلَ نفسَه، بِنَفْس عقلِه، إذا نَشأ مُنْذُ طُفولتِه بَيْن فَرَنسِيِّينَ أو أَلْمانِيِّين، فإنه يُصْبِحُ مُختَلِفاً عَمَّا كان يَكونُ، لو أنَّه عَاشَ دائِماً بين صِينِيِّين أو كَانِبَالِيِّين [4]، وكَيْف أنَّ الشيءَ الواحِدَ حتى في أزياءِ المَلابِس، الذي أعْجَبَنا مُنذ عَشْرِ سِنينَ، والذي رُبَّما يُعْجِبُنا أيْضاً، قبْلَ أن تَمْضِيَ عَشرُ سِنِينَ، يَبْدُو لَنَا الآنَ، شاذًّا ومُضْحِكاً بحيْثُ تَكونُ العادةُ والتَّقليدُ هُما اللَّذان يُؤَثِّران في آرائِنا أكثرَ مِن أيِّ عِلم يَقِينِيٍّ.

وعَلى كلِّ حَالٍ، فإنَّ مُوافَقةَ الكَثرَةِ لَيْسَت دَليلاً ذا شَأْنٍ على الحَقائِقِ التي يَتعَسَّرُ كَشْفُها [5]؛ فإنه أقرَبُ إلى الاحْتِمال، أنْ يَجِدَها رَجُلٌ واحدٌ من أنْ تجدَها أُمَّةٌ بأسْرِها؛

---

1 - كلمة مشهورة لشيشرون الرجل السياسي والخطيب الروماني (107-43 ق.م. Cicéron)، هذه ترجمة نصِّها اللاتيني : « لا يُوجد قولٌ مُخالفٌ للعقل لم يَقُلْ به من قبلُ بعضُ الفلاسفة» .

2 - لا بد من إعادة النظر في أحكامنا السابقة وعاداتنا في التعامل الفكري والاجتماعي، لأن هناك من لهم مواقف وآراء غريبة عنا ومع ذلك، فالعقل بعد النظر فيها، لا يرفضها بل يؤكدها ويزكيها. وعليه، فمن يخالفنا في الرأي، لا يسحق عقولنا من حيث إنه يأخذ بالرأي عن اقتناع وعلى أساس منطقي.

3 - ومعنى هذا، أن الاختلافات في المذاهب والاتجاهات ليست بالضرورة مؤذية لقواعد العقل. وإذا كان الأمر كذلك، فمن فوائد الاحتكاك الإصغاء لكل ذي رأي أو تصور.

4 - هم آكلة اللحوم البشرية (Le cannibalisme). و في هذه الفقرة، ينبه ديكارت إلى أن العقل قاسم مشترك لدى جميع الناس على الرغم من اختلاف لغاتنا وعاداتنا وتربيتنا. ومن ذلك، أن للمحيط الاجتماعي والثقافي تأثيرا من تشكيل توجهاتنا وأفكارنا وفلسفاتنا.

5 - إن الإجماع على صواب عادة فكرية ما أو على تقليد اجتماعي ما، مهما كانت فترته الزمنية في التأثير و الانتشار، لا يعني أنه صائب و مقنع. فقد يكون مصدر أخطاء وجهل. وعليه، فقد ينبغ أحد الناس وينفرد برؤية الصواب، لأنه تأمله وقرر أن يزعزع مما استقر لدى الناس من مفاهيم وما ترسَّخ عنهم من عادات.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وإذن، فلَمْ أكُنْ لِأسْتطيعَ أنْ اَخْتارَ رجُلاً [1] كانَتْ تبْدُو لي أفكارُه واجبةَ التفضيلِ على آراءِ الآخَرين، ووَجَدْتَنِي كأنَّنِي مُضطَرٌّ إلى أن أتولَّى بنفْسي توْجيهَ نفْسِي [2]». [3]

ديكارت [4]

أسئلة

1 - اكتب مقدمة تحدِّد فيها أولا، الإطار الفكري للنص، وتمهِّدُ ثانيا، لطرح المشكلة التي يعالجها الكاتب، وذلك بإبراز الأمرِ المُحْرِجِ فيها؛ وتُعيد ثالثا، كتاب المشكلة استكمالا للمطلوب.

2 - يُعتبر النص محاولة لمعالجة المشكلة المطروحة، وهي بمثابة الأطروحة؛ حدِّد مسارها الشكلي (وهي القراءة العمودية للأطروحة) ثم قدِّم مادتها الفكرية (وهي القراءة الأفقية للأطروحة).

3 - افْرِض أنك من أنصار ديكارت في هذا المسعى، زَكِّه ودعِّمْه بحجج إضافية من إنتاجك، ورقِّمْها.

---

1 - أي من مؤسسي المذاهب الفلسفية من اليونان القدماء.

2 - وتقرر عند ديكارت، أن الآراء كثيرة تحتاج إلى نظر، وأنه ككل كائن عاقل، مؤهل للسعي من أجل البحث الصحيح والمؤسس. وهذا يعني أن القديم ليس بالضرورة صحيحا لقدمه أو لتداوله المستمر أو لكونه مثار الحنين إلى الماضي. وكأنه يشعر بأن بناء الجديد على أساس ثورة تناسب تحولات معطيات المحيط، له هو أيضا مشروعيته، ويمكن أن يجيء هو الآخر بتقليد فكري أو منهجي يعتنقه كل ذي عقل.

3 - ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري الهيئة المصرية للكتاب، 1985، القسم الثاني، ص، (184-186)

4 - هو روني ديكارت أبو الفلسفة الحديثة (1596-1650)، وعالم في الرياضيات والفيزياء؛ اشتهر بثورته على القديم في مجال المنهج وطرح القضايا الفكرية؛ وكان شغفه بالبحث كبيرا إلى درجة أنه فضل حياة العزوبة على الزواج، مما اضطره إلى العيش في الخلوة على الرغم من كثرة تنقلاته؛ من مؤلفاته مبادئ الفلسفة، ومحن الروح، ورسالة في الموسيقى، وقواعد توجيه الفكر، ومقال عن المنهج ـ و كان قد تجاوز عند تاليفه ـ الاربعين، وتاملات فلسفية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[- إذا كنتُ لا أستطيعُ أن أشُكَّ في شكِّي،
- فإنيَّ على الأقل، مُتيقِّنٌ بإنني أشُكُّ ؛
- و إذا كنتُ على وعْيٍ بأنني أشك ،
- فأنا أفكر دائما ؛
- و كوني أفكر دائما ، هي قاعدة صلبة لا أَحِيدُ عنها
- لأنها إثبات لوجودي، ولأنها في غاية الوضوح».
كيف يمكنُ ممارسةُ هذا الانتقال من الشك إلى إثبات الوجود ؟]

«لَمَّا حَكمْتُ بأنَّني كُنتُ عُرضَةً لِلزَّلَلِ [1] مِثلَ غيْرِي، نَبَذتُ في ضِمْنِ الباطِلاتِ كُلَّ الحُجَجِ التي كُنتُ اَعْتبِرُها من قَبْلُ في البُرهان [2]؛ ثُمَّ لما رَأيْتُ أن نفْسَ الأفكارِ، التي تكُونُ لنا في اليَقَظة، قدْ تَرِدُ علينا أيضا، ونحْنُ نِيَامٌ، دون أنْ تَكُونَ واحدةٌ منها إذْ ذاك حقيقيَّةً [3]، اِعْتَزَمْتُ أنْ أرَى أن كلَّ الأمورِ التي دَخَلَتْ إلى عَقْلي لم تَكُنْ أقرَبَ إلى الحَقِيقَةِ من خَيالاتٍ [4]. ولكنْ سُرْعَانَ ما لاحَظتُ أنه، بَيْنما كُنتُ أُرِيدُ أن أعتَقِدَ أنَّ كلَّ شيءٍ باطلٌ، فَقدْ كان حَتْماً بالضرورة، أن أكونَ ـ أنا صاحِبَ هذا التفكيرِ [5] ـ شيْئا من الأشْيَاءِ؛

1 - أي عرضة للانحراف والخطأ.
2 - وما دمت معرَّضا للخطأ، تقرَّر لديَّ أن أطرح كل ما كنت اعتبره معرفة برهانية، وأرميه في سلة الباطل. وهذا أمر طبيعي، لأنني صار عندي الأمر الاعتقادي موضع التباس بين الصحيح والباطل.
3 - الفرق لدى ديكارت بين الحلم واليقظة في حظهما من الحقيقة، «أن الذاكرة لا تستطيع أن تصل الأحلام بعضها مع بعض ومع مجرى حياتنا، كما هو شانها في أصل الأشياء التي تحصل لنا ونحن في اليقظة». (التأملات، السادسة). وينتج من هذا، بانه إذا كانت الفكرة التي آخذ بها وأنا في اليقظة، قد تردُّني وأنا في النوم، فماذا بقي من فرق بين الحقيقة والخيال؟
4 - وعلى هذا الاساس، أضحى من الشرعي بالنسبة إليَّ، أن أعتبر كل ما وصلني من معرفة و كل ما وردني من إدراكات، مجرَّدَ خيالات ومجرد باطل.
5 - وفي هذه الحالة التي قررت نبذ كلّ هذه المكتسبات المعرفية، تبيَّن لي بان هناك أمرا لا يمكن أن يكون باطلا ولا أضغاث أحلام؛ وهذا الأمر هو أنني (أنا) فعلا، أفكر و(أنا) شيء من الأشياء أو كائن من الكائنات.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ولَمَّا انْتَبَهْتُ إلى أن هذه الحقيقةَ: «أنا أُفكِّرُ، إذن أنا موجودٌ» [1]، كانت من الثَّباتِ و الوَثاقَةِ (واليَقينِ) بحيْثُ لا يَستطيعُ اللاأدْرِيُّون [2] زَعْزَعَتَها، بكُلِّ ما في فُروضِهم [3] من شَطَطٍ [4] بالِغٍ، حَكمْتُ أنِّي أسْتطيعُ مُطمئِناً، أنْ آخُذَها مَبدأً أوَّلَ للفلسفة [5] التي أتحَرَّاها.

ثم لَمَّا اخْتَرْتُ بِانْتباهٍ [6] ما كُنْتُ عليه، و رأيْتُ أنَّني قادِرٌ على أن أفْرِضَ، أنه لم يَكُنْ لي أيُّ جِسْمٍ، و أنَّه لم يَكُنْ هُناك أيُّ عَالَمٍ، ولا أيُّ حَيِّزٍ أشْغَلُه [7]، ولَكِنَّني لستُ بِقادِرٍ مِن أجْلِ هذا، على أن أفْرِضَ، أنَّني لم أكُنْ مَوجُودًا، بَلْ على نَقيضِ ذلك، فإنَّ نفْسَ كَوْني أُفكِّرُ في الشَّكِّ في حقيقةِ الأشْياءِ الأُخرَى، يَسْتَتبِعُ استِتبَاعًا جِدُّ واضحٍ وجِدُّ يَقِينِيٍّ أنَّني كُنتُ

1 - يقول ديكارت: عن معنى التفكير: «إنني شيء مفكر، وما هو هذا الشيء المفكر؟ إنه شيء يشك، ويفهم، ويثبت، وينفي، ويريد، ولا يريد، ويتخيل أيضا، ويحس» (التأملات الثانية). فقبل أن يكتشف فيّ قرارة نفسه بأنه موجود، تفطن بأنه يشك، والشك تفكير، ولا يمكن لمن يفكر ألا يكون موجودا.
و هذا ليس قياسا حيث يُضمر ديكارت مقدمتَه الكبرى وهي «وكل مفكر موجود» ، لأنه مبدأ؛ ومبدؤه هذا إنما هو بداهة فرضت نفسها، لأن الذي يشك لا يمكنه أن يشك في شكه لأنه حقيقةٌ واضحة لا يتيسر الهروبُ منها.

2 - اللاأدْرية (Agnosticisme) وهو المذهب الذي يزعم بأن أي موضوع غير قابل للمعرفة لا يمكن للإنسان بلوغُه على الإطلاق؛ وبأن أنصاره يعتبرون الميتافيزيقا أي الماورائيات أمرا غير مُجدٍ. وهذا أمر مفهوم لديهم، لأنه إذا كانت العين لا ترى نفسها وأن المعدة لا تهضم نفسها، فكذلك الفكر لا يمكن في مذهبهم، أن يفكر في نفسه. والكلمة التي يستعملها ديكارت هي: (Les sceptiques).

3 - الفروض هي المسلمات و المفترضات.

4 - الشطط هو ردُّ الحق ورفضه، وهذا موقف تمليه عليهم الفرضيات التي يعتقدون فيها الصدق، وهي طرح كلِّ إمكانيةٍ في الوصول إلى معرفة ما لا يقبل المعرفة.

5 - لفلسفة ديكارت منطلق لا يَعْتورُهُ شك ولا يساوره ريب، وهو (أنني أنا الآن لا غيري، أمارس التفكير، وممارسة التفكير وجود، يفرض نفسه بالضرورة).

6 - بانتباه، أي عن وعي وشعور عميقين.

7 - فبالإمكان بعد هذه الحالة من الانتباه، أن أشك في كوني جسما، وبانني اشغل مكانا في العالم الخارجي، ولكن ما أبعدني عن الشك في انني هو انا وبانني انا افكر. فوجودي الحقيقي ليس في كوني جسما ولا في كوني كائنا مثل الكائنات الماثلة في الطبيعة؛ إنه تفكير وما يترتب عنه من وعي لوعيي وشعور ذاتي بذاتي.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مَوْجودًا [1]؛ في حِينِ أنه لو كَفَفْتُ عن التَّفكِير وحدَه، وكان كلُّ ما بَقِيَ مِمَّا فَرَضْتُهُ حَقًّا، لم يَكُنْ لي مُسَوِّغٌ للاعْتِقادِ بأنَّني كُنتُ مَوْجُودًا.

ولقد عَرَفتُ من ذلك، أنني كنتُ جَوْهَرًا [2]، كلُّ مَاهِيَّتِه [3] أو طبيعَتِه ليْسَت إلا أنْ يُفكِّرَ؛ ولأجْلِ أنْ يَكونَ مَوْجُودا، فإنه ليس في حَاجةٍ إلى أيِّ مَكان، ولا يَعتَمِدُ على أيِّ شيءٍ مادِّيٍّ بحيث إنَّ الإنِّيَّةَ [4] أي (النفسَ) التي أنا بِهَا، هي مُتمايِزَةٌ تمامَ التَّمايُز عن الجِسْم، بل وهي أيْسَرُ أنْ تُعرَفَ؛ وأيضا، لوْ لمْ يَكنِ الجِسمُ مَوجودا البَتَّةَ، لكانَتِ النفْسُ مَوجودَةً كما هي بِتَمَامِها». [5]

ديكارت [6]

أسئلة

1 - أبْطِلْ بالبرهانِ - في فقرة مكتوبة - الاتجاهَ القائل بأنه لا يمكننا أن نعرف شيئا، ولا يَسَعُنا إلا الشكُّ المطلق، وأنه لا بد من الشك حتى في أننا نشك.

2 - وإذا أبطلتَ مذهب الشك المطلق، بَرْهِنْ على استقامة فلسفة ديكارت في انتقاله من الشك إلى اليقين، معتمِدا على النص.

3 - بيِّن مع ديكارت من جهة، كيف يمكن تعميم تجربته هاته على كل كائن عاقل، ووضِّحْ من جهة أخرى، مَخاطِرَها.

---

1 - والحقيقة أن ديكارت لا يعتقد أنه اكتشف وجوده، لأنه منذ اللحظة التي كان يمارس فيها الشك أي التفكير كان حقيقة موجودا. ومَن يحاول من الشكاك أن يرفض أنه يشك، يتنازع مع نفسه، لأن الشك هو نفسه تفكير. فالفكر إذن مدخل إلى الوجود لا بل هو الوجود الحقيقي.

2 - يميز ديكارت بين الجوهر المفكر وهو النفس والجوهر المتحيز وهو الجسم.

3 - يرادف بين الماهية و الطبيعة.

4 - فالوعي بالأنا (Le moi) هو وعي بالوجود حتى وإن لم يتقمص جسما أو يشغل حيِّزا. ويترجم بعض الفلاسفة الإنيَّة كما هي عند ابن سينا، بلفظ (Ipséité).

5 - ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري الهيئة المصرية للكتاب، 1985، القسم الرابع، ص، (218-212).

6 - ارجع لترجمته إلى النص رقم : 38.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل يحتاج الإنسانُ إلى مقاومة الآخَرين حتى يُثْبِتَ وجودَه ومكانته؟]

«إنَّ الوَسيلة التي تَستخدِمُها الطبيعةُ لإنجاح تطوُّرِ كلِّ تَنْظيماتِها، تَكْمُنُ في تَنافُرِهَا [1] ضِمْنَ المُجتمَع، مَا دامَ هذا التَّنافُرُ في النهايَة، يَكونُ سَبَبًا في إِصْدَارِ تعْليماتٍ مُنظِّمةٍ لهذا المُجتمع. وأقصِدُ هُنا بالتَّنافُر، لامَدَنِيَّةَ مَدَنِيَّةِ الناسِ [2]، يَعْني انحناءَهُم لِدُخُولِ المُجتمَع، وهو انحِناءٌ [3] يَنْطَوي على تَدَافُعٍ عامٍّ يَسمَحُ به، ويُهَدِّدُ على الدَّوَام بتَفكِيكِ هذا المُجتمع.

ومَع ذلك، فإن لِلإنسانِ مَيْلاً نحْوَ الاجتِماع، لأنَّ في مِثلِ هذه الحالة، يَشعُرُ بأنَّه أكثَرُ مِنْ إنسانٍ بفَضْلِ تطَوُّرِ استِعْدَادَاتِه الطبيعيَّة. ولكِنَّهُ يُبْدي من جِهةٍ أُخْرَى، نُزُوعًا كبيرًا نحْوَ الانفِصَالِ لِيَنْعَزِلَ، [4] لأنه يَجِدُ في الوَقْتِ ذاتِه، وفي نفْسِه، طابَعَ اللاَّمَدَنِيَّةِ الذي يَدفَعُ به إلى إرادَةِ التَّحَكُّم في كلِّ شيءٍ، وفي الاتِّجاهِ الذي يَراه؛ و لهذا السَّبب، يَترَقَّبُ لِقاءَ مُقاوَماتٍ من كلِّ جهة، مَع وَعْيِهِ بأنه مُدرِكٌ بأن له نُزُوعًا نحْوَ مُقاوَمةِ الآخَرين [5].

1 - وكأنَّ تطور الحياة في الطبيعة مرهون بهذا التنافر- فيما بين الناس - الذي هو مظهر من مظاهر التناقض والتعاكس والتقابل والتضاد؛ إنه الحافز أو المحرك الذي تتمخض عنه كل النشاطات المتنوعة والإنتاجات البشرية.

2 - وكأن المدنية تحمل في طياتها نقيضَها وهو اللامدنية؛ هذه العلاقة بين المدنية واللامدنية هي بمثابة الجدلية التي تجمع في نسق واحد بين أطروحة ونقيضها، وهي جدلية تؤدي إلى سلوك جديد في مستوى الحياة الاجتماعية. وهذا أمر معروف، لأن في الإنسان مُيُلين، أحدهما يتجه نحو المعاشرة والاحتكاك مع الغير، والآخر يتجه نحو العزلة ورفض الحياة مع الناس أو نحو التصارع الصريح.

3 - والانحناء نوع من التنازل الظاهري، لأن الإنسان بقدر ما يدخل المدنية وينسج علاقات اجتماعية مع غيره، بقدر ما يملك من قرارات الخروج منها ويَخلق أسباب الصدام مع أفرادها.

وعلى سبيل الاستطراد والفائدة، جاء في التفسير الكبير للفخر الرازي، (ص،191، ج. 6): «لا تتمُّ مصلحة الإنسان الواحد ولا تتم إلا عند اجتماع جمع في موضع آخر؛ فلهذا قيل: لإنسان مدني بالطبع، ثم إن الاجتماع بسبب المنازعة المفضية إلى المخاصمة أولا، والمقاتلة ثانيا، فلا بد في الحكمة الإلهية من وضع شريعة بين الخلق، لتكون الشريعة قاطعة للخصومات والمنازعات». ولقد جاء هذا الكلام في سياق عرض تفاسير حول الآية (251) من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: «ولَوْ لا دفاعُ اللهِ الناسَ بعضَهُم ببعْضٍ لفَسَدَت الأرضُ».

4 - وهذا التنافر ليس بالأمر الغريب، لأنه طبيعي في الإنسان: فهو يملك من الميول نحو إقامة مدينة مزدهرة، بقدر ما يملك من الاستعدادات الكامنة - ولكنها حية - ليجعل من الهدوء اضطرابا ومن الجنة جحيما.

5 - والأمر الذي لا يجب أن نستغربه في هذا السياق، هو أن الإنسان يمنح غيره كامل ثقته لتاسيس مدينة أو أمة، ولكنه يتمسك في داخله، بكامل عدم الثقة فيما يؤسس أو يعقد أو يتنازل انحناءً للتعاون واحتراما للأخلاق. وكأنه يعيش في اضطراب عادي بين الثقة واللاثقة بين المدنية واللامدينة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

فهَذه المُقاومةُ [1] هي التي تُوقِظُ كلَّ قُوَى الإنسانِ، وتَحْمِلُه على تجاوُزِ انْحنائه لِلكسَلِ، وأنْ يَشغَلَ - تحْتَ اندِفاعِ الطُّموحِ، وغَريزَةِ التَّفَوُّقِ أو الجَشَعِ - مَكانًا بَيْن رُفقائه الذين يَحتمِلُهُم بامْتِعاضٍ، [2] ولا يَسْتَغني عَنُهم.

[...] و مَع التَّطوُّرِ، يتأسَّسُ نَوْعٌ من الفِكْرِ الذي يَستطيعُ مع مُرُور الزَّمان، تَحْويلَ خُشُونة الاستِعدَاداتِ الطبيعيَّةِ للرُّشدِ الأخلاقيِّ إلى مَبادئَ عَمَليَّةٍ مُحَدَّدةٍ. [...] ومِن غِيَابِ ذلك، فإنَّ هذه الإمكانياتِ الطبيعيَّةَ المُمتازَةَ لِلبَشَريَّة، كانتْ سَتُخنَقُ في نَوْمٍ أبَديٍّ. إنَّ الإنسانَ يُريدُ الوِئَامَ، ولكنَّ الطبيعةَ تَعْرِفُ أحْسَنَ مِنه، ما الخَيْرُ الذي يُناسِب جِنسَه: فهِيَ تُرِيدُ الخِلافَ [3]». [4]

إمانويل كانط [5]

أسئلة

1 - اِشْرَحْ أطروحة كانط، على ضوء المشكلة التي يعالجها النص، مُبْرِزا ومُرَقِّمًا الحجج التي تدعمها.

2 - في هذه الأطروحة جوانب إيجابية، وأخرى سلبية؛ بيِّن ذلك، في جدول يناسب المقام.

3 - عبِّر عن رأيك في فقرة لا تتجاوز عشرة أسطر، تجيبُ فيه عن هذا السؤال: «هل يحتاج الإنسانُ إلى مقاومة الآخرين حتى يُثْبِتَ وجودَه ومكانتَه؟».

1 - ويصف كانط هذه الحالة بالمقاومة التي يريد المقاوِمُ بواسطتها أن يرفع دائما من شأنه ويخلع على مفهوم الانحناء المعنى الشريف.

2 - ويصل كانط إلى التصريح بهذه الحقيقة، وهي أن الإنسان يتعامل مع غيره كما يتقابل النقيض ونقيضه، وهذا من أجل أن يتفوّق عليه، ويَسْحَقُه. فالحياة مقاومة وتعارض وكفاح.

3 - وهنا يجب التمييز بين الميول في شكلها الخام، و الميول التي صَقلتْها الحياة الاجتماعية وهذبتها. ومهما كان نبل العلاقات التي ينسجها الإنسان مع غيره، ومهما كانت درجة المحبة التي يبلغها، فالطبيعة هي دائما، تريد التعارض والتنافر، وفي ذلك حكمة وهي استمرار الحياة.

4 - فكرة عن التاريخ العالمي، القضية الرابعة، كراريس حول التاريخ.

Emmanuel Kant, Idée d'une histoire universelle, 4éme proposition, trad. S. Piobetta in Opuscules sur l'histoire, Paris, Garnier-Flammarion, 1990,p.(74-75).

5 - صاحب الفلسفة النقدية التي آمن فيها بثنائية العقل والتجربة بشكلها التكاملي، وبالتعارض بين العلم والإيمان، بين الظاهر والشيء في ذاته، بين الطبيعة والحرية. له ما يقارب 35 مكتوبا بين مقال وكتاب. ومقاله حول تاريخ العالم، يكشف وجها آخر من فلسفة كانط؛ وأثارت مقالاته وكثيرٌ من كتبه جدالا حول ما إذا كان كانط قد حافظ على نسقية تفكيره؛ (1724-1804).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل التعارُضُ بين العلّيَّة العلمية والعلّية البشرية يمنع استفادةَ أحدهما من الآخر ؟]

«فهُناك تَعارُضٌ بين فِكرَتي العِلّيَّة العِلْميَّة والعِليَّة البَشَرِيَّة [1] أو الأخْلاقيَّة؛ والتَّفْسيرُ بِواسِطة العِلّية الأُولى [2] إنْ هُو إلا تَرَاجُعٌ ليس له حَدٌّ يَقِفُ عِندَه، لأنَّ العِلَّةَ بالنِّسبَة إلى العِلْم ظاهِرَةٌ مِثلَ المَعْلولِ [3] نَظَرًا إلى أنَّ القوَانينَ العليَّةَ لا تُعبِّرُ إلا عَنْ عَلاقاتٍ ضَرُوريَّةٍ بين الظَّواهِرِ [4]؛ في حِينِ أنَّه يُؤخَذُ الشَّخْصُ في العِليَّة البشريَّة، [كَفَاعِلٍ] كَعِلَّةٍ أُولى [5]؛ فالفِعلُ يَبْتدِئُ مِنه كما قال أرِسْطُو [6]، وليس بَيْنَ حَدَّي الظواهِرِ العِلميَّةِ والأفعال البَشريَّةِ تَجَانُسٌ [7].

[...] على أنَّ هذا لا يَعْنِي أنه لا يُمكِنُ تَصَوُّرُ الأفْعالِ على شَاكِلَةِ الظَّواهِرِ الطبيعيَّةِ الأُخْرَى؛ [...] فَعِلمُ الجَريمَةِ الحَديثُ يَدرُسُ أفْعالا بَشريَّةً، وهُو مع ذلك، لا يَعرِفُ إلا العِلّيَّةَ

1 - العلية العلمية هي المبدأ الذي يقضي بوجود علاقة بين العلة و معلولها، ويعبر عنها العلماء بالعلاقات الثابتة بين الظواهر. والعلية البشرية هي مبدأ فلسفي يقضي في ميدان التكليف والمسؤولية، بأن الإنسان هو المصدر الذي تنتهي إليه الظواهر عندما يتعلق الأمر بخرق قانون أو خروج عن قاعدة مألوفة.

2 - وإذا طبقنا مبدأ العلية العلمية على أفعال الناس، فإننا لا نصل إلى نتيجة لأن الأسباب والمسببات تتساوى في التعاقب أو التراجع إلى غير نهاية. مثلا، أمام جثة هامدة يتهافت المحققون للبحث عن سبب الموت؛ قد يكون أول احتمال نزيف دموي، وثاني احتمال الذي يتحول إلى سبب وهو اختراق رصاصة صدره؛ فهنا لا يعقل أن نلقي المسؤولية على النزيف أو الرصاصة لأنهما ظاهرتان غير مكلفتين؛ فقد يذهب بنا الأمر إلى تتبع شريط الأسباب كأن نقول: ما مركبات هذه الرصاصة أو من أين انطلقت، ومن أين اشتراها، ومن رخص له بذلك... وهكذا إلى ما لا نهاية.

3 - العلة مثل المعلول لأن العلة مسبوقة هي الأخرى بعلة وهكذا.

4 - إن لغة العلم اليوم، لم تعد تتحدث عن السبب والمسبب بمفهومها الفلسفي، وإنما عن العلاقات الثابتة بينهما كظواهر. فعندما يقولون: إن السم قاتل، فإنهم لا يعبرون إلا عن فكرة سطحية وعامة؛ فقد يتناول الإنسان كمية قليلة جدا من السم ولا يلحقه أدنى مكروه، لأن القضية قضية مقادير وكميات معينة وعلاقاتها بنسبة الاحتمال والمقاومة لدى جسم من يتناول هذه المادة.

5 - العلية الأخلاقية أو البشرية تفيد في مجال الفلسفة الأخلاقية بأن الأسباب والمسببات مهما تسلسلت وتعاقب بعضُها على بعض، تنتهي إلى السبب الأول، وهو في النهاية الإنسان باعتباره الكائن المسؤول الوحيد.

6 - يرى المعلم الأول والفيلسوف الإغريقي أرسطو بأن الفعل يقتضي الفاعل، وهو العلة الأولى التي ليست قبلها علة، لمجرد كونه مصدرَ الفعل مع الوعي بأنه فعله ويتحمل لهذا السبب تبعاته.

7 - فهناك عالم الأشياء التي تحكمها قوانين الكون، وهناك أفعال تحكمها إرادة الناس وتقررها حريتهم في الاختيار.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

العِلميَّةَ: إنه يَبْحَثُ في الوَسَطِ الطبيعِيِّ والاجْتِماعِيِّ وفي البِنْيَةِ العُضويَّةِ النفسيَّةِ، عن أسْبابِ الجَريمَةِ مِثلَما يَبْحَثُ عِلمُ الأمْراضِ في ذلك، عن أسْبابِ المَرَضِ [1].

أما القَاضِي، فإنَّه يَبحَثُ مِن وَراءِ حادِثةٍ أخْلاقِيَّةٍ، عن عِلَّةٍ أُولَى. فالمُشْكِلَتان مُخْتَلِفتان تمامَ الاخْتِلافِ. إنَّ القاضِي الذي يَجِبُ عليه أنْ يُقَدِّرَ المَسؤُولِيَّةَ، يَرجِعُ إلى نفْسِه ويَجتَهِدُ، لِكيْ يَرَى ما إذا كانَتِ الانْفِعالاتُ التي أثارَتْها الجَريمَةُ، كما تصوَّرَها، كفِيلةً بِتَعْيين المُتهَمِ للعُقوبَةِ؛ لأنَّ التَّأْكيدَ على أن المُتَّهَمَ هو حَقًّا مُقتَرِفٌ للجَريمَة، يَمْتَزِجُ مَع التأكِيدِ على مَسؤولِيَتِه. وتكونُ العَمَلِيَّةُ كلُّها غيرَ مَفهومَةٍ، إذا لَمْ نَأْخُذْ بِعَيْنِ الاعتِبارِ، القُوَى الأخلاقِيَّةِ [2] التي تَتدَخَّلُ فِيها بِصِفَةٍ رَاجِحَةٍ.» [3]

بول فوكوني [4]

أسئلة

1 - اُذْكُرْ الأفكار الأساسية الواردة فى النص، وحلل كل واحدة منها.

2 - إن المحاكم العصريَّة ـ بقصد إنصاف المتهم ـ تتجه اليوم، إلى معرفة مدى توفُّر شروط المسؤولية، وأسباب الجريمة بالاعتماد على خبرة العلماء. بَرْهِنْ على ذلك.

---

1 - ولكن هذا لا يعني أن الفعل البشري لا يمكن اعتباره في مجال الدراسات العلمية، ظاهرة من الظواهر؛ فالسلوك الإجرامي ليس فعلا مجانيا وحرا حرية مطلقة، وليس ظاهرة تنفلت من نواميس الكون. فعندما يسرق السارق، فالعالِم يبحث عن الدوافع الموضوعية التي حاصرت السارق ودفعته إلى السرقة. أما القاضي أو رجل الأخلاق والقانون، فإنه مهما كانت تحقيقاته دقيقة وتحرياته موضوعية، فإنه دائما يَرجع إلى من فعل الفعل أي من سرق؟

2 - وإذا كان مصدر المسؤولية الاخلاقية يتمثل في الإنسان باعتباره حاملا لضمير، فهذا لا يعني أن المحكمة لا تأخذ بعين الاعتبار الظروف المخففة التي تمكن القاضي من إنصاف المتهم؛ لأن المسؤولية يرفعها شرطان أو أحدهما: غياب حرية الاختيار وغياب التمييز بين الخير والشر في أثناء ارتكاب الخطأ أو التعدي.

3 - بول فوكوني، المسؤولية، Paul Fauconnet, La responsabilité, Paris : Alcan, 1920, P. (243-244), Paris, 1920 .; 2e éd., 1928

4 - هو مفكر اجتماعي من أصل سويسري (1874-1938) واحد تلاميذ دوركايم؛ له كتاب «المسؤولية: وهو دراسة في علم الاجتماع» قدمه كأطروحة دكتوراه الدولة في 1920، وله عدد من المقالات التي اشترك فيها مع أستاذه «علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية» (1903) ومع صديقه مرسال موص «علم الاجتماع: موضوعه ومنهجه» vol. 30, Société anonyme de La grande Encyclopédie, Paris, 1901

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كان الإنسانُ مقيَّدًا بقضاءٍ وقدَر، فهل من العدل محاسبتُه؟]

« فإذا سَلَّمْنَا بمَنطِقِ الجَبْريِّين [1] الذين يَقُولُون : (إن الإنسانَ في أفعالِه مُسَيَّرٌ لا مُخَيَّرٌ، وأنه مَهْما يَفعَلْ، فَإنَّ فِعلَه مُحْتَوًى عَليه بمَشِيئَةِ القَدَرِ وَحْدَهُ)؛ ومَعْنىَ ذلك، أن إرادَتَهُ صُوريَّةٌ لا حَقيقَةَ لهَا، وَأنَّ الإرادَةَ الحَقِيقِيَّةَ هِي إرَادَةُ القَدَرِ [2] وَحدَه؛

إذا سَلَّمْنا بذلك، كانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنا أنْ نُبَرِّرَ اسْتِحْقاقَ [3] الجَانِي لِلعِقَابِ [4] أو الثَّوابِ عَن فِعلِه، طالَما أنه لمْ يَصْدُرْ حَقِيقةً، عن إرَادَتِهِ وإنَّما فَرَضَهُ عَلَيْه القَدَرُ.

ولَمَّا كانتِ العُقوبَةُ الجِنائِيَّةُ نَوْعًا مِن الجَزَاءِ، فإنَّ مَذهَبَ الجَبْرِيَّةِ المُتَطَرِّفَ، لا يَستَطِيعُ أنْ يُفسِّرَ لنا مِن الوِجْهَةِ الأخلاقِيَّة، مَشرُوعِيَّةَ العُقُوبَةِ الجِنائِيَّةِ [5] التي تَقعُ على فَرْدٍ، لا يَستَطِيعُ أنْ يَمْتنِعَ عن ارْتِكابِ الجريمَةِ التي فَرَضَهَا عليه القدَرُ [6]. ولا يَرْضَى فلاسِفةُ الأخْلاقِ والأدْيَانِ

---

1 - الجبريون ويصنفهم الشهرستاني مع «الجبرية الخالصة وهي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا». (الملل و النحل، ج.1، ص، 112).

2 - القدر ج. أقدار، هو ما يقضي به الله تعالى ويحكم به. ويفرق بعض علماء العقيدة بين القضاء والقدر؛ الأول هو ما قرره الله على عباده في الأزل؛ وأما الثاني، فهو سَيَران القضاء وتطبيقه في وقته.

3 - استحقاق : ما يستوجبه الخطأ من عقوبة في شأن صاحبه.

4 - يميز أهل الشريعة بين العقاب والعقوبة : العقاب يتولاه الله في يوم القيامة؛ والعقوبة هي الجزاء الذي تقضي به قوانين الدولة.

5 - المسؤولية نوعان : مسؤولية أخلاقية ومسؤولية اجتماعية؛ الأولى هي شعور الشخص الداخلي بأن ما صدر عنه من أفعال هي أفعاله، و أنه يتحمل عواقبها أمام محكمة ضميره (ولهذا فهي تقوم على النية)؛ والثانية صنفان : مسؤولية اجتماعية (قانونية) وأخرى مجتمعية؛ والصنف الأول قسمان : مسؤولية جنائية (حيث يتحمل الجاني هو نفسه ما يترتب عن جنايته من عقوبات) وأخرى مدنية (حيث يتحمل الشخص عواقب أفعال لم يقم بها هو نفسه بالضرورة)؛ وأما الصنف الثاني، فهو المسؤولية التي يكون فيها الشخص مدانا أمام الرأي العام للقرية أو العائلة أو المجتمع في حالة انحرافه عن تقاليد مألوفة. ولهذا فالعقوبة الجنائية هي أشد عقوبة يتحملها كل من يتعدى على قوانين المجتمع والتعدي قد يكون جريمة قتل مثلا، أو نهب أو انتهاك حرمات.

6 - ما دام الفرد مقدَّرٌ عليه الفعل قبل ولادته.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

بهَذه النظريَّة. ويَعترِضُون على الأسَاسِ الذي يَبْنِي عَليه القَدَرِيُّونَ [1] مَذهَبَهُم؛ لأنَّ الإنْسانَ في نَظَرِهم كائِنٌ مُخَيَّرٌ، لهُ إرادَةٌ وعَقْلٌ يُمَيِّزُه عن سَائِر المَخلُوقاتِ. والشَّرَائِعُ والقوانِينُ جميعا - سَواءٌ منها المدَنِيَّةُ أو الجِنائِيَّةُ التي يَتمَيَّزُ بها الإنسانُ عَنْ سَائِرِ المَخْلُوقاتِ - مَبْنِيَّةٌ على ما يَتمَتَّعُ به مِن عَقلٍ وتَمْيِيزٍ وإرَادَةٍ [2] ». [3]

توفيق الشاوي [4]

أسئلة

1 - بيِّن بالحجة والدليل صوابَ رَأْيِ الجَبْرِيين وخَطأَهم.

2 - بيِّن بالحجة والدليل صواب المُعارِضين لهم.

3 - أَجِبْ عن السُّؤال الآتي : إذا كانَتِ المسؤولية قضيةً أخلاقية قبل كل شيء، فلماذا لا يقع الاهتمام بالنِّيَّةِ في تعْيين العقوبة؟

---

1 - المقصود بالقدريين هنا وفي هذا السياق، هم الجبْريون أنفسهم لأنهم يؤمنون بالقدر الإلهي. ولكن المعتزلة يعرفون أيضا، بالقدريين وهذا أمر مشهور لدى العلماء، لأنهم يؤمنون بأن للعبد قدرةً يستطيع بها أن يختار أفعاله و يخلقها.

2 - هذه من الشروط الأساسية التي تؤسس المسؤولية وتبررها؛و المقصود بالعقل بلوغ سن الرشد وتحديد السن يختلف من مجتمع إلى آخر، و الراجح هو 18 سنة؛ والتمييز هو التفرقة الواضحة بين الخير والشر، وخاصة في أثناء ارتكاب الجريمة؛ والإرادة تفيد حرية الاختيار والقدرة الواعية الطليقة على إصدار الفعل.

3 - توفيق الشاوي، المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية معهد الدراسات العربية، 1958، ص، 25.

4 - باحث عربي معاصر اختص في الدراسات التشريعية، صدر عنه عدد من المقالات، ومن مؤلفاته المشهورة، كتاب المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل الحرية مُعطًى طبيعيٌّ أم هي ثمرةُ الكَدِّ والنضال والصراع؟]

«إنَّ مَمْلكةَ الحُرِّيَّةِ لا تَبْدَأُ في الواقع، إلا حيْثُما يَنتَهِي العَمَلُ الذي تَفرِضُه الحاجَةُ والضَّرُورَةُ الخَارِجيَّةُ [1]. لِهذا فإنَّ وُجودَها يكونُ بالطَّبْعِ، خَارِجَ دَائِرَةِ الإنتاجِ المَادِّيِّ ذاته [2]؛ ويَنبَغِي للإنسانِ المُتَحَضِّرِ، كمَا هُوَ الشَّأْنُ تمامًا بالنِّسْبَةِ لِلمُتوَحِّشِ، أنْ يَدْخُلَ في صِرَاعٍ [3] مع الطبيعَةِ لإرْضَاءِ حَاجَاتِه، وللمُحافظَةِ على حيَاتِه، وتَجْدِيدِ قُوَاهُ الحَيَوِيَّةِ. وهذا الإلْزامُ يُوجَدُ في كلِّ الأشكالِ الاجْتِماعِيَّةِ، وكلِّ نماذِجِ الإنْتاجِ أيًّا كانَتْ.

وكُلَّما تطَوَّرَ الإنسانُ المُتحَضِّرُ، اتَّسعَتْ مَمْلكةُ الضَّرورةِ الطبيعيَّةِ طَرْدًا مع نُمُوِّ الحَاجاتِ، [4] ولكنْ في آنٍ واحد، تَزْدَادُ قُوَى الإنْتاج التي تُوَفِّرُ تلك الحَاجَاتِ. ومِن هذه الوِجْهَةِ، لا تَنْحَصِرُ الحُرِّيَّةُ [5] إلا فيما يلي: أنْ يُنظِّمَ الإنسانُ الاجتماعِيُّ، وكذا المُنْتِجُونَ المُتجَمِّعُونَ بصِفةٍ عَقلِيَّةٍ، عَمَلِيَّةَ التَّكييفِ هَاتِه، وهي عَمَلِيَّةٌ تَرْبطُهُم بالطبيعةِ؛ وأنْ يُخْضِعُوها لِرَقابَتِهِم المُشتَرَكةِ - عِوَضَ أنْ يَستَسْلِمُوا لها وكأنَّها قُوَّةٌ عَمْيَاءَ - وأنْ يُنْجِزُوا هذه العَمَلِيَّةَ في نفْسِ الوقتِ بِأقَلِّ الجُهُودِ المُمكِنَةِ، وفي الظُّروفِ التي تَكُونُ أكثرَ تَلاؤمًا مع كرَامَتِهم، وطَبِيعَتِهم الإنسَانِيَّتيْن [6].

---

1 - لا يدخل هذه المملكة حيث ينعم بلذة الحرية إلا من عرف كيف يتغلب على مؤثرات الحاجات البيولوجية ومؤثرات العالم الطبيعي الخارجي. وكان العمل أو ثمرته هو المفتاح أو كلمة السر التي تسمح له بدخول المملكة.

2 - خارج دائرة الإنتاج المادي، أي توجد هذه المملكة في مستوى الحصول على شتى الحقوق، منها التقليل من ساعات العمل والمشاركة في تسيير العملية الاقتصادية.

3 - إن الصراع مع الطبيعة هو مصدر الإنتاج ومن ثمة، فهو الذي يرشح صاحبه للدخول إلى عالم الحرية.

4 - ولكن منطق التطور يفرض على الإنسان الانتقال من التوحش إلى التحضر، وهو الأمر الذي يزيد من امتداد عالم الضرورات بقدر اتساع حاجاته. وما نشاهده اليوم، في كل الدول وخاصة منها المتقدمة، يؤكد تنوع الحاجات والتحكم أكثر فأكثر في مجال الضرورات الكونية مع تقنين وتحسين ظروف العمل.

5 - وفي النهاية، تنحصر هاته الحرية في التنظيم الاجتماعي العقلاني الذي يتساوق مع المحيط الطبيعي الذي يعيش فيه المنتجون، ويشارك كل واحد منهم في مراقبته، طارحين على جانب، الأخذ بفلسفة القوى السحرية والخرافية والاعتقاد في الصدفة والاتفاق والخوارق.

6 - ولا يجب على العامل في مملكة الحرية أن يستسلم لأسباب الذل والهوان لأن له كرامته وحقوقه كإنسان.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

ولكنَّ هذا المَيْدَانَ يَبْقى دَائمًا، مَيدانَ الضَّرورةِ. وفِيمَا بَعْدُ، يَبْدَأُ ازدِهارُ القُوَّةِ الإنسانيَّةِ التي تُشَكِّلُ غايَةً لِذاتِها، أيْ تَبْدَأُ المَملكةُ الحَقيقِيَّةُ للحُريَّةِ [1]. ولكنَّ هذه المَمْلكةَ لا تَزْدَهِرُ إلا اسْتِنادًا إلى مَملكةِ الضَّرورةِ. إن التَّخفِيضَ في أوْقاتِ العَملِ اليَوْمِي هو الشَّرْطُ الأساسِيُّ لذلك». [2]

كارل ماركس [3]

أسئلة

1 – حدِّدْ مفهوم الحرية عند ماركس، على ضوء تحليلك للنص.

2 – بيِّن بأنَّ قضية الحرية حسب النص، ليست قضيةَ فلسفية تدعو إلى التأمُّل والتخمين.

3 – يربط ماركس الحرية بتحرُّر العمال من أسباب اللامبالاة والاستغلال؛ عبِّر عن رأيك، في ظل عولمة جديدة.

---

1 - والمملكة الحقيقية للحرية هي الغاية التي يسعى العمال إلى بلوغها بعد جهود مضنية؛ ولعل ماركس يقصد مرحلة الشيوعية الأخيرة.

2 - كارل ماركس، رأس المال، K. Marx, Le capital, L.III, T.3, Ed. Sociales, Paris, 1976, P. 93.

3 - فيلسوف ألماني (1818-1883) اشتهر في مجال الفكر الاجتماعي بفلسفته الاشتراكية وحملته الشرسة على الرأسمالية؛ حرَّر بيان الحزب الشيوعي مع صديقه إنجلز. ويعتبر أن أساس الظواهر الإيديولوجية والاقتصادية والتاريخية، أساس مادي؛ من مؤلفاته، أسس نقد الاقتصاد السياسي، ورأس المال.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[إذا كان من الوَهم الانفلاتُ من قوانين الكون، فكيف نحقق حريَّتنا؟]

«كانَ هِيجَل [1] أوَّلَ مَن أوْضَحَ بِدِقَّةٍ عَلاقةَ الحُرِّيَّةِ بالضَّرُورَةِ: «تَبقَى الضرورةُ [2] قُوَّةً عَمْيَاءَ، طَالَما تَظَلُّ غيْرَ مَفهُومَةٍ»؛ ولا تَتمَثَّلُ الحُرِّيَّةُ في اسْتِقلالٍ وَهْمِيٍّ [3] عَنْ قَوَانِينِ الطبيعَةِ، بَلْ تكُونُ بِمَعرِفَةِ هذه القَوانِينِ، وبِالتَّالي بِالإمْكانِيَّةِ المُتوفِّرَةِ لِتسْخِيرِها [4] بصُورَةٍ مَنهَجيَّةٍ لأغْرَاضٍ مُعَيَّنَةٍ؛ وكمَا يَصِحُّ هذا الرَّأيُ على قَوَانِينِ العَالَمِ الخارِجِيِّ، فإنَّهُ يَصِحُّ أيْضًا، على القَوَانِينِ التي تَتحَكَّمُ في الوُجُودِ الطبيعِيِّ والنفْسِيِّ [5] للإنسانِ ذاتِهِ [...].

والتَّأرْجُحُ [6] - الَّذي يَقُومُ على الجَهْلِ والحَيْرَةِ ظَاهِرِيًّا واعْتِباطِيًّا - بَيْن إمْكانِياتِ تَقرِيرٍ عَدِيدَةٍ، مُخْتلِفةٍ ومُتَناقِضَةٍ، لا يُعَبِّرُ بالذَّاتِ إلا عَن عَدَمِ حُرِّيَّةِ الإرادَةِ وخُضُوعِهَا للمَوْضُوعِ الَّذي يَنبَغِي أن نُخْضِعَهُ لها.

---

1 - هو فريدرك هيجل (1770-1831) فيلسوف ألماني يوحّد في فلسفته بين الوجود والفكر على أساس أنهما مبدأ واحد هو التصور؛ والفكر يبدأ بذاتية مجردة ثم ينتقل إلى ما يناقضه ثم يخطو إلى الوحدة التي تضمه وتضم معه أضداده. من مؤلفاته، علم المنطق، ظاهرية الفكر، فلسفة الدين، مبادئ فلسفة القانون.

2 - الضرورة هي الحتمية أو مجموع القوانين التي تحكم العالم؛ وهي مبدأ يقابل الصدفة والاتفاق. إلا أن هذه الضرورة قد تتقدم إلينا كشبح لا منطق له، عندما لا نسعى إلى معرفة حقيقته.

3 - قد يتوهم بعضُهم أن الحرية - وهذا في مفهومها الميتافيزيقي - هي التصرف خارج الضرورة، وانفلات من كل ضغط سواء كان خارجيا يتمثل في الطبيعة الفيزيائية والبيولوجية أو داخليا يتمثل في الدوافع والميول النفسية.

4 - الحرية لا تنفي الضرورة بل تتعامل معها؛ يكفي أن ندرسها ونبحث في حقيقتها العلمية، حتى نعرف كيف نتحكم فيها، ونسخرها (أي نستخدمها) لمآربنا ومقاصدنا.

5 - والضرورة لا تتحكم فقط، في الكون بأسره ولا في الطبيعة المحيطة بنا فحسب؛ إنها تنظم أيضا، حياتنا العضوية والنفسية، فضلا عن الاجتماعية؛ حتى إذا تمكنا من فهمها، تحكمنا في مصيرنا.

6 - التأرجح هو في هذا السياق، التردُّد بين احتمالات متعددة غير مدروسة وغير مؤسسة وذلك بسبب الجهل.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وبنَاءً على ذلك، فإنَّ الحُريَّةَ تتمَثَّلُ في السَّيْطَرَةِ على أنْفُسِنا وعلى العَالَمِ الخارِجِيِّ، وهي سَيْطَرَةٌ تقُومُ على مَعرِفةِ الضَّروراتِ الطبيعيَّةِ». [1]

فريدريك إنجلز [2]

أسئلة

1 - وضِّحْ المشكلة المطروحة، وصُغْها بأسلوب استفهامي جديد.
2 - حلِّلْ النصَّ وركِّبْهُ.
3 - دعِّم رأي أنجلز بحجج شخصية، واختمه بخلاصة تحل فيها المشكلة.

---

1 - فريدريك إنجلز ضد ديهرنغ، F. ENGELS, Anti-Dühring (1878), Mr. E. Dühring bouleverse la science.

2 - فريدرك انجلز هو منظر اشتراكي ألماني (1820-1895) شارك في تحرير بياناتٍ دفاعا عن طبقة العمال أو البروليطاريا، وعن الشيوعية. اشتهر بحملاته ضد أطروحات دهرنغ الاقتصادية القائلة بأن الوازع السياسي هو الذي يحدِّد الوضع الاقتصادي. من مؤلفاته: ضد دهرنغ، جدلية الطبيعة، أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كانت مسؤولية الفرد تَكْفيه لإنهاك كاهله، فكيف لو عَلِمَ أنه مسؤولٌ عن الناس جميعا ؟]

« حِينَمَا نَقُولُ: إنَّ الإنسانَ مَسْؤُولٌ [1] عَنْ ذاته، فإنَّنا لا نَعْني بذلك، أنه مَسْؤُولٌ عَن ذاتيَّته الفَرْديَّة فَحَسْبُ، بَلْ إنَّنا نَعني أيْضًا، أنَّهُ مَسؤولٌ عن جَميع النَّاس؛ [2] وحِينَما نَقُولُ: إنَّ كُلَّ فردٍ مِنَّا يَخْتارُ ذاتَهُ، فإنَّا لا نَعني بذلك، أنه يَخْتارُ لِنَفسه فَحَسْبُ، بَلْ هُو يَخْتارُ أيْضًا، لِجَميع الناس؛ والوَاقِعُ أنه ليْسَ ثمَّة فِعْلٌ من أفعَالنا لا يَكونُ مِنْ شَأنه حِينَ يُبْدِعُ الإنسانُ الذي نُريدُ أنْ نَكونَهُ، أنْ يُبْدِعَ في الوَقت نَفْسه صُورَةً للإنسان على نَحْو مَا نُريدُهُ على أنْ يَكونَ، [3] وإذنْ فإنَّ مَسْؤُوليَّتَنا لَهِيَ في الحَقيقة أعْظَمُ بكثير مِمَّا تَتوَهَّمُهُ لأوَّل وَهْلة، [4] فإنَّها لا تُلزِمُنا نحْنُ فقطْ، بَلْ هِيَ تُلْزِمُ الإنسَانيَّةَ بأسْرِهَا [...]. ومَعنَى هَذا أنَّني مَسْؤُولٌ أمَامَ نَفْسِي وأمَامَ الآخَرينَ ». [5]

سارتر [6]

أسئلة

1 - حدِّد مفهوم المسؤولية لدى الفيلسوف الوجودي سارتر، ومَوْقِعَ القلق في تَحَمُّلِها.

2 - إذا كان غيري مسؤولا عني أيضا، فالقضيَّةُ بين أمريْن: إما أنه يتحمَّل عواقب أفعالي دون أن يشاركني فيها؛ وإما أنني في أفعالي لستُ حرا على الإطلاق؟ وضِّح وافْصِل في القضية.

---

1 - المسؤولية هي شعور الشخص الداخلي بأن الفعل الذي صدر عنه هو فعله، وبأنه يتحمل ما يترتب عنه (أي عن الفعل)، من عواقب. وذلك لأن المسؤولية تبدأ بالشعور الداخلي والاعترافِ الداخلي بما صدر عنه من سلوكات ومواقف. وهذا الشعور هو أساس كل أنواع المسؤولية، وخاصة منها النوع الأخلاقي، لأنه مقر الضمير ومقر النية و القصد.

2 - وهنا يتسع حجم مسؤولية الشخص إلى غيره من الناس بحيث يُقر بقوله أنا مسؤول قِبل نفسي وقبل الناس جميعا؛ وإني بإرادتي للحرية اكتشف أن حريتي تتوقف تماما على حرية الغير، وحرية الغير تتوقف على حريتنا.

3 - فمصيرنا جميعا واحد، إذ يكفي أن واحدا فقط، من الناس - مهما كانت منزلته - يصنع جميلا، أو يصنع مكروها، حتى ندفع الثمن جميعا؛ خذ من ذلك ما صنعته الحروب وخاصة منها الحربين العالميتين، وما صنعه الجهل والمجاعات.

4 - يبدو أننا الآن، تجاوزنا مفهوم المسؤولية في مستواها الفردي؛ ولإدراك مفهومها الجديد، يجب أولا، أن يتصارع الفرد مع نفسه متسائلا: هل أنا على تمام الوعي بمسؤوليتي في مجرد دائرتها الفردية حتى أرتقي إلى هذه الدائرة العالية والخطيرة؟ نقول خطيرة لأنها مثار قلق، ومكشاف حقيقة رهيبة.

5 - جان بول سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، L'Existentialisme est un humanisme,Paris,1946,p. 36.

6 - هو فيلسوف وكاتب فرنسي (1905-1980)، أسس انطلاقا من المذهب الظواهري، تصورا حول الشعور (في ذاته ولذاته، والحرية) جعله أحد أقطاب الفلسفة الوجودية، وهي فلسفة جعلها تتجه نحو نزعة ماركسية. وعُرف برفضه لجائزة نوبل للأدب؛ من مؤلفاته، الوجود والعدم، نقد العقل الجدلي، وله روايات: الغثيان، سبل الحرية، الأيدي القذرة.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كان الاختلاف من سُنَن الله،
فلماذا نحاربه، وخاصة إذا تعلق الأمر بالمعتقدات الدينية؟]

«إنَّ الشُّعوبَ التي قَدَّم لنا التَّاريخُ عَنْها بَعْضَ الأخْبارِ القَليلَةِ، كانت تَنْظُرُ إلى اختِلافاتِهم الدِّينيَّةِ كَعُرًى [2] تُوَحِّدُهم جميعًا. فلَقدْ كان بين الآلِهَةِ نَوْعٌ من حَقِّ الضِّيافَةِ، كما هو الحالُ بيْنَ النَّاسِ. فعِندَمَا يَحُلُّ أجْنبيٌّ بمَدِينَةٍ، يَأخُذُ في عِبادَةِ آلِهَةِ البِلادِ. ولم يَتأخَّرْ أحَدٌ حَتىَّ مِنْ تَوْقِيرِ آلِهَةِ أعْدائِه. إنَّ سُكَّانَ طُرُوادَة [3] كانُوا يُوَجِّهُونَ صَلاتَهُم إلى الآلِهةِ التي كانتْ تُحَارِبُ مِن أجْلِ اليُونانِيِّين. ولقد اسْتشَارَ الإسْكَنْدَرُ [4] في صَحَارِي لِيبيَا المِصْريَّةِ، إلَهَ (آمُون) الذي سَمَّاهُ اليونانيُّون باسْمِ (زُيُوس) [5] واللاَّتِينِيُّونَ باسم (المُشْتَرِي)، وإنْ كانَ لِهَؤُلاءِ وهَؤُلاء مُشتريهِم وزُيُوسُهم في بلادِهِم... وهكذا، كانت الدِّيَانةُ تَجْمَعُ الناسَ، وتُلطِّفُ أحْيانا هَيَجاناتِهم حتى في حَالةٍ كانَتْ هي تأمُرُهم بمُمارَساتٍ لاإنسَانِيَّةٍ وبَشِعَةٍ.

وإنه لَمِن الحَماقَةِ، الزَّعْمُ بدَعْوَةِ كلِّ الناسِ إلى التَّفْكِيرِ بكيْفِيَّةٍ مُتماثِلة. وإذا كانتْ آفاتُ الحَرْبِ مَحْتُومَةً، فلا يَجبُ أنْ نَتكارَه ونَتمازَقَ بَعْضُنا بَعْضًا في حِضْنِ السِّلم.

---

1 - وهنا لا بد من كلمة تمهيدية لسياق هذا النص: في إطار هذا التصور، يدعو فولتير في كتابه «مقالة في التسامح» إلى التسامح في جميع المجالات وبوجه أخص، في مجال الدين والعقيدة باعتباره قانون الطبيعة العالمي، وَوقفًا على الإنسانية كافة؛ والوقوف في وجهه، تنجم عنه مآس رهيبة. يقول: إننا أبناء من نفس الأب ومخلوقات من نفس الإله. وإننا عجين من النقائص والأخطاء؛ لنتسامح حماقاتنا فيما بيننا: إنه قانون الطبيعة الأول. لقد كان اليابانيون أكثر الناس تسامحا: في إمبراطوريتهم، قامت اثنتا عشرة ديانة وديعة؛ ثم جاء اليسوعيون، فاقاموا الديانة الثالثة عشرة، ولكن اليابانيين بقصد ألا تزيد معاناتهم، احترزوا منها، وكلنا يعرف ما ترتب عن ذلك، من حروب أهلية دامية.

2 - عرى ج. عروة: الرابطة و اسمنت التلاحم.

3 - مدينة قديمة في آسيا الصغرى دخلت في حروب مع اليونان (Troie).

4 - لعله الاسكندر الاكبر (356-323 ق.م.) تلميذ ارسطو؛ و لقد ذكره القرآن الكريم في سورة الكهف، (83. 86. 94).

5 - زيوس إله الصواعق (Zeus).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

إنَّ الطبيعَةَ [1] تَقُولُ لِجَميعِ النَّاسِ: « إنّي أنْشَأتُكم كلَّكم ضُعَفاءَ وجَاهِلينَ للعيْش بعضَ الدَّقائقِ على الأرْضِ و تَسْمِينِها بجُثَثِكُم. و بِمَا أنَّكُم ضُعَفاءُ، تَسَاعَفُوا؛ وبما أنَّكُم جَاهِلُون نوِّرُوا [2] واحْتمِلوا بَعضَكُم بَعْضًا. وعِنْدَمَا تَصِلون كلُّكُم إلى نَفْسِ الرَّأْيِ - وهذا ما لا يُمكنُ مِن غَيْرِ شكٍّ، أنْ يَتحَقَّقَ إطلاقاً - وعِندما لا يَبْقَى إلا رَجلٌ واحدٌ له رأيٌ مُخالِفٌ، فلا بُدَّ مِن أن تَصْفَحُوا عَنه، لأنَّني أنا مَنْ جَعَلْتُه يُفكِّر بالأُسْلوبِ الذي يُفكِّر به؛ لقد أمْدَدْتُكُمْ بالسَّواعِدِ لِفلاحة الأرْضِ، و ببَصِيصٍ من العَقْلِ للتصَرُّفِ؛ لقد زَرَعْتُ في قُلوبِكم بَذرَةَ الشَّفَقة، لِتتعاوَنُوا بَعْضُكُم بعضًا على تَحَمُّلِ الحَياة. لا تَخْنِقوا هذه البَذْرةَ ولا تُفْسِدُوها، وتَعَلَّمُوا بأنها رَبَّانِيَّةٌ [3]، ولا تُحِلُّوا حَماقاتِ المدْرسَةِ البَائِسَةِ مَحَلَّ صَوْتِ الطبيعةِ »؛ مع العِلم بأن اختِلافَ الناس في أساليبِ حَيَاتِهم ومُعتَقداتِهم، من سُنَنِ اللهِ في خَلْقِهِ ». [4]

فولتير [5]

أسئلة

1 - كثُر الحديثُ في هذا القرن عن فضيلة التسامح؛ بيِّن في خطابٍ فلسفي، ضرورةَ ممارستها في المجال الديني قبل كل شيء.

2 - أجِبْ عن السؤال التالي: ألا يمكن أن يمتدَّ التسامحُ إلى مجالات الحياة الواسعة، كالسياسة والعادات و الأفكار؟

---

1 - هذا لا يعني أن الطبيعة هي التي خلقتنا؛ و فولتير ليس جاحدا للإله، وإنما هو تعبير مبتذل قد يعبر عند البعض عن اتحاد الله بالطبيعة، أو عن أن الطبيعة هي التي خلقتنا، والحالتان مستبعدتان في هذا السياق. (Voir notion de déisme)

2 - أي نوِّروا بعضكم بعضا.

3 - فالرب هو المسؤول عن تنويع خلقه واختلافهم في الأمزجة والطباع والتوجهات. فلماذا تناقشون الرب و تتعجبون من مخلوقاته؟ هو الذي قرر ما قرر، فلم يبق لنا جميعا سوى الرضا بمشيئته وقبول قضائه.

4 - فولتير، التسامح، الخاتمة، جواب عن رسالة مؤرخة في 1763/02/20. ص: Voltaire, Traité sur la tolérance, éd. Flammarion 1989, p. 69.

5 - فرانسوى فولتير (1694-1778) كاتب فرنسي، يُعتبر في تقدير أوروبا أمير النباهة والتفكير الفلسفي؛ من مؤلفاته، رسائل فلسفية، الماساة، المعجم الفلسفي، وعدد من القصص التي تعبر عن إعجابه بالأدب الكلاسيكي واحترام تقليده.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل تساوي الفُرص كفيلٌ بمُحاربة انتشار الجريمة والعنف؟]

«ففي أيّ مُجتمَع تَتفاوَتُ [1] فيه حُظوظُ النَّاس قُوَّةً وضُعْفاً، غِنًى وفَقرًا، صحَّة ومَرَضًا علْما وجَهْلا، حيثُ لا يكونُ ثمَّة تَساو بين الناس إمَّا بحُكم القانون أو بحُكم الواقع [2]، فإنَّ هذا المُجتمَعَ لا يُمْكنُ إلا أن يَغَصَّ بكل أنْوَاع الشرور والمَساوئ والمَفاسد والمظالم، في مثل هذا المجتمَع لنْ تَجِدَ إلا قَويًّا [3] يَنهَبُ أو يَغتصِبُ، ونُفوسًا تَجيشُ بالحِقْد وتَغلي بالتَّذمُّر والثَّوْرَة، أو تعيشُ مُحَطَّمَةً في مَهاوي اليَأْس لا تَكادُ تَرْقَى إلى مَرْتَبَة الحَيَوان [4]. وفي هذه المُجْتَمَعات التي يَسُودُها التفاوُتُ تَنْتشرُ الجَريمَةُ، ويَزدَهِرُ العُنْفُ، ولا يَكادُ الناسُ يتعامَلون إلا سَبًّا وقَذفاً، ولا يَتحادَثون إلا صِياحًا.

[...] فالتَّساوي في القُدْرَة [5] - وليْسَ التفاوُتُ - هو مَصْدَرُ كلِّ خَيْرٍ ونَعيمٍ في الدُّنيا». [6]

أحمد حسين [7]

أسئلة

1 - حرِّرْ مقدمةً كاملة تُبيِّنُ فيها:

أ - المناخَ الفكري الذي يناسب النص ويناسب التقديم

ب - المفارقة التي تثير القلق والتي تتعلق بموضوع المشكلة

ج - المشكلة الفلسفية

د - الخطوات المنطقية التي يتبعها النص في محاولته لحل المشكلة.

2 - حرِّرْ خاتمةً تناسب موقف الكاتب ومنطقَه، حيث تقدم إجابة نهائية ومناسبة.

---

1 - المقصود هنا بالتفاوت هو اللاعدل وحرمان الفرد من حقوقه التي تخولها له القوانين السماوية و القوانين الوضعية. فقد يكون التفاوت عدلا، إذا كان مؤسسا على اختلاف الكفاءات وتساوي الفرص.

2 - فقد يكون التفاوت مشروعا بحكم القانون بين قوسين، تحت نير الاستعمار وفي ظل إقطاعية أو رأسمالية متوحشة أو عنصرية؛ وقد يكون ظاهرة مألوفة أمام الأمر الواقع تجرها السنون.

3 - فالأقوياء ينهبون و يبتلعون الضعيف باسم القوة أو باسم القانون الذي وضعوه وصنعوه على مقياس مصالحهم.

4 - عندما ينتشر البؤس، وتتلاشى كرامة الإنسان، لم يعد الإنسان سوى مجرد بهيمة حتى أن بعضهم ممن يحركهم الجشع صنفوا المخلوقات إلى ثلاثة أقسام: الإنسان والحيوإنسان « Ani-homme » والحيوان.

5 - والتساوي في القدرة يستوجب التساوي في الحياة الكريمة أي في حق التعليم وحق الوقاية وحق العمل؛ فإذا وقع اللاتساوي عند المنطلق، ترتب عن ذلك، سيل من ردود الأفعال غير اللائقة كالعنف والجريمة و السرقة.

6 - أحمد حسين، الطاقة الإنسانية، مل. 3، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1970، ص، (420-421).

7 - هو الأستاذ أحمد حسين المحامي، مفكر عربي معاصر عاش بمصر، وهو ذو نزعة إنسانية يدعو فيها إلى تنشيط العزيمة والثقة بالنفس. ومعظم المقالات التي كان يكتبها، تأخذ هذا الاتجاه إلى درجة أن عباس محمود العقاد عبر عن تقديره له. من مؤلفاته المشهورة، الطاقة الإنسانية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كان كل واحد منا ينطوي على بُعد كوْني، ويؤمن بالنسبية، فكيف لا نتحاور؟ ولماذا لا نندمج في الطبيعة باعتبارها آيةً من الله الذي خلقنا من تراب، وجعلنا مستخلفين فيها؟]

« انطلاقاً مِنْ تَحَوُّل ثقافيٍّ حَقيقيٍّ، هَيَّأهُ الحِوارُ بين الحَضارَات، و بِفعْلِ مَكَّنَنا من اعْتبار ثَقافَتنا الغَرْبيَّة ثقافةً نِسْبيَّةً [1]، ومِن اكْتشاف مَا هُوَ حَيٌّ في الثقافات غَيْرِ الغَرْبيَّة [2]، تَعَلَّمْنا كَيْفَ نُدْرِكُ عَلاقاتٍ جَديدَةً مَع الطبيعَةِ ونَعيشُ مَعَها ومع النَّاسِ ومَع المُسْتَقبَلِ، ومع الإيمَانِ [3].

لنَصْنَعْ حُلْمًا كَبيرًا: وهُو أنْ نَرَى الأُمَمَ الغرْبيَّةَ العُظمَى، وبالأحْرَى تلك التي لَقَّحَتْ عَبْقريَّتَها الثَّقافةُ و الإيمَانُ الإسْلاميُّ [4]، وأنْ نُنْشئَ في الأمَاكِنِ ـ التي ازْدَهَرَتْ فيهَا هَذه [الأمَمُ الخاصَّةُ]، في قُرْطُبَةَ وبَاليرْمُو [5] وبَاريسَ ـ مَرَاكزَ لقاءٍ وبَحثٍ وتكوينٍ ونَشْرٍ واسِعٍ لِما يُمكِنُ للإسْلامِ أنْ يُقدِّمَه لنا اليَومَ، ويَقولَهُ لَنا، وما نَقُولُه [نحْنُ] لَه [6].

---

1 - ساد الاعتقاد في أوروبا، أن الجنس الآري هو أرقى الأعراق. ولقد أثر غوبنو الكاتب الفرنسي (J.A.Gobineau1816-1882) في منظري العنصرية الجرمانية بعد نشره لمقالة في اللامساواة بين الأجناس البشرية. و أبدى أرنست رينان (E.Renan1823-1892) الكاتب الفرنسي عداوته وحقده للعرب والمسلمين؛ اهتم بدراسة اللغات السامية وتاريخ الديانات؛ من مؤلفاته تاريخ أصول المسيحية، وتاريخ شعب إسرائيل؛ وزعم اليهود أنهم وحدهم أبناء الله وأحباؤه. وفي عصرنا، يصرح أ.كاريل (الطبيب الجراح الفرنسي والحائز على جائزة نوبل للأدب، 1873-1944) بـ« أن تقسيم سكان البلاد الحرة إلى طبقات مختلفة لا يرجع إلى المصادفة أو العرف الاجتماعي، وإنما هو مؤسس على قواعد بيولوجية صلبة وكذلك على صفات الأفراد الفيزيولوجية والعقلية» ؛ ويضيف قائلا : «في الأصل، ولد الرقيق والسادة رقيقا وسادة حقا. و اليوم، يجب ألا يبقى الضعفاء صناعيا في مراكز الثروة والقوة» . (الإنسان ذلك المجهول، ترجمة عادل شفيق، الدار القومية للطباعة والنشر، 1964، ص، 227-228). هذا فضلا، عن عقدة التفوُّق التي تحرك كثيرا من الغربيين واعتقادهم بأن نموذجهم الثقافي والحضاري هو الأمثل.

2 - وتواضُعُ بعضهم حملهم على اكتشاف ثقافات إنسانية عريقة و قيَمًا سامية تقوم على حياة الانسجام والتوازن وإشباع البعد الروحي الذي لا يقل أهمية عن الجوانب الأخرى.

3 - وهنا، إشارة إلى الحياة في وحدة يسودها التعايش فيما بيننا، والتناغم مع الطبيعة باعتبارها كائنا حيا يستحق منا الاحترام.

4 - هذا جميل واعتراف بما جاد به المسلمون عموما، وأهل الأندلس خصوصا، من إبداعات وما أضافوه من إنتاجات إلى الحضارات القديمة والحديثة.

5 - ميناء إيطالي (Palerme) وعاصمة صقلية التي فتحها العرب على يد زيادة الله الأغلبي (827 م.)، تزخر بآثار عربية عديدة.

6 - وهذه مبادرة جليلة في سبيل الحوار.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وفي عَلاقاتِ الإنسانِ مع الطَّبيعةِ، يَجبُ قلْبُ المَوْقفِ [1] الذي جَعَلَنا ـ مُنذ [عَصْرِ] النهْضَةِ ـ نَقتربُ منها بِرُوحِ الحَرْبِ والغَزْوِ ونُنْشِئُ بَيْننا وبيْن الطَّبيعةِ عَلاقاتِ المالِكِ بالمِلكيَّةِ، والسَّيِّدِ بالعَبْدِ؛ [نَقولُ هذا] لأنَّه مَالِكٌ مُتعطِّشٌ ذوُ إرَادَةٍ شَرِسَةٍ في اسْتِغلالِ مِلكيَّته اسْتِغْلالا غَيْرَ مَحدُودٍ؛ ولأنه سَيِّدٌ قاسٍ ومُتَهوِّرٌ لا يَتردَّدُ في إمَاتَةِ العَبْدِ في أثناءِ خِدمَتِه.

إنَّ التَّعاليمَ القُرآنيةَ شيءٌ آخَرُ: فهي قادِرَةٌ على مُساعَدتِنا على أنْ نَكْتشِفَ مِن جديدٍ في الإنسان بُعْدَهُ الكوْنِيَّ [2]. فالإنسانُ، في [تصوُّر] الإسْلامِ، يَحمِلُ في ذاتِه كلَّ درَجاتِ الوُجود الكَوْنيِّ، وهذا الجُزَيْءُ [أي الإنْسانُ] ما هو إلا مَنْ رَضِيَ بِحَمْلِ المَسؤولِيَّةِ العُظْمَى وهي مسْؤولِيةُ الوَعْي والإيمانِ. القُرآنُ: (33. 72) [3]. ولِهذا، فلَقَدْ اسْتخلَفهُ اللهُ في الأرْضِ [4] ـ على الرَّغم مِمَّا أبْداهُ بَعدَ ذلك، مِن ظُلْمٍ و جَهْلٍ ـ وجَعَله خَليفةً مَسْؤولاً، ومُكلَّفًا [5] بِحِفْظِ تَوازُن العالَم وإلْحاقِ كلِّ كائِنٍ بمَصْدَرِه ونِهايَتِه في طَبيعةِ كلِّ حَقيقةٍ جُزْئيةٍ فِيها هِي «آيَةُ» وُجودِ الواحِدِ الأحَدِ.

---

1 - وقلب الموقف هذا، لا يكون في اتجاه فهم الآخر واكتشاف ما له من إرث حضاري فقط، بل يمتد إلى الطبيعة كطبيعة أيضا، بحيث نحافظ عليها كما نحافظ على أنفسنا، فلا تجريف ولا توسيخ ولا تلويث، لا بل ولا استرقاق على شاكلة العلاقة بين السيد الذي هو نحن والعبد الذي يمثل الطبيعة. فإن لها حقا علينا.

2 - يقول الله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» (الإسراء، 70).

3 - يقول الله تعالى: «إنا عَرَضْنا الأمانة على السمواتِ والأرض والجبالِ فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلنَها وأشْفَقْنَ منها، وحَمَلَها الإنسانُ إنه كان ظلومًا جَهُولا» (الأحزاب، 72).

4 - يقول تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً» (البقرة، 30).

5 - يقول تعالى: «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» (الرحمن، 9)؛ «فأوْفُوا الكيْلَ والميزانَ ولا تبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم ولا تُفسِدُوا في الأرض بَعْدَ إصْلاحِها، ذلكم خيْرٌ لكم إنْ كُنتم مؤمنين» (الأعراف، 85).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وفي الواقع الحِسِّيِّ، يَسمَحُ لنا هذا التفْكيرُ المُشْتَرَكُ بطرْحِ مشاكِلِ الطَّاقةِ، مَثلاً، وذلك بِلُغَةِ اخْتِيارٍ حَضاريٍّ ودَلالِيٍّ: فبَدَلاً مِن أنْ نَستَنزِفَ مَخزُونَ الطَّاقةِ المَعدَنِيَّةِ بِطَيْشٍ، ومِن غيرِ أنْ نُبالي بالأجْيالِ القادِمة ولا بالعَواقِبِ الأخيرَةِ، يَجبُ أن نتعلَّمَ كيْف نَندَمِجُ في أمْواجِ المِياه والبِحارِ والشَّمسِ والأرْضِ والرِّياحِ التي لا تَنْقَضِي [خَيْراتُها][1] [2].»

روجي غارودي [3]

أسئلة

1 - أُذكُر المسلمات التي انطلق منها الكاتب، واضبط العلاقة بينها وبين الحجج التي قدمها.

2 - حدِّد الاتجاهَ الفلسفي للكاتب من خلال تحليلك لبعض ما جاء في النص مثل قوله: « كلُّ حَقيقةٍ جُزئية فِيها هِي «آيَةٌ» وُجُودِ الواحِد الأحَد»، و« نتعلَّمَ كيْف نَندَمِجُ في أمواج المِياه و البحار والشمس والأرض والرِّياح التي لا تَنقضي [خَيْراتُها]

3 - يَتحدث الكاتب عن الحوار بين الحضارات؛ إلا أن بعضَهم قد استعاض كلمة حوار بالتفاعل أو التحالف؛ عبِّر عن رأيك.

---

1 - في خاتمة النص، نلمس نفحة صوفية وروحانية لدى الكاتب، مفادها دعوة إلى الاندماج مع الطبيعة وظواهرها أو كما يعبر عنه الصوفية المتفلسفون بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود.

2 - روجي غارودي، وُعودُ الإسلام، R. Garaudy, Promesses de l'Islam, Le Seuil, 1981, P. (178-179).

3 - مفكر فرنسي معاصر (1913- ــــ)، انتقل من المثالية إلى البروتستانية، فالشيوعية الستالينية ثم تحول إلى الماركسية المنشقة القريبة من الأفكار اليسارية سنة 1968، فالكاثوليكية وأخيرا، وقف على الإسلام فاعتنقه عن اقتناع، وذلك كله، من أجل البحث عن الحقيقة المطلقة. له ما يقارب الخمسين مؤلفا أهمها: كارل ماركس، منعرج الاشتراكية الكبير، نداء إلى الأحياء، هل نحن في حاجة إلى الله؟ الخرافات المؤسِّسة للسياسة الإسرائيلية، الإرهاب الغربي، وعود الإسلام.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل يصح أن نَنْسب لصاحب النص هذا القول : أنا حرٌّ ، فإذن أنا موجود بكل ما تحمل كلمة موجود من حقوقٍ أساسية ؟]

«لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلإنْسانِ سُلطةٌ طبيعيَّةٌ على أمْثالِه، ولَمَّا كانَت « القُوَّةُ » لا تُنتِج أيَّ حَقٍّ، فإن الأساسَ الوحيدَ الباقِي لأيَّة سُلطةٍ شَرْعِيَّةٍ في المُجتمَعاتِ البشريَّةِ هُوَ الاتِّفاقُ [1].

[والاتِّفاقُ يَختلِفُ عَن التَّنازُل [2]] لأنَّ التنازلَ مَعْناهُ الإعْطاءُ [3] أو البَيْعُ. والرَّجُلُ الذي يُصبحُ عَبْدًا لآخرَ لا يُعْطي نفْسَه لأحدٍ، إنه يَبيعُ نفسَه مُقابِل ما يَضْمَنُ له اسْتِمْرارَ عَيْشِه على الأقَلِّ[...].

والقولُ بأنَّ الإنسانَ يَهَبُ نفسَه مَجَّانيًا كلامٌ سَخيفٌ وغَيْرُ مَعقُولٍ ؟[...].

وحتىَّ إذا اسْتطاعَ أنْ يَتَنازَلَ عن نفْسِه، فإنه لا يَسْتطيعُ أن يتنازلَ عن أوْلادِه، لأنَّهُمْ يُولَدونَ بَشَرًا وأحْرارًا ولأنَّ حُرِّيَتَهُم مِلْكُهُم، وليْسَ لأحَدٍ سِوَاهُم حَقُّ التصَرُّفِ فيها. [4] وقبْلَ أنْ يَبلُغوا سِنَّ الرُّشد، لأبيهِم أنْ يَضَعَ بَعْضَ الشَّرُوطِ المُعيَّنةِ بالنِّيابَةِ عَنهُم، بقصْدِ المُحافَظةِ عَليْهِم وعلى رَفاهِيَّتِهم؛ ولكنَّ أيَّ تحْديد لحُرِيَّتهم في الاختِيَار، يَجبُ ألا يُعتبَرَ بلا قَيْدٍ ولا شَرْطٍ ولا مِمَّا لا يُمكِنُ الرُّجُوعُ فيه؛ لأنَّ التَّنازُلَ عن حُرِّيةِ شخْصٍ آخرَ يَتَنافَى وغَايَةَ النِّظَامِ

---

1 - إن الاتفاق أو العقد الاجتماعي يمثل عند روسو المجتمع الديمقراطي؛ وهذا المجتمع يتأسس بعد القطيعة مع الحالة الطبيعية التي مر بها الناس قبل العقد، وهي حالة تعود فيها الكلمة للأقوى. ولكن قانون الأقوى حسب روسو، لا يمكنه إطلاقا أن يكون المحرك الأساسي للمجتمع الديمقراطي، لأنه لا يتماشى مع المصلحة العامة وبالتالي لا يتساوق مع العقد الاجتماعي. يقول: "ليس للأقوى من القوى ما يجعله سيدا على الدوام، إن لم يحوِّل قوته إلى حق وإلى طاعة للواجب". وعليه، فتسْييبُ العقد الاجتماعي معناه العودة إلى الحالة الطبيعية البدائية حيث يسود قانون الغاب، وما يترتب عليه من رذائل التجبر والغطرسة والوحشية. وأخيرا، إن المجتمع الذي ينتهك عقده الاجتماعي، يرفع عن نفسه فضيلة الديمقراطية. هذه بعض الأفكار الأساسية التي وردت في كتاب العقد الاجتماعي، في موضوع الاسترقاق والاتفاق.

2 - أو الاستلاب أو تمليك الشخص الضعيف نفسه لآخر ذي قوة، كما ورد في الأصل (s'aliéner).

3 - الإعطاء معناه، يمنح الشخص نفسه ويملكها غيره تمليكا، و هذا مقابل شيء من القوت.

4 - إن روسو يسخف هنا بعض القائلين بـ «أن الإنسان بمستطاعه أن يمنح نفسه عبدا لغيره على أساس تعاقد؛ وأن الاسترقاق في أصوله البعيدة، مجرد اتفاق؛ وأن أي شعب - كما يؤكد هوبس - بإمكانه أن يملك حقوقه لغيره عن طريق التعاقد، بحثا عن الأمن والاستقرار».

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الطبيعيّ، [1] ويَنطَوي على إساءَةِ اسْتِعْمَالِ الحُقوقِ الأبَويَّة. وحَتَّى يَكُونَ الحُكمُ الاعْتِبَاطِيُّ [2] شَرْعِيًّا، وَجَبَ إذنْ، أنْ يَكُونَ الشَّعْبُ في كلِّ جِيلٍ، سَيِّدًا وحُرًّا في قَبُولِه أو رَفْضِه، وإذا حَدَثَ ذلك، لا يَعُودُ الحُكمُ عِندَئِذٍ اعْتِباطِيًّا.

وعِندَما يَتَنازَلُ الإنسانُ عَنْ حُرِّيَتِه [3] يَتنازَلُ عَنْ صِفتِه كإنسانٍ وعَنْ حُقوقِ الإنسانيَّة، لا بَلْ وَ عَنْ واجِباتِه. ولَيْسَ هُناكَ عِوَضٌ مُمْكِنٌ مَقابلَ هذا التَّنازُلِ الكُلِّيِّ. فإنَّ مِثلَ هذا الفِعْلِ لا يَتَّفِقُ مع طَبيعَةِ الإنسانِ؛ وتَجْرِيدُه مِن حُرِّيَّةِ الإرَادَةِ مَعْناهُ تَجْرِيدُ تصَرُّفاتِه مِن كلِّ صِفَةٍ أخْلاقِيَّةٍ». [4]

جون جاك روسو [5]

أسئلة

1 - الدفاع عن حرية الإنسان هو دفاع عن وجوده كإنسان؛ وضِّحْ الفكرة معتمدا على النص.

2 - لماذا لا يمكن أن يكون العُنف أساسَ بناء مجتمع إنساني؟ قدِّمْ حججا مقنعة للرد على السؤال.

3 - بيِّن من باب الاجتهاد، المعنى الفلسفي للعنف وأشكالَه وأسبابَه وعواقبَه.

---

1 - إن الحياة التي عاشها روسو أثرت كثيرا في اتجاهاته الفلسفية: لقد عاش منذ صباه يتيما من دون يتم متروكا لأمره، مشردا؛ فكان من طبعه حب العزلة والحرية والدراسة بنفسه كما يصنع العصاميون الموهوبون. و كان دائما، يسعى إلى التأكيد على حقوق الطفل في العائلة أو في الدراسة.

2 - أي الحكم الذي لا يستمد سلطته من القانون الشرعي بل من إرادة الحاكم المتجبر. (Gouvernement arbitraire).

3 - كان روسو يؤكد على أن الحرية هي الطبيعة، وأن حرمان الشخص من هذه الحرية معناه نزع حياته؛ ويمكن القول بأنه إذا كان ديكارت يقول: أنا أفكر، فإذن أنا موجود، يقول روسو: أنا حر، فإذن، أنا حي. والحياة هنا هي حياة الإنسان الكريمة والمسؤولة والمحصنة بحقوقها الأساسية.

4 - جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، الكتاب الأول، الفصل الرابع في الاسترقاق؛ J.J.Rousseau, Du contrat social ou principes du droit politique, L.I., Chap.IV, Paris, Garnier-Flammarion, 1992.

5 - هو كاتب وفيلسوف سويسري الميلاد (ولد بجنيف) وفرنسي التكوين (1712-1778)؛ كوَّن نفسه بنفسه، وكانت له أفكار ثورية في السياسة وتصوُّرٌ معروف عن الإنسان: لقد حلم بالديمقراطية التي تجسدت بعد موته في الثورة الفرنسية سنة 1789، ودافع بشدة عن طيبوبة الإنسان ردا على من كان يرى فيه ذئبا على أخيه الإنسان، وعلى الطرق البيداغوجية الملائمة للطفل. ترك مؤلفات مشهورة، منها: مقال في أصل اللغات، وخطاب في العلوم، والفنون، وخطاب في أصل و أساس التفاوت بين الناس، والعقد الاجتماعي، وإميل أو في التربية، واعترافات.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل يتم الاقتداءُ بالغالب خشيةً له أو تفاعُلا وتطلُّعا إلى كمال ثقافته؟]

« إنَّ النَّفْسَ أبَدا، تَعْتقِدُ الكَمالَ فِي مَنْ غَلَبَها؛ [1] وانْقادَت إليه، إمَّا لِنظَرِه بالكمال بما وَفَرَ عِندَها مِن تعْظِيمِه [2]، أو لِمَا تُغالِطُ به مِن أنَّ انقِيَادَها ليْسَ لِغَلَبٍ طبيعيٍّ، إنما هو لِكمالِ الغَالِب [3]. فإذا غالطَتْ بذلك، واتَّصَلَ لَهَا اعْتِقادًا، فانْتَحَلَتْ جَمِيعَ مَذاهِبِ الغَالِبِ وتَشبَّهَت به، وذلك هو الاقْتِداءُ [4] [...] ولِذلك تَرَى المَغلوبَ يَتشبَّهُ [5] أبَدًا، بالغالِب في مَلبَسِه ومَرْكَبِه وسِلاحِه في اتِّخاذِها وأشْكالِها بَلْ وفي سَائِرِ أحْوَالِه [...]

أُنْظُرْ إلى كُلِّ قُطْرٍ مِن الأقْطار كَيْفَ يَغلِبُ على أهْلِه زِيُّ الحَامِيَةِ [6] وجُندُ السُّلطانِ في الأكْثرِ، لأنَّهُمُ الغالِبُون لهُم، حَتَّى أنَّه إذا كانَتْ أُمَّةٌ تُجَاوِرُ أُخْرَى،

---

1 - وفي هذا المستوى، يُقرَن الكمالُ بالغلبة أي الغالب يجسد الكمال، وإن تجسَّد فيه، وكانت النفس تميل وتتطلع إليه، انقادت إلى الغالب وانساقت إلى مظاهر ثقافته.

2 - إما لان الغالب يتظاهر بسلوكات الكمال حتى يعظم شأنُه في عيونها (أي النفس).

3 - وإما لانها تعتقد فيه الكمال باعتباره صفة طبيعية فيه، إضافة إلى قوته وغلبته، فيخدعها اعتقادُها .

4 - وحالة المغالطة هاته، عندما تتغلغل في أعماق الإنسان، تتحوَّل إلى اعتقاد عميق لا يتزحزح، وهو أن الغالب غالب، وهو القدوة و يتحتم الانصياع له، و تقليده في كل شيء. ومن هنا، ينتقل الإنسان من الاعتقاد إلى الاقتداء والانقياد.

5 - التشبه في هذا السياق هو التمثل أي تكييف سلوك المغلوب وفقا لحياة الغالب عن طريق تقليده واقتباس عاداته وتصوراته؛ والمغالاة في ذلك، قد تجعل منه نسخة من الآخر، فيتخلى عن ثقافته اعتقادا منه بأنها صارت ضعيفة لأنها مغلوبة ولم تعد صالحة.

6 - الحامية هم رجال السلطة المقربون الذين بيدهم القرار، ويتولون حماية الناس مما يضرهم.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ولها الغَلْبُ عَلَيْها، فَيَسْري إِلَيْهم مِن هذا التَّشَبُّهِ والاقْتِدَاءِ حَظٌّ كَبيرٌ، كما هو في الأندَلُسِ لِهذا العَهْدِ مَع أُمَمِ الجَلالِقَةِ [1]؛ فإِنَّك تَجدُهُم يَتشَبَّهُونَ بِهم في مَلابِسِهم، وشَارَاتِهم [2]، والكثيرِ من عَوَائِدِهِمْ وأَحْوَالِهم، حتىَّ في رَسْمِ التَّماثِيلِ [3] في الجُدْرَان والمَصَانِع والبُيُوتِ». [4]

عبد الرحمن بن خلدون [5]

أسئلة

1 - بيِّنْ على ضوء النص، كيف أن تفاعل الثقافات يكون دائما لصالح المتفوِّقين في الكمال المادي والمعنوي؛ (يمكن الاستفادة من كتاب المقدمة، وفي الفصل المشار إليه).

2 - تأمَّلْ وأجِبْ عن هذا التساؤل: ألا يُخشى أن يتحوَّل هذا التفاعل وهذا الاقتداء إلى تفسخ هُوية المغلوبين على أمرهم؟

3 - وماذا لو تحدَّثتَ في فقرة، عن تحالف الثقافات والتكامل فيما بينها؟

---

1 - هم أهل غليسيا المُقيمين في الناحية الشمالية الغربية من إسبانيا؛ استقل ذاتيا هذا الإقليم سنة 1980: (Les Kellaikois et les Galiciens de la Galicie).

2 - الشارات ج. شارة و هي العلامات وأشعرة الشرف التي كان الغالبون يحملونها على ملابسهم أو يعلقونها على جدران قصورهم أو على تروسهم في الحروب والاستعراضات.

3 - حتى في عهد لم يكن مفهوم التمثال لدى المسلمين مثلا، يطابق مفهوم الغالب، على الرغم من تشييدهم للقصور والتفنن في هندستها وزخرفة جدرانها و رفعهم للصوامع وتزويقها.

4 - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، الكتاب الأول، الباب الثاني، الفصل 23، ص: 147.

5 - هو عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406)، ولد في تونس، على يده استقل علما التاريخ والعمران، مارس السياسة، فكان والي الكتابة للسلطان أبي عنان، ثم انتدبه صاحب غرناطة ابن الأحمر سفيرا إلى ملك قشتالة، وفي الأزهر تولى قضاء المالكية حتى وفاته. اشتهر بكتابه الضخم «كتاب العبر» الذي قيل عنه بانه «خزانة علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية»؛ ولقد صدره بمقدمة حيث عرض فلسفته للتاريخ. هذا بالإضافة إلى ما قلناه عنه في النص رقم: 18.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[ما مصيرُ الاتجاه إلى الآخَرِ في ظل حرمان الطفل من ثقافة الحوار؟]

«لُغة التَّسامُح [1] لا بُدَّ مِنْ أنْ يَتعَلَّمها الطِّفلُ مُنذُ نُعُومَةِ أظْفارِهِ حتَّى نَصِلَ إلى المُسْتوَيات الإنمائيَّةِ الرَّاقيَّةِ بالطِّفلِ والَّتي تَجعَلُهُ يَتَّجهُ إلى الآخَرِ وَدُودًا مُتسامِحًا، والسُّؤالُ الآنَ: كيف نُعَلِّمُ أوْلادَنا فَنَّ التَّسامُحِ؟

للإجابَة عن هذا السؤال المُهِمِّ، نُهيبُ [2] بالآباءِ والأُمَّهات الاهْتِمَامَ بالأمُور الآتية:

1 - الاهتمامُ بلُغَة الحِوَار على اعْتِبار أنَّ لُغةَ الحِوار هي حَجَرُ الزَّاويَةِ في تعْلِيم الطفْل التسامُحَ؛

2 - لا بُدَّ من أنْ نُجَنِّبَ الأطفالَ التَّنافُسَ البَغِيضَ والمُعَايَرَةَ الكاذِبَةَ والصَلَفَ [3] المُزَيَّفَ [، فـ]إنَّ الطفلَ يَحْتَاجُ إلى أنْ يَتَعَلَّم فَنَّ التسامُحِ مِنْ خِلال التَّنافسِ المَوْضُوعِيِّ، ذلك الذي يَدْفَعُهُ إلى الاعْتِرافِ بقُدُرَاتِ الآخَرِينَ وتَهْنِئَةِ المُتمَيِّزِينَ وإعْطاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

3 - [...] و يَتعَلَّمُ مُنْذ نُعُومَةِ أظْفارِهِ كيْفَ يَتقبَّلُ النَّقدَ دُونَ مُجَامَلة؛ لأنَّ المَدْحَ و الإطْرَاءَ دُونَ مُسَوِّغ مَوْضُوعِيٍّ يَدفَعَ[ـان] الطفلَ إلى الغُرُور والصَّلفِ، فَقدْ يَرَى في نفْسِه كفاءَةً تَعْلُو على الآخَرِين، فَيَظُنُّ وَهمًا أنه أفْضَلُ منهم، فيُعامِلُهم بقَسْوَةٍ لا تَعْرِفُ المَوَدَّةَ ولا يَرَى التسامُحَ طَرِيقًا إليها.

---

1 - إن التسامح في الحس المشترك، هو الموقف الذي يبيح لشخص ما قبولَ أساليب الآخرين في التفكير والحياة، وهي تختلف عن أساليبه الخاصة، أو إنه الموقف الذي يبدي فيه شخص ما، تساهلا أو احتمالا لمفعول مؤثر خارجي، في حالة انزعاجنا كدرجة احتمالنا لسلوكات بعضنا بعضا. ولقد ارتبط التسامح عبر التاريخ، بمحاربة الحقد وخاصة، في المجال الديني.
وهو في المجال الفلسفي، يقبل النقيض ولا يرفضه، لأنه إذا وقع رفض الشيء، انقرض؛ ولم يبق منه، ما يقربه من حظوة التسامح. وتقييده في صلاحياته الشاسعة، ومهامه الحرة الشاملة باسم النسبية، معناه خنقه، وجعله تحت رحمة الأهواء، والتقديرات الذاتية الضيقة. ومن مهامه، تقارب الديانات وإسقاط الحدود واعتناق الإنسان، أينما كان. والتسامح لا يشمل المجال الديني فقط؛ فهو كما نلاحظ اليوم، يتسع لكل المجالات السياسية والخلقية والاجتماعية.

2 - ندعو الأولياء.

3 - تمدُّح المرء بما لا يتخلق به من فضائل ومحامد، و التكبر والمغالاة في الإعجاب بالنفس.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وإذا كُنَّا نسْعَى نحْوَ تدْعيم فَنِّ التسامُح في مُعامَلاتِ الطِّفلِ لِلآخَرين، فإنَّ هذا السَّعْيَ المُستمِرَّ يَهدِفُ إلى تدْعيم السُّلوكِ الطَّيِّبِ المُشْبَع بالقِيَم، وهذا السَّعْيَ يَعْتَمِد على مَجمُوعة من المَحاوِر يَنبَغِي لِكُلِّ أبٍ و كلِّ أُمٍّ الاهتِمامُ بتغذِيَتِها، وهذه المَحاورُ هي :

أولا : تُعَدُّ حُريةُ الطفلِ من أهمِّ المَحاوِر التي تُدعِّم سُلوكَ التسامُح عِند الطِّفلِ؛ وهذه الحُرِّيةُ تَتمَشَّى مع طَبيعة الطفلِ التي تَكْرَهُ التسَلُّطَ والحَتميَّةَ [1]، ولكنَّ حُريَّةَ الطفلِ وتلقائيَّته تَدفَعَ[ـان] كلَّ أبٍ وكلَّ أمٍّ أنْ يَحْترِمَا تصرُّفاته وأن يَعمَلا على تَنقِيَتِها وتَنميَتِها، بحيْثُ يَتعَوَّدُ تَحَمُّلَ المَسْؤوليَّة، تحْصِينًا له من الوُقوع في الخطأ؛

ثانيا : وعَلَيْنَا أخيرًا، أنْ نَنْتَبِهَ إلى ضَرورةِ أنْ نُدَعِّمَ في الطِّفلِ قِيمةَ الحَياة التي يَعيشُها من خِلال التَّواصُلِ الوَدُودِ والمَحَبَّةِ المُتبادَلَة، وأنَّ الحياةَ تَحْتاجُ إلى مَجمُوعةِ القِيَم التي تَرْتفِعُ بصاحِبها عن أدْران المادِّيَّات، ويَلعبُ فيها التسامُحُ دورًا مُهمًّا في تأصيل العَلاقات الإنسانيَّة». [2]

سيد صُبحي [3]

أسئلة

1 - بيِّنْ كيف أن ثقافة التسامح تبدأ بالحوار في البيت، مركزا على إقحام الطفل فيها، والصعوبات التي يواجهها الأولياء.

2 - وضِّحْ، بمَ توحي لك الكلمات الواردة في النص : الآخر؛ الحوار؛ تقبل النقد؛ الحرية؛ تحمل المسؤولية؛ [تثمين] الحياة؛ العلاقات الإنسانية؟

3 - اجْتهِدْ في كتابة فقرة تبين فيها، كيف أن مصدر الآفات الاجتماعية في العالم لا يتعدى علَّتين :

أ - الأولى هي غياب الاتصال بالآخر وجهلنا له؛

ب - والثانية هي صلفنا.

---

1 - والغاية من هذه الحرية هي إقحام الطفل تدريجيا في مسعى الاعتماد على النفس والشعور بالمسؤولية.

2 - سيد صبحي، « تعليم الطفل التسامح »، مقال، موسوعة سفير لتربية الأبناء (المجلد الثاني)، ص381-382.

3 - الدكتور سيد صبحي، باحث عربي معاصر، اشتهر في مصر بدراساته التربوية، وهو اليوم أستاذ التربية بجامعة عين شمس.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[هل الحوار بين الحضارات ممكنٌ في ظل انتشار عقدة التفوق الغربي؟]

«إنَّ المُشكلةَ هي مشكلةُ إحْداثِ تَغْييرٍ جِذرِيٍّ في الأُنْمُوذَج الغَرْبِيِّ لِعَلاقاتنا مع الطَّبيعَة بِفَضْلِ حِكمَةِ [1] الصِّينِ وإفْريقيا والهِنْدِ والإسْلام، مُشْكِلةُ إقامَةِ تَوازُنٍ في مَفهومِنا ذي النَّزْعَةِ التِّقنيَّة بالإفَادَة مِنْ تَجرِبَةٍ حَيَّةٍ، شِعْرِيَّةٍ وصُوفِيَّةٍ، [2] هي تجرِبةُ اتِّصالِنا ومُشارَكتِنا في طبيعةٍ لا نَمْلِكُها، بلْ تَملِكُنا [3]. وإنَّ «حِوارَ الحضارات» هذا، لَيُؤلِّفُ مَرحلةً لازِبَةً [4] على الصَّعيدِ الاقْتِصادِيِّ، فِي التَّسَاؤلِ الانْتِقادِيِّ وفي التَّغيير الجِذرِيِّ لِطِرَازِ تَنميَّتِنا وفي اكْتِشاف غَائِيَاتٍ أُخْرَى «لِلتَّنْمِيَّةِ»، وفي الوُصولِ إلى تَعْرِيفٍ آخرَ لِمَعْنَى التَّطوُّرِ والنَّمَاءِ [5].

1 - المقصود بالحكمة هنا، جملة من القيم الروحية التي نسجت الإنسان وحفظت على بعده الإنساني وتوازنه، وهي أيضا، جملة من الخبرات والحنك التي خلدت الحضارات القديمة التي تعود إلى آلاف السنين.

2 - يعتقد الكاتب أن الحضارة الغربية مغرقة في طابعها التقني أي المادي على حساب الطابع الروحي الذي هو أحد الأبعاد الجوهرية في ترقية الإنسان؛ ولهذا، فإنه لا يمكن تحقيق الحوار فيما بين الحضارات دون إدراك هذه الحقيقة، وهي أنه لا بد من تدارك التوازن بالاحتكاك الأفقي الذي يسمح بالتفاعل الثقافي مع هذه الإشارة، وهي أن الشعوب غير الغربية تتميز بامتداداتها الروحية؛ ولقد عبر عن ذلك الكاتب بالتجربة الحية والشعرية والصوفية.

3 - هناك فرق بين أن تملكنا الأشياء وأن نملكها؛ ففي مجال الشعر والنفحات الصوفية والأحوال النفسية السعيدة، هناك ما يدعو إلى القول بأنها تملكنا لأنها جسر يصل بين القلوب والمشاعر؛ و لكن في مجال التقنيات والمصانع الضخمة، فنحن عليها أوصياء كأجسام هامدة جوفاء؛ وليس من المستبعد أن يكون الكاتب قد ذهب إلى أن أهل الغرب لا استعداد لهم في طلب هذا البعد الروحي لأن هناك طبيعة أخرى، قد شكلتهم و هي تتمثل العمل من أجل العمل ولأغراض جد دنيوية و غير إنسانية.

4 - مرحلة حاسمة وشديدة.

5 - وهذه العبارات أي تعريف معنى التطور...، توحي فلسفيا، بأن مفاهيم التنمية والرقي والتقدم ليست ملكا للغرب بحيث يفرضها على الآخرين، وإنما هي حق مشاع لكل الشعوب، فتكيّفها بحسب ثقافاتها و تطلعاتها. وعليه، فحوار الحضارات يستوجب مراجعة جملة من المفاهيم - التي على الرغم من أنه لا يمكنها أن ترقى إلى مستوى الحقائق الرياضية - كلما اقتضت ضرورة الحياة ذلك.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[...] إنَّ «حِوارَ الحضاراتِ «المُلْمَعُ إلَيْهِ يُكافِحُ عُزْلَةَ «أنَانَا الصَّغِيرَةِ» [1] المُتبَجِّحَةِ و يُبرِزُ واقِعَ «الأنا» الحَقِيقِيِّ الذي هو بالدَّرَجة الأولى، عَلاقةٌ بالآخَرَ، وعلاقةٌ بالكُلِّ [2]. [...] إنَّ «حوار الحضارات» هذا يُساعِدُنا بذلك، على أنْ نَتَفتَّحَ في الصَّعِيدِ الثقافِيِّ، على آفاقٍ لا نِهايَةَ لها في المَنْظورِ الذي تُوحِي به في جَمِيعِ المَجالاتِ أحْدَثُ تَجَدُّداتِ الثقافَةِ الغَرْبيَّةِ.» [3]

روجيه غارودي [4]

أسئلة

1 - تُريدُ أن تُنشط مائدة مستديرة حول حوار الحضارات، يحضرها أعيان من حضارات مختلفة، وتحتاج إلى تقديم الموضوع، فكيف تتصرف؛ اكتب خطابا تمهد فيه، لطرح مشكلة تقارب الثقافات والحضارت والتحاور فيما بين أهلها.

2 - حوِّل النصَّ - دون المساس بروحه - إلى حوار بين شخص أوروبي وآخر عربي مسلم، لا يتجاوز الصفحة.

3 - بيِّن الأدوات التي تُسهِّلُ مهمة تقارب الحضارات في مستوى اللغة ومفاهيمها ووسائل الإعلام و فضائل التسامح وفهم الآخر والاحترام.

---

1 - الأنا أنانان: أحدهما يعيش معزولا عن العالم الخارجي الواسع، والآخر يتجه إلى الآخرين؛ الأول يعيش لنفسه إما لأنانية غريزية أو نرجسية تسكنه أو لغطرسة تخدعه بدافع عقدة التفوق؛ والثاني يعيش لنفسه ولغيره لأنه مدرك أن أناه لا معنى له خارج سياق الحياة الاجتماعية والحضارية الشاملة.

2 - العلاقة بالآخرين تتموقع على مستوى دائرتين: دائرة الآخر ويمثلها القريب والصديق والجار والزميل، فضلا عن الأسرة وتشكيلاتها؛ و دائرة الكل ويمثلها جميع الناس بقطع النظر عن الزمان والمكان واللون والعقيدة واللغة.

3 - روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط. 5، ص، (215-216). انظر أيضا، R. GARAUDY, Pour un dialogue des civilisations, Edit. Denoêl, Paris,1977, P.(257-258).

4 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 48.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[إذا كان الإيمانُ لا يتأسس على الإكراه، فعلى أي أساس يقوم إذن؟]

«[ومَعْنىَ الآيَةِ فِي رَأْيِ] أبي مُسلم والقَفَّال [1] ـ وهُوَ الأَلْيَقُ بأصُولِ المُعتَزِلَةِ [2] ـ أنَّهُ تَعالَى مَا بَنى أمْرَ الإيمَانِ على الإجْبَارِ والقَسْرِ، وإنَّمَا بَناه على التَّمَكُّنِ والاخْتِيَارِ [3].

ثُمَّ احتج القَفَّالُ على أنَّ هذا هو المُرَادُ بأنَّه تعَالى لَمَّا بَيَّنَ دَلائِلَ التَّوْحِيدِ بَيَانًا شَافِيًا قاطِعًا لِلعُذرِ، قالَ بَعدَ ذلك: إنه لَمْ يَبْقَ بَعدَ إيضاحِ هذه الدَّلائِلِ لِلكافِرِ عُذرٌ فِي الإقامَةِ على الكُفرِ إلا أنْ يُقسَرَ على الإيمَانِ ويُجْبَرَ عليه به [4]، وذلك مِمَّا لا يَجُوزُ فِي دَارِ الدُّنْيَا التي هِي دارُ الابْتِلاءِ، إذ فِي القَهْرِ والإكْرَاهِ على الدِّينِ بُطلانُ مَعْنىَ الابْتِلاءِ والامْتِحَانِ [5].

ونَظِيرُ هذا، قَوْلُهُ تعالى (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِنْ ومَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ) [6]، وقَالَ في سُورَةٍ أُخْرَى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [7]؟

---

1 - القفال هو محمد بن علي (ت. 365 هـ) من أكابر علماء عصره في الفقه والحديث والتفسير والأدب؛ يعتبر أول من صنف «الجدل الحسن» من الفقهاء، وعنه انتشر المذهب الشافعي؛ من كتبه: أصول الفقه، ومحاسن الشريعة، وشرح رسالة الشافعي.

2 - وهو المعنى الذي يدعم ما ذهبت إليه المعتزلة؛ والمعتزلة فرقة آمنت بدور العقل وتأويل القرآن وحرية الاختيار لدى الإنسان؛ من مبادئها: العدل الإلهي، وتوحيد الله مع نفي الصفات، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، حيث إن مرتكب الذنب الكبير أي «الكبيرة»، لا هو كافر ولا هو مؤمن، فهو بين الإيمان والكفر. أشهر أقطابها، واصل بن عطاء، العلاف، عمرو بن عبيد، النظام، الجاحظ. انظر للإضافة النص رقم: 3.

3 - بدليل أن الله تعالى قال: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (البقرة، 286) وفي القرآن آيات كثيرة تشبهها.

4 - إذا حاول أحدهم أن يدعو غيره إلى الإسلام، وأنفق كل ما يملك من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، ولا يريد اعتناق هذا الدين على الرغم من وضوح الدعوة، ثم ألح الداعية على إجباره على ذلك، فلا شك أنه عندئذ، يفكر في استعمال العنف والضغط، وهذا هو الإكراه الذي ترفضه الآية القرآنية. وماذا يبقى من صدق الإيمان إذا كان صاحبه مجبرا مضطرا إلى الدخول في الإسلام قسرا.

5 - الابتلاء والامتحان يفيدان التكليف أو المسؤولية؛ ولا معنى للتكليف في غياب حرية الاختيار.

6 - الكهف، 29.

7 - يونس، 99؛ و يفسرها الرازي بأنه لا قدرة لك على التصرف في أحد، لأن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة، ليست إلا للحق سبحانه وتعالى. (ج. 17، ص: 167).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ومِمَّا يُؤكِّد هذا القَوْلَ أنه تعَالى قالَ بَعدَ هَذه الآيَة: (قدْ تَبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ) [1]، يَعْنِي ظَهَرَتِ الدَّلائِلُ، ووَضِحَت البَيِّناتُ، ولمْ يَبْقَ بَعدَها إلا طَرِيقُ القَسْرِ والإلْجَاءِ والإكْرَاهِ، وذلك غَيْرُ جائِزٍ لأنه يُنافِي التَّكلِيفَ». [2]

الفخر الرازي [3]

أسئلة

1 - قدِّم تمهيدا للمشكلة المطروحة، مُبْرِزا عواقب الضغط الوخيمة في اختيار الفرد لمواقفه بصورة عامة.

2 - وضِّحْ سُبُلَ إقْنَاعِ:

- من يخالفك في الدين معتمدا على ما يناسبك في النص؛
- و من يخالفك في الرأي معتمدا على اجتهادك.

3 - قدِّمْ في صفحة، إجابةً مقنعة عن السؤال الآتي: هل ينفرد الإيمانُ وحدَه بالاختيار؟

---

1 - البقرة، 256.

2 - الفخر الرازي، التفسير الكبير، الجزء، 7، ط. 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص: 14-15.

3 - هو أبو عبد الله محمد الملقب بابن الخطيب، الإمام الأشعري فخر الدين الرازي (1148-1210 م.)؛ أهم مؤلفاته في الكلام، كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين؛ وله في تفسير القرآن الكريم، التفسير الكبير (الموسوعي) الذي أكمله من بعده تلامذته.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

54 وَ قُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ. فمن شاء فَلْيُؤْمِن ومن شاء فَلْيَكْفُرْ [1]

[أيُّهما يكسب الدعوى، الأستاذُ أم الطالب؟]

«قالتِ المُعتزِلةُ [2]: قَوْلُه (فَمَنْ شَاءَ... [3]) صَريحٌ في أنَّ الأمْرَ في الإيمَانِ والكُفرِ والطاعَةِ والمَعصِيَّةِ، مُفَوَّضٌ [4] إلى العَبْدِ واختِيارِهِ؛ فمَن أنْكَرَ ذلك، فَقَدْ خَالَفَ صَريحَ القرْآنِ.

ولَقدْ سَألَني بَعضُهم عن هذه الآيَةِ، فقُلتُ: هذه الآيةُ من أقْوَى الدَّلائِلِ على صِحَّةِ قَوْلِنا وذلك، لأنَّ الآيةَ صَرِيحَةٌ في أنَّ حُصُولَ الإيمَانِ وحُصولَ الكُفرِ مَوْقوفٌ على حُصُولِ مَشيئةِ [5] الإيمان وحُصولِ مَشيئةِ الكُفرِ؛ وصَريحُ العَقلِ أيضا [6]، يَدُلُّ لَهُ، فإنَّ العقلَ الاخْتِيَارِيَّ يَمْتَنِعُ حُصُولُهُ بِدُونِ القَصْدِ إليه، وبدُون الاختِيارِ لَهُ.

إذا عَرَفتَ هذا، فنَقولُ: حُصُولُ ذلك القَصْدِ والاختِيارِ، إنْ كانَ بِقصْدٍ آخَرَ يَتقدَّمُه، واختِيارٍ آخَرَ يَتقدمُه، لَزِمَ أنْ يكُونَ كلُّ قصْدٍ واختِيارٍ مَسْبوقًا بقصْدٍ آخَرَ، إلى غَيْرِ النِّهايَةِ، وهو مُحالٌ؛ فوَجَبَ انتِهاءُ تلك القُصُودِ وتلك الاختِياراتِ إلى قَصْدٍ واختِيارٍ، يَخلُقُهُ اللهُ تعالى فِي العَبْدِ على سَبِيلِ الضَّرورَةِ، [7] عِندَ حُصولِ ذلك القصدِ الضَّروريِّ والاختِيارِ الضروريِّ؛ [وهُو قصْدٌ أو اختِيارٌ] يُوجِبُ الفِعْلَ». [8]

الفخر الرازي [9]

---

1 - الكهف، 29.

2 - ارجع لمعنى هذه الفرقة إلى النص رقم: 3، والنص رقم: 53.

3 - هكذا وردت محذوفة لأنها في سياقها يعرفها القارئ، وهي إشارة إلى الآية التي اخترناها عنوانا لهذا النص.

4 - وكَلَهُ إلى المرء، وترك أمره كليا بين يديه: إن أراد طاعة فله ذلك، وإن أراد معصية فله ذلك. وإرادة الاختيار في ذلك، يصرح بها القرآن. والتفويض عند الكلاميين هو ترك الأمر لله وحده؛ وهو استطرادا، استخلاف العبد في أفعاله وأقواله.

5 - حصول مشيئة الإيمان أي تبعا لمن شاء أن يؤمن إراديا من دون إكراه.

6 - وهنا يقدم الكاتب صريح الآية أولا، ثم صريح العقل، وهذا يعني أنه لا خلاف بين الشرع والعقل.

7 - إن الله يهيئ الأسباب المواتية التي تجعل العبد ياخذ بالنية التي يريدها أي في اتجاه ضرورة هاته الأسباب. وكان الكاتب يريد أن يقف موقفا وسطا بين إرادة الله وإرادة العبد في تكوين نيته. وهذا هو موقف الأشاعرة في قضيتي الحرية والقضاء الرباني.

8 - الفخر الرازي، التفسير الكبير، الجزء، 21، ط. 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص: 119.

9 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 53.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أسئلة

1 - ضَعْ الآية القرآنية الواردة في العنوان، في سياقها الشرعيّ مستعينا ببعض أمهات تفسير القرآن، ثم اطرحْها في سياق فلسفي.

2 - ميِّز - في قضية حرية اختيار الإنسان - بيْن رأي الفخر الرازي، ورأي غيره المشار إليهم في النص.

3 - عبِّرْ عن موقفك الشخصي أمام تعدد الآراء في قضية الحرية والمسؤولية، مُستدِلاً بأدلة عقلية مقنعة، وأدلة نقلية مشروحة.

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل الدَّعْوةُ إلى لَمِّ شمْل جميع الناس مع الاعتراف بارتكاب الخطأ والكف عنه، دَعوةٌ كفيلة بأن تتحقَّق؟]

«أيُّها البَشَرُ في سائر بِقاع الأرْض، أيُّها الناسُ مِن جَميع الأجْناس والألْوان والقَوْميَّات والأدْيَان والمَذاهب، أيُّها البيضُ والسُّودُ والحُمْرُ والصُّفرُ،[1] أيها الأقْوياءُ والضُّعَفاءُ أيها المُنتَصرُونَ والمُنهَزمُونَ أيها الظَّالمون والمَظْلُومُونَ،[2] تعَالوْا جميعًا نَبْدَأُ من جَديد، لنُسْدِلَ ستارًا على المَاضي، لنَكُفَّ عَنْ نَبْش القُبور، لِنَتوَقَّفْ عَنْ نَكْء الجُروح[3]. لنَسِرْ معًا على الطريق، لا يُؤْذِي بَعضُنا بَعضًا، ولا يَنْهَبُ بعضُنا بعضا، ولا يَسْرِقُ بعضُنا بعْضًا، ولا يَتحكَّمُ بعضُنا في بعض، ولا يَسْتَغِلُّ بعضُنا بَعضًا، مَعًا على الطريق في تَفاهُم ومَحبَّة وإخاء، معا على الطريق في صَفاء ووَفاء وسَلام، معا على الطريق نَحْوَ الأُمَّة الواحِدة والوَطن الواحِد والإنسانيَّة الواحدة، نحْو العَدْلِ المُطْلَق والخيْر المطلق والحُبِّ المطلق والمُساواة المطلقة.[4]

معًا على الطريق نحو الحَقيقة والحَقِّ نَحْوَ الجَنَّة والمَثَل الأعْلَى، نحو الله نَجِدُه أمامَنا، نجده تُجاهَنا، نجده معَنا، نجده فِينَا «وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ»[5]؟.»[6]

أحمد حسين[7]

أسئلة

1 – ميِّز بين الخطاب العقلي والخطاب العاطفي من حيث طريقة الاستدلال، وعيِّنْ مجال كل واحد منهما مُبرزا فائدتَهما.

2 – بيِّنْ دور العقل ودور المحبة في تأسيس الأخلاق وبناء الحضارات.

3 – أُكْتُبْ خطابا فلسفيا تزاوِجُ فيه لغتي العقل والعاطفة توجهه إلى العقلاء في عصر العولمة.

---

1 - هذا اعتراف باختلاف الناس في أعراقهم وجنسياتهم و مللهم. إلا أن هذه الاختلافات لا يجب أن تشكل حاجزا أمام الإرادة الفولاذية في توحيد الأمم يسودها الخير والسعادة والسلم.

2 - وهذا اعتراف آخر بأن هناك في المجال الاجتماعي ظالمين ومظلومين وضعفاء وأقوياء ورابحين وخاسرين. إلا أن ذكر هذه المشاهد، لا يجب أن تعجزنا عن القيام بمبادرات في سبيل تقريب المتباعدين وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح.

3 - نكء من الفعل نكأ، ونكأ الجرح معناه حرك موضعه ونبشه بحيث يحييه من جديد. وهذا إشارة إلى إيقاظ ذكريات معاناة الآلام والحروب والتشاجر.

4 - إن إشاعة منطق المحبة ولغة الأخوة من شأنها أن تساهم في سد الشقاق وتضميد الجراح، وتعويض ما وقع تهديمه.

5 - الذاريات، 21. فالدعوة إلى لمّ الشمل تبقى مفتوحة باسم التطلع إلى حقيقة الحقائق، وباسم الرب الذي خلقنا جميعا ولا يفارقنا لحظة، وباسم التقرب إليه.

6 - أحمد حسين، الطاقة الإنسانية، ط. 3، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1970، ص، (443-444).

7 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 47.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[التنوُّع الثقافي حقيقة لا يمكن إنكارها لأنه
مصدرُ إثراءٍ للتراث العالمي ولكلِّ الحقِّ في الدفاع عنه
ولكن هل أعْددنا من أجل احترامه، الآليات اللازمة التي تستوجبها :
من تعايش وتسامح وديمقراطية؟]

« المَادَّةُ 1

تَتَّخذُ الثَّقافةُ أشْكالاً مُتنوِّعةً عَبْرَ المَكانِ والزَّمانِ. ويَتجَلَّى هذا التنوُّعُ في أصَالَةِ وتَعَدُّدِ الهُوِيَاتِ المُمَيِّزةِ للمَجموعاتِ والمُجتمَعاتِ التي تَتألَّفُ منها الإنسانيَّةُ. و التَّنَوُّعُ الثقافيُّ، بوَصْفِهِ مَصدَرًا للتبادُلِ و التجْديدِ والإبْداعِ، هو ضَروريٌّ للجِنْسِ البَشَريِّ ضَرورَةَ التنَوُّعِ البيُولوجيِّ بالنِّسبَةِ للكائناتِ الحَيَّةِ [1]. وبهذا المَعْنى، فإنَّ التنوُّعَ الثقافيَّ هو التُّراثُ المُشتَرَكُ للإنسانيَّةِ، ويَنْبَغي الاعترافُ به والتأكيدُ عليه لِصالِحِ أجْيالِ الحاضِرِ والمُستَقْبَلِ. [2]

المَادَّة 2

لا بُدَّ في مُجتمعاتِنا التي تَتَزايَدُ تنوُّعا يَوْمًا بعْد يَوْم، مِن ضَمانِ التَّفاعُلِ المُنسَجِمِ والرَّغبَةِ في العَيْشِ مَعًا فيما بيْن أفرادٍ ومَجموعاتٍ ذَوِي هُوِيَّاتٍ ثقافيَّةٍ مُتعدِّدةٍ ومُتنوِّعةٍ وديناميَّةٍ. فالسِّياساتُ التي تُشجِّعُ على دَمْجٍ [3] ومُشارَكةِ كلِّ المُواطنين تَضْمَنُ التَّلاحُمَ الاجتماعيَّ وحَيويَّةَ المُجْتمَعِ المَدَنيِّ والسَّلامَ. وبهَذا المَعْنى، فإنَّ التعَدُّديةَ الثقافيَّةَ هي الرَّدُّ السياسيُّ على واقعِ التنوُّعِ الثقافيِّ. وحَيْثُ إنها لا يُمْكنُ فصْلُها عن وُجودِ إطارٍ ديمُقراطيٍّ، [4] فإنها تُيَسِّرُ المُبادَلاتِ الثقافيَّةَ وازدِهارَ القُدُراتِ الإبْداعيَّةِ التي تُغَذِّي الحَياةَ العَامَّةَ. [...]

---

1 - فالثقافة واحدة لأن الإنسان هو الذي أنتجها ولكنها من جهة أخرى، ذات صور متنوعة لأن الناس يختلفون في العيش حسب محيطهم الجغرافي وحاجاتهم الاجتماعية. فهي إذن في تنوعها ملك لجميع البشر وهذا طبيعي، إذ من الضروري أن يكون حجم تنوع الثقافات بقدر حجم وانتشار الكائنات الحية.

2 - لأن من يبدع أسلوبا ثقافيا هو إنسان لا يستجيب لميوله وتطلعاته في حدود مكانه وزمانه فقط؛ إنه يعانق الناس جميعا، لأنهم أمثاله. فالثقافة مهما تقلصت وضاقت في مساحة معينة، فإنها تتمدد وتتسع لكل زمان ومكان.

3 - فعملية الدمج لها مزيتان: الأولى هي اعتراف بالآخر وبما يتميز به من خصوصيات ثقافية كالعقيدة والعادات و اللغة مثلا، والثانية هي السماح له بالعيش مع الآخرين دون الخوف على هويته.

4 - وفي غياب الديمقراطية، أي في غياب الإطار الذي ينظم هذا التنوع الثقافي، يتحجر التراث الإنساني المشترك، ويتعسر الإبداع و يخلو الجو لتسلط الأقوى؛ إذ كيف يعبر الفرد عن وجوده ويسمح لنفسه بالدفاع عن خصوصياته، في جو تكمم فيه الأفواه ويحظر فيه التفكير الحر.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

المَادَّة 4

إنَّ الدِّفاعَ عنِ التنوُّع الثقافِيِّ واجبٌ أخلاقيٌّ لا يَنْفَصِلُ عن احْتِرام كَرامَةِ الإنسان. فَهُوَ يَفتَرِضُ الالْتِزامَ باحْتِرَام حَقوقِ الإنسانِ والحُرِّيَّات الأساسيَةِ، وخاصَّةً حُقوقَ الأشْخاص المُنْتَمينَ إلى أقَلِّيات وحُقوقَ الشعوبِ الأصْلِيَّةِ. ولا يَجُوزُ لأحَدٍ أنْ يَسْتَنِدَ إلى التَنوُّعِ الثَّقافِيِّ لِكي يَنْتَهِكَ أو يَحُدَّ من نِطاقِ حُقُوقِ الإنسانِ التي يَضْمَنُها القانُونُ الدُّوَلِيُّ» [1]. [2]

إعلان اليُونِسْكُو [3]

أسئلة

1 - عيِّنْ عنوانا لكل مادة من المواد الثلاث.

2 - حدِّد العلاقة بين حماية التنوع الثقافي والديمقراطية

3 - بيِّن في فقرة متى يكون الدفاع عن التنوع الثقافي واجبا، ومتى يتحول ذلك إلى انتهاك؟

---

1 - وما دام القانون الدولي يحمي ظاهرة التنوع الثقافي، فإن الكثير من الدول اليوم، تهذب سياساتها لخلق جو يناسب الديمقراطية.

2 - إعلان اليُونسكو العالميُّ بشان التنوع الثقافي، الدورةُ الحادية والثلاثون باريس 2001/11/2.

3 - هي حروف (Unesco) ترمز إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، وهي منظمة عالمية تأسست في 1946 لحماية الحريات الإنسانية وتطوير الثقافة؛ ومقرها في باريس.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل حق التنوع الثقافي يحكمه مبدأ التمسك بالهوية أم مبدأ ازدهارها ؟]

«لِكُلِّ كائِنٍ بَشرِيٍّ الحَقُّ في الثَّقافةِ بِمَا فِيه حَقُّ الانْتِفَاعِ بِهُوِيَةٍ ثقافيَّةٍ وتَطْوِيرِها. غَيْرَ أنَّ الحُقوقَ الثقافيَّةَ ليْست مُنعَدِمَةَ الحُدُودِ [1]. فَالحَقُّ في الثَّقافةِ يَنتَهي حيث يَبدَأ التَّعَدِّي عَلَى حَقٍّ آخَرَ لِلإنسانِ. وبِمُوجِبِ القانونِ العَالَمِيِّ، يُمنَعُ استِعمَالُ حَقٍّ، تَتَسَبَّبُ مَمارَسَتُه في انتِقاصِ حَقٍّ آخَرَ أوْ إبْطالِه.

[...] فَلا يُسمَحُ مثلا، لِأيَّةِ ثقافةٍ اليَوْمَ، أنْ تُطالِبَ شَرْعِيًّا بحَقِّ مُمارَسةِ الاسْتِرْقاقِ. [2] وعَلى الرَّغْمِ مِن أنَّ كثيرًا مِنَ الثَّقافاتِ قدْ مَارَسَتْهُ عَبْرَ التاريخ، فإنَّ الاسْتِرْقَاقَ لا يُمْكِنُ اليَوْمَ، أنْ يَتقَدَّمَ كحَقٍّ شَرْعِيٍّ أو قانونِيٍّ أو كشَكْلٍ مِن أشْكالِ الإرْثِ الثقافِيِّ [3] بزَعْمِ التَّطلُّعِ إلى نَوْعٍ من أنواعِ المُحافَظةِ. وعَلى العَكْسِ من ذلك، فإنَّ كلَّ أشْكالِ الاسْتِرْقاقِ بِمَا فيها المُمارَسَاتُ المُعاصِرَةُ القَرِيبَةُ مِنَ الاسْتِرْقاق [4]، تُشَكِّلُ خَرْقاً سافِرًا لِحُقوق الإنسان بِمُوجِبِ القانونِ العَالَمِيِّ.

---

1 - وخشية أن يُستعمَل قانون الحقوق العالمي استعمالا مغرضا، وقع تحصينه من قبل المشرِّعين حتى لا ينحرف عن غاياته الشريفة.

2 - الاسترقاق قديم قدم الزمان، اتخذ أصله عُموما، مما كانت تأخذه الجيوش من غنائم بشرية في أثناء الحروب رجالا و نساء، وحتى لا يُقتلون ولا يكونون عالة على المنتصرين، كانوا يشغَّلون كيَد عاملة باعتبارهم عبيدا. والعبيد محرومون من حقوق عدة: كحق اختيار العمل ومقر السكن وحق تأسيس بيت الزوجية وتربية الأبناء؛ شأنهم شأن الأشياء يباعون ويشترون. ولقد انجرت عن ذلك مع الزمن، آفات خطيرة أشنعها العنصرية، وهي آفة عرفتها أوروبا في القرن التاسع عشر في أبشع أسطورة خرافية هي أسطورة تفوُّق الجنس الأبيض. وفي هذا السياق، نشر غوبينو في (1853-1855) مقالة في التفاوت بين الأجناس البشرية، جاء في بابها الأول: "إن أصل كل حضارة نابع من الجنس الأبيض، ولا يمكن لأية حضارة كانت أن تنشأ من دون مساهمة هذا الجنس".
وكان للإسلام دعوة منذ ظهوره، لعتق الرقاب؛ وكان الرسول (ص) لا يفرق في الحقوق والمعاملات بين أبيض وأسود ولا بين حر ومولى؛ فقد ولّى بلالا على المدينة وفيها كبار الصحابة؛ وأصله عبدٌ مملوك اشتراه أبو بكر وأعتقه، كما أن النبي ولى "باذان" الفارسي على اليمن، ولما مات ولّى ابنه مكانه.

3 - وليس من الغريب أن يُستغل القانون العالمي لأغراض غير إنسانية باسم الدفاع عن حق التنوع الثقافي كان يحتفل بعادات بدائية لا تشرف الإنسان.

4 - كالعنصرية مثلا، والاستعمار باسم نشر الحضارة أو الديمقراطية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وكَذا، فإنَّ الحُقُوقَ الثقافيَّةَ لا تُبَرِّرُ التَّعْذِيبَ، ولا القتْلَ، ولا القَتْلَ الجَماعِيَّ، [1] ولا التَّمْييزَ العُنْصُرِيَّ بِسَبَبِ الجِنْسِ، والعِرْقِ، واللُّغةِ أو الدِّينِ، ولا خَرْقَ أيِّ حَقٍّ للإنسانِ وحُرِّيَةٍ أساسِيَّةٍ يَعْتَرِفُ بِهِمَا القانونُ العالَمِيُّ. وكُلُّ مُحاوَلةٍ تَرْمِي إلى تَبْريرِ هَاتِهِ الخُرُوقاتِ تَحْتَ سِتارٍ ثقافِيٍّ، تَكُونُ مُجَرَّدَةً مِن الشَّرْعِيَّةِ بالنَّظرِ إلى القانُونِ العَالَمِيِّ ». [2]

آيطن-شنكر [3]

أسئلة

1 - حدِّد الإطار الفكري العام للنص بتوسيع الفكرة التالية : تُعتبر النظرة إلى الإنسان من الزاوية الفلسفية، القاعدةَ التي تأسَّس عليها تشريعُ القانون العالمي لحقوق الإنسان.

2 - إن النص لم يوضِّحْ بالتفصيل متى يبدأ التعدي على حق الآخرين ولماذا، وهل نتحدث عن حقوق الإنسان أو حقوق الناس؟ اذكر بعض التفاصيل معتمدا على أمثلة.

3 - أجب عن السؤال في مبادرة شخصية وجيزة : لو كان عليك أن تشرع لمحاربة آفة من الآفات الإنسانية الخطيرة، فماذا عساك أن تختار منها وكيف تقدم النص القانوني؟

---

1 - ليس من الغريب أن يدفع بعض الجماعات بانفسهم إلى الحرق أو الانتحار بحجة الانتقال إلى عالم الحرية المطلقة والسعادة الحقيقية.

2 - ديانا آيطن-شنكر، حقوق الإنسان والتنوع الثقافي، Nations Unies Note d'information, Droits de l'homme et diversité culturelle, Par Diana Ayton-Shenker, Publié par le Département de l'information des Nationes Unies, DPI/1627/HR--Mars 1995.

2 - هي ديانا آيطن-شنكر (Ayton-Shenker) أستاذة في الحقوق تعمل حاليا، لصالح هيئة الأمم المتحدة، قسم حقوق الإنسان.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[كيف تحافظ الشعوبُ على خصوصيات ثقافتها مع الانفتاح على العالم؟]

«إنَّ الثَّقافاتِ الوَطنيَّةَ [1] ـ مَهْمَا كانتِ الاخْتلافاتُ التي تُمَيِّزُها ـ تَسْتهدفُ غايَةً واحدَةً، [2] وهِيَ مَنْحُ الكائناتِ البَشَريَّةِ أسْلَمَ الاستعْداداتِ ـ الجَسديَّةِ منها والعقليَّةِ والرُّوحيَّةِ [3] ـ التي تَسمَحُ لهُم بالسُّمُوِّ إلى أفْضَلِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ، بالتَّشَخْصُنِ [4] على أصَحِّ كَيْفيَّةٍ، وبأنْ يُصبحُوا ـ كما قالَ ديكارْت [5] ـ «أسْيَادًا للطَّبيعَةِ ومُمْتَلكيها»، حتى أنَّه بالإمْكانِ تَعْريفُ الثقافةِ الوَطنيَّةِ بأنها مَجمُوعةٌ منَ القيَمِ والأشْكالِ المادِّيَّةِ والعَقليَّةِ والرُّوحيَّةِ للحَياةِ، التي يَتصَوَّرُها أو يَعْمَلُ على تَطبيقِها شَعْبٌ مِن الشُّعوبِ عَبْرَ تاريخِه.

غَيْرَ أنَّ التَّاريخَ الذي نَحْنُ بِصَدَدِه ـ بمَا أنه ليْسَ تاريخَ الإنسانِ القَدَرِ، وإنَّمَا هو تاريخُ الكائناتِ الإنسانيَّةِ المَدَنيَّةِ بالطَّبْعِ أي المَدْعُوَةِ للحَياةِ في جَماعاتٍ، في مَناطقِ المُعارَضاتِ والتَّبادُلاتِ العاطفيَّةِ والاقتصاديَّةِ، ومِن ثَمَّةَ الاختلاطاتِ العِرقيَّةِ والقيَمِ ـ فإنَّ كلَّ مُجتمَعٍ لا يُمكنُ أن يَكونَ هُوَ هُوَ نَفْسَه إلا بانفتاحِه [6] على المُجتمعاتِ الأخْرَى. إنَّ هَذه الحَرَكةَ المُزْدَوجَةَ ـ الانجذابَ والتَّنافُرَ ـ هِيَ التي تُؤلِّفُ مُحَرِّكَ الحَضارَةِ الإنسانيَّةِ. ففيها وبِهَا يَكْتشِفُ كلُّ شَعْبٍ نَفْسَه كَكُلٍّ وكجُزْءٍ مِن كلٍّ، [7] أيْ يَكتشِفُ في الوَقتِ نَفسِه، ذاتَه وأنه مُلقىً خارِجَ ذاتِه، بحيث إنَّ الثقافةَ الوَطنيَّةَ، كُلَّما اسْتَيْقظتْ لِلشُّعُورِ بأصَالتِها، [8] أحَسَّتْ إحْساسا بالِغا

1 - هناك الثقافة الوطنية التي يتميز بها وطن من الأوطان، وهناك الثقافة العالمية التي تشمل جميع الثقافات؛ الصبغة التي تكتسيها الثقافة العالمية هي أكثر شمولية وأكثر اتساعا بالقياس إلى الثقافة الأولى.

2 - ومهما اختلفت هذه الثقافات (بالجمع لا بالمفرد)، فإن لها غاية واحدة تشترك فيها جميع ثقافات العالم.

3 - فاللغة مهما اختلفت في حروفها والنطق بها و اتجاه كتابتها، هي واحدةٌ لدى الجميع من حيث إنها تحقق التواصل بين الناس وتحفظ لهم تراثهم.

4 - التشخصن، هو الارتقاء إلى كرامة الشخص والتحول إلى إنسان في أرقى معانيه، وهنا من المفيد أن نسجل منفذا يمكن أن يساعدنا على اجتياز عتبة الفلسفة التي يأخذ بها الكاتب، وهو منفذ الفلسفة الشخصانية.

5 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: **38**.

6 - هذه دعوة للتفتح على الحضارات الأخرى، ومبررها أن الإنسان مدني بالطبع ومضطر إلى نسج علاقات اجتماعية مختلفة مع غيره، وهي علاقات قد تقرب فيما بين الناس وقد تبعد فيما بينهم، وأنه يجد في ارتباطه معهم مبررا لوجوده.

7 - تعتبر الثقافة الوطنية بالنظر إلى ذاتها، كأنها هي ثقافة الثقافات من حيث إنها تعتنق في إنتاجاتها الإبداعية جميع الناس في العالم، ومن حيث إن أي إنسان قد يجد ما يروقه فيها. ولكنها من جهة أخرى، هي جزء من الثقافة العالمية، لأنها تشارك في إثرائها وترقيتها.

8 - إن الأصالة في مفهومها اللغوي، تعبير عن الأصل، وهي في معناها العرفي، علامة عن صفاء الجذور، وصدق الأصول. إن عمر شعب ما يقاس بعمر أصالته. والأخذ بنقاوة المنشأ يعد من أسباب القوة والعزة، ولا يعرض للذوبان. فبقدر ثبات الجذور في التراب تكون حصانة الشجرة، فلا تتعرض للانكسار أو الانحناء أمام أقوى العواصف وأعنفها. و لكن قد تصاب الأصول بالذبول في عقر دارها، إذا كان أهلها جامدين ينفرون من الجديد حتى مع وضوح فائدته. إن الثقافة التي لا تنفتح على غيرها ولا تعيش عصرها، تتجه إلى قبر ذاتها.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

بالحاجَة إلى الانفتاح على الثقافات الأُخْرَى التي لَيْسَتْ أقلَّ أصالةً منها. وحينئذ، تُدرِكُ بأنها تَعيشُ تَكامُلِيَّةً [1] أساسيَّة تَرْبطُها بالثقافات الأخرَى مُنذ الماضِي البَعِيدِ [2]». [3]

محمد عزيز لحبابي [4]

أسئلة

1 - قدِّمْ تمهيدا يناسب الإطار الفكري للنص، مُبَيِّنًا أولا، التنافرَ بين الثقافات الضعيفة ونظيراتها القوية، وثانيا، قابليةَ الخصوصيات الثقافية على المسخ والتلاشي.

2 - حلِّلْ أطروحة الكاتب شكلا ومادة، مُبرزا الحجج التي تستند إليها، والنزعة الفلسفية التي تعبر عنها.

3 - أُكْتُبْ فقرتين متعارضتين، تَتَبَنَّى في الأولى موقف الكاتب، وتَضْحَدُها في الثانية، مُستنِدا إلى حجج دامغة.

---

1 - كل الثقافات تسير على منطق الأخذ والعطاء (La complémentarité) أي يتمم بعضها بعضا.

2 - لقد كان الماضي حاضرا في زمنه، ولقد نجح أسلافنا في أيامهم، فعرفوا كيف يستثمرون التراث ويكيفونه مع مقتضيات عصرهم، دون الإخلال بانتمائه الإنساني العالمي. والأصالة بهذا المعنى، لا تندثر ولا تبور، فهي الهوية، أو إن شئت، قل إنها الذات والإنية. فإذا كان شأنها أقل من المستقبل أو على هامش مصلحة الجماهير، ماتت واندثرت.
يقول الأستاذ مولود قاسم مخاطبا الشباب الجزائري: "كن إنسان عصرك... لا نسخة غيرك، كن إيجابيا متفاعلا، لا سلبيا منفعلا، متفتحا متطورا لا مطوَّرا ومؤثرا أيضا لا فقط متأثرا. فالحياة تعامل وتبادل، والحوار من أطراف متساوية، وإلا كنت مجرد سائل متسول، ناقصا في نفسك، عارا على أمتك، وعالة على الإنسانية" (بتصرف، إنية وأصالة، م. البعث، 1975، ص: 579).
إن الأصالة، في الخلاصة، بمثابة شجرة تتغذى وتغذي. إنها تتغذى عن طريق جذورها العميقة الصلبة من تربة جيدة ومتجددة؛ وتغذي عن طريق أغصانها، فتمنح أجود الثمار للسائل المحتاج. إن عمر كل أصالة مرهون بأمرين: كيفية استيعاب الماضي وكيفية التعامل مع الحاضر. إن أصالتنا العربية الإسلامية يجب، كما تريده طبيعتها دائما، أن تعطي وتأخذ. فإذا أعطت، فبالقدر الذي لا تصل فيه إلى طمس خصوصيات الغير، وإذا هي أخذت، فإنها تصنع ذلك، بالحجم الذي تنمي به نفسها و تثريها، وتشعر غيرها بالتجاوب.

3 - محمد عزيز لحبابي، من المنغلق إلى المنفتح، ص. LAHBABI, Mohamed Aziz, Du clos à l'ouvert. (23-24). Casablanca, Dar el-Kitab; 2e éd. Alger, SNED.

4 - هو فيلسوف عربي معاصر من أصل مغربي، يُعتبر أول كاتب عربي رُشِّح لجائزة نوبل في الأدب سنة 1987، قبل الروائي المصري نجيب محفوظ الذي استلم من بعده، هذا الامتياز. تُوفي بعد أكثر من سبعين سنة، مخلفا وراءه مؤلفات باللغتين: العربية والفرنسية، في الأدب (أشعارا وروايات) وفي الفلسفة ؛ منها: «الشخصانية الواقعية»، «الشخصانية الإسلامية»، «حرية أم تحرر»، «من المنغلق إلى المنفتح»، و«عالم الغد: العالَمُ الثالث يوجِّه تهمة».

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

[هل الغرض من التفتح هو اكتشاف خبايا العالم الخارجي، أو هو من أجل إثبات وجود الذات؟]

«إنَّ مَذهَبَنا «الشَّخْصَاني الوَاقِعيَّ» [1]، يَتبَنَّى مَوْقِفاً مَفتُوحًا دائِمًا على الحَياةِ، أمَامَ المُسْتَقبَل، ورامِيًا إلى تَجاوُزِ تَعَدُّدِيَاتِ الأجْناسِ والإيْدِيُولُوجيَاتِ[...]، وكلِّ الاخْتِلافاتِ والمُعارَضاتِ، وهَذا بِقَصْدِ التَّعاوُنِ على بُلوغِ الوَحْدَةِ النَّوْعِيَّةِ لِلكائِناتِ البَشَرِيَّةِ [2]. ثُمَّ أليْسَ التَّفلْسُفُ [3] سَعْيًا إلى اكتِشافِ «الأساليبِ» الأليَقِ لِلعَيْشِ جَماعَةً إنسانِيَّةً، في عالَمِ التَّعاطُفِ والتضَامُنِ، عالَمٍ يَلتَصِقُ بالواقِعِ بفَضْلِ مَوَدَّةٍ تَتمَيَّزُ بِقُوَّةِ الحَمِيمِيَّةِ؟

إنَّ نَظَرِيَّةَ المَعْرِفَةِ التي تَشْغَلُ ـ في أوروبَا مُنذ فَجْرِ التفكيرِ الفَلسَفِيِّ ـ مَنْزِلَةَ الشَّرَفِ، نَظرِيَّةٌ تابِعَةٌ هُنا، لِرُؤْيَةٍ [خَاصَّةٍ] لِلعَالَمِ حَيْثُ يَكونُ كلُّ شَيْءٍ في خِدْمَةِ الكائِنِ الإنسانِيِّ: فَتأخُذ المَعْرِفةُ مَعنَى القَصْدِ إلى تَنْوِيرِ الكائِنِ الإنسانِيِّ، والعَمَلِ عَلى رَفْعِه. وفي مَمْلَكةِ الأشْخاصِ [4] يَكتسِي «تَحْقِيقُ الذَّاتِ» ، مَعْنَى الشَّمْلِ، والإبْقاءِ على التَّبَعِيَّةِ لِلمَعْرِفةِ، أو بالأحْرَى، نَحْنُ لا نَبْحَثُ عَنِ المَعْرِفةِ ابْتِداءً، إلا مِن أجْلِ أنْ نَعْرِفَ أنفُسَنا، بَعْدَ ذلك. [5]

---

1 - إن الكاتب يعلن صراحة عن المذهب الذي ينتسب إليه، وهو الشخصانية الواقعية؛ وكأنه يلفت الانتباه إلى أن مذهبه يختلف في نفس الاتجاه، عن المذاهب الشخصانية المثالية كما هي معروفة عند بعض المفكرين الإنسانيين أمثال مان دي بيران الروحاني، وكيركجرد الوجودي، وماركس الاشتراكي. والشخصانية التي يدافع عنها الكاتب استوحاها من أستاذه مونيي وكذلك و بوجه أخص، من الإسلام. فالشخص في هذا النوع من الفلسفة، هو عند لحبابي وفي حقيقة أمره، الإنسان الذي كرمه الله بالاستخلاف في الأرض. وأسُسُ فلسفته واضحة في النص.

2 - واضح أن الكاتب يأخذ بالمنطق الجدلي الدينامي، إلا أنه يسعى إلى بلوغ قمته في التكتل النوعي للبشرية، وهذا ما يسمى بمنطق الوحدة حيث تتساوق المتنافرات، وتتناغم المتناقضات بدون نزاع ولا صِدام.

3 - ليس التفلسف عنده، الانسحاب من ضجة الواقع إلى الخَلْوَة أو البرج العاجي. إنما هو الالتصاق بالحياة اليومية التي تقوم كلها على المشاعر النبيلة والتعاون المستمر.

4 - مملكة الأشخاص هي المملكة التي يحيا فيها الأشخاص ككائنات، ماهيتُها إنسانية. وفيها لا نبحث عن المعرفة من أجل تثقيفنا، وإنما نبحث عنها من أجل أن نعرف أنفسنا بالدرجة الأولى.

5 - إن تحقيق الذات على مستوى الفرد لا يتم إلا بعد التحاقه بالشمل أو بجميع الذوات البشرية الأخرى، أو بتعبير آخر، إن إدراك الذات إدراكا تاما لا يتم إلا بعد معرفة الآخرين. إن الكائن البشري قبل أن يتحول إلى «شخص» ، يحتاج إلى الخروج نحو العالم ليتحقق بواسطة الآخرين. فكما أنه لا يستطيع أن يعرف ذاته، ولا أن يتحقق من وجودها إلا بمعرفة الآخرين، فكذلك هؤلاء الآخرون يشعرون بالنقص في تحقيق كامل ذواتهم، إن بقي هو منعزلا وحده.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وهُنا يَنفَتِحُ المُشْكِلُ على جَدَلِيَّةٍ تَتلَقَّحُ فيها، هَاتَانِ الحَرَكَتان بَعْضُهَا بَعْضًا، وباسْتِمْرَارٍ. ولكنَّ مَعْرِفةَ الذَّاتِ تَكمُنُ في أنْ يَرْضَى الشَّخْصُ بِذاتِهِ كَمَا هو، ضِمْنَ هذه العَلاقَةِ [1]: اَلْ (أنا) كَجُزْءٍ مِنَ الْ (نَحْنُ) فِي العَالَمِ». [2]

محمد عزيز لحبابي [3]

أسئلة

1 - أُكتُب مَدخلا تمهد فيه لمشكلة النص.

2 - لقد تناول الكاتب ثلاث أفكار أساسية: المذهب، والتفلسف، ونظرية المعرفة؛ حلل أطروحته - على أساس هذا التقسيم - تحليلا وافيا من حيث الشكلُ والمضمون، مع استخدام الأمثلة المناسبة من أجل التَّبْيين.

3 - أُرْسُم جدولا تسجل فيه من جهة، الأفكار التي تقبل النقد، والأفكار التي تقبل التزكية من جهة أخرى، مع تعليل ذلك.

---

1 - إن الانفصال عن الحياة الاجتماعية ليس معناه رفض الغير فقط، وإنما هو رفض الذات الشخصية. ولهذا تبقى الجدلية قائمة بين الجزء والكل.

2 - محمد عزيز لحبابي، حرية أم تحرر، Mohamed Aziz LAHBABI,Liberté ou Libération?, S.N.E.D.,p. (240-241).

3 - ارجع لترجمته إلى النص رقم: 58.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

فهرس مصادر النصوص

باللغة العربية

1. إعلان اليُونِسْكُو العَالَمِيُّ بشأن التنوُّع الثقافِيِّ الدورةُ الحادية والثلاثون باريس 2001/11/2. [56]
2. أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز ، دار الكتاب العربي، ص: (46-47). انظر (Platon)
3. هنري أيكن، عصر الإيديولوجيا، ترجمة محي الدين صبحي، ص، 10، ط2، دار الطليعة، بيروت 1982. [34]
4. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط.3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص، (90-91). [12]
5. عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص، 191. [26]
6. عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص، (15-17؛ 20). [37]
7. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج.2، الأنيس، ص، (12-14) + (20-21). [22؛ 23]
8. الجويني إمام الحرمين، لمع قواعد أهل السنة و الجماعة (انظر: M.Allard)
9. وليام جيمس، البراغماتية، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص، (239-241). [36]
10. أحمد حسين، الطاقة الإنسانية، ط. 3، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1970، ص، (420-421) + (443 - 444). [47؛ 55]
11. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ، الكتاب الأول، الباب السادس، الفصل العاشر،ص: 458 وكذا، ص، 460. [18؛ 28]
12. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ، الكتاب الأول، الباب الثاني، الفصل 23، ص، 147. [50]

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

13. ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري الهيئة المصرية للكتاب، 1985، القسم الثاني، ص، (184-186)؛ و القسم الرابع، ص، (212-218). [38: 39]

14. الفخر الرازي، التفسير الكبير، الجزء، 7، ط. 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص، 14-15؛ و الجزء، 21، ط. 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص، 119. [53: 54]

15. برتراند رسل، مقدمة للفلسفة الرياضية، ترجمة محمد مرسي أحمد، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962. [11] (voir aussi, Goblot)

16. ابن رشد،] الإنتاج الفلسفي[فصل المقال، ضبط وتنقيح جمال الدين بوقلي حسن، منشورات مهدي، الجزائر، 2007. [20]

17. ابن رشد، فصل المقال، المطبعة الكاثوليكية، ط. 1، بيروت،1961. ص 27 ، 28؛ وص، (35-36)؛ و ص، (36. 45-46). [20: 25: 27]

18. ابن يوسف السنوسي، شرح أم البراهين، عن حاشية محمد الدسوقي، المطبعة الميمنية، مصر، 1312هـ، ص، (107-108). [8]

19. محمد بن يوسف السنوسي، العقيدة الوسطى، ط.1، مطبعة التقدم الوطنية، تونس، بدون تاريخ، ص: 53. [20]

20. محمد بن يوسف السنوسي، شرح العقيدة الوسطى، ط.1، مطبعة التقدم الوطنية، تونس، بدون تاريخ، ص، 39 و 41. [21]

21. توفيق الشاوي، المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية معهد الدراسات العربية، 1958، ص، 25. [42]

22. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل و النحل ج. 1، مكتبة الحسين التجارية، ط. 1، 1368 هـ/ 1948 م. ص، 59 : 114. [3]

23. سيد صُبحي، «تعليم الطفل التسامح"، مقال، موسوعة سفير لتربية الأبناء (المجلد الثاني)، ص، 381-382. [51]

24. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ط. الخامسة ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967، ص، (53-55)؛ و ص، (368-369)؛ و ص، 369. [29: 31: 32]

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

25. وفيق العظمة، علم النفس الحديث، الطبعة الثانية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ص، ص، (235-236)؛ و ص، (257-258). [7: 10]

26. روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، ط. 5، ص، (215-216). [52]

27. محمد ثابت الفندي، أصول المنطق الرياضي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص، (20-21)؛ و ص، (22-25)؛ و ص، (34-35). [13: 14: 15]

28. تعليق أحمد فهمي محمد عن الملل و النحل للشهرستاني، ج. 3، التعليق رقم، 1، مكتبة الحسين التجارية، ط. 1. 1368 هـ /1948 م. ص، 43. [24]

29. ماهر كامل، تصدير لـ م. تيلور، الفلسفة اليونانية، تعريب عبد المجيد عبد الرحيم، ط. 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، تصدير، ص، (5-6). [17]

30. أزفلد كولبي، المدخل إلى الفلسفة، ترجمه أبو العلا عفيفي، ط. 5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص، (269-272). [35]

31. عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط.، 2، عويدات، بيروت1981، ص 39. [6]

32. زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، ج. 2، ط، 4، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1966، ص، 299. [16]

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

1. Michel ALLard, Textes apologétiques de Gûwainï, Dar el-Machreq édit., Beyrouth, 1968, P, (131-133). [19]
2. Pierre DUCASSÊ, Les grandes philosophies, 15ème édition, PUF,Paris 1976, P. (115-116). [30]
3. F. ENGELS, Anti-Dühring (1878), Mr. E. Dühring bouleverse la science, Économie Politique. [44]
4. Paul FAUCONNET, La responsabilité, Paris, Alcan, 1920, P. (243-244), Paris, 1920 ; 2e éd., 1928. [41]
5. R. GARAUDY, Pour un dialogue des civilisations, Edit. Denoêl, Paris,1977, P.(257-258). [voir غارودي]
6. R. GARAUDY,Promesses de l'Islam, Le Seuil, 1981, P. (178-179). [48]
7. E. GOBLOT, Traité de logique, Ed. A. Colin, Paris, 1925, P. (264). [11]
8. Ed. HUSSERL Méditations catésiennes trad. Emmanuel Lévinas & Gabrielle Peiffer, 2ème éd., Edit. J. Vrin, 1986. [5]
9. Emmanuel KANT, Idée d'une histoire universelle, 4éme proposition, trad. S. Piobetta in Opuscules sur l'histoire, Paris, Garnier-Flammarion, 1990, P. (74-75). [40]
10. LAHBABI, Mohamed Aziz, Du clos à l'ouvert, Casablanca, Dar el-Kitab, 2e Edit. Alger, SNED. [58]
11. Mohamed Aziz LAHBABI, Liberté ou Libération?, S.N.E.D.,P. (240-241). [59]
12. K.MARX, Le capital, L.III, T.3, Edit. Sociales, Paris, 1976, P. 93. [43]
13. Paul MOUY, Logique, 2ème Edit. Librairie Hachette, 1952, P. (18-19). [9]
14. NATIONS UNIES Note d'information, Droits de l'homme et diversité culturelle, Par Diana Ayton-Shenker, Publié par le Département de l'information des **Nations Unies * DPI/1627/HR--Mars 1995. [57]**

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

15. Blaise PASCAL, Pensées, Les Editions Bordas, Paris,1966, Section IV, N°, (277-278 ; 282). [33]
16. PLATON, La république, Trad. R. BACOU, Garnier-Flammarion, 1966, L.I, P.32. [4]
17. PROTAGORAS, Paradoxes, L'Encyclopédie libre : De Wikipedia. [1]
18. J.J.ROUSSEAU, Du contrat social ou principes du droit politique, L.I., Chap. IV, Paris, Garnier-Flammarion, 1992. [49]
19. Bertrand RUSSEL, Paradoxe du coiffeur qui lui est attribué, L'Encyclopédie libre: De Wikipedia. [2]
20. J.P.SARTRE, L'Existentialisme est un humanisme, Paris,1946. P. 36. [45]
21. VOLTAIRE, Traité sur la tolérance, Edit. Flammarion 1989, p. 69. [46]

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

القسم الثاني
الإنتاج الفلسفي

المنقذ من الضلال

لأبي حامد الغزالي

(450-505 هـ/ 1059-1111 م.)

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مقدمـــة

لقد تم إدراج نشاط الإنتاج الفلسفي بهذا الشكل، لأول مرة في تعليم مادة الفلسفة في بلادنا، لسببين اثنين، لأن المقاربة بالكفاءات تدعو إلى النظرية البنائية العامة، ولأن الكفاءات المطلوب إنجازها من طرف المتعلم، تصب في اتجاه تحقيق النظرة الشمولية والنظرة النسقية. وهذه كلها من الآثار التربوية الملحَّة التي تسعى إليها، دراسة الإنتاج الفلسفي. ولقد وقع الاختيار على رسالة « المنقذ من الضلال » لأبي حامد الغزالي؛ وعلى هذا الأساس، وقبل تقديم متن هذه الرسالة، نحاول أن نرد على الأسئلة الستة التالية:

أولا: لماذا الإنتاج الفلسفي؟

ثانيا: لماذا المنقذ من الضلال؟

ثالثا: كيف تم تخريجه

رابعا: كيف تم تقديمه

خامسا: كيف نتعامل معه؟

سادسا: من هو الغزالي وما هي مؤلفاته؟

أولا: لماذا الإنتاج الفلسفي؟

1. لأنه نشاط يتناول رأسا، بعض ما تركه الفلاسفة من آثار، وفي عين نضارته؛

2. ولتحقيق الكفاءات التالية:

أ ـ الإحاطة التامة بمنطق الإنتاج، وما تستوجبه من التحكم في منهجية هذا الإنتاج في حل المشكلة، وتفهم ربطه بمذهب الفيلسوف؛

ب ـ هذا، فضلا عن أنه يحقق الاتصال المباشر بالفيلسوف؛

ج ـ و الاطلاع على بعض مؤلفاته، ونهل المعلومات من المصدر من غير واسطة؛

د ـ والتمكن من اكتساب عدد من المصطلحات الفلسفية، في سياق الإنتاج الذي يهتم به؛

هـ وتصحيح الأفكار والأحكام المسبقة حول الفيلسوف أو حول موضوع إنتاجه، واكتشاف محتواه الأصلي؛

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

و ـ والخروج بنظرة شمولية عن منهجية الإنتاج وأفكار صاحبه، والفوز الفعلي بالتفكير التركيبي والنسقي؛

ز ـ ومما لا شك فيه، هو أن هذه الكفاءات المتنوعة، لها التأثير الحسن على كل الأنشطة التي تخدم تعلم الفلسفة.

ثانيا : لماذا المنقذ من الضلال ؟

لأنه:

1. يخدم الكفاءات المقررة، وتوجهات البرنامج؛
2. يصف طريقة التربية المؤسَّسة، كما يحلم بها الشباب، ويحصنهم من الانزلاقات؛
3. كتيِّب في متناول المتعلمين تداولا وأسلوبا ويدخل في دائرة انشغالاتهم؛
4. يعكس معظم أفكار المؤلف، ومذهبه فيه؛
5. يعكس جزءا مهما من حياته الشخصية؛
6. مؤلَّف وضعه صاحبه في السنوات الأخيرة من حياته، ويمثل عصارة كامل حياته الفكرية على العموم.

ثالثا : كيف تم تخريجه؟

1. لقد اعتمدنا في تخريجه، على عدد وافر من النسخ الكاملة، والمختلفة المشرب؛
2. نقحنا المتن، وصححنا ما كان يحتاج إلى تصحيح سواء تعلق الأمر بأخطاء في قواعد اللغة أو بأخطاء تصحيفية؛
3. قارنا بينه وبين النسخ المتوفرة، وأخرجناه إخراجا علميا وأمينا، يليق بمقام رسالة التربية.

رابعا : كيف تم تقديمه؟

1. قدمنا له بهذه المقدمة، تمهيدا للتناول البيداغوجي، واستجابة للذوق الجمالي في القراءة؛
2. وضعنا له الإشكالية الفلسفية التي تناسبه، والتي يعتبر كتاب المنقذ محاولة للجواب عنها؛ وهي« كيف استطاع أبو حامد الغزالي ـ في رسالته «المنقذ من الضلال» ـ الوصول إلى العلم اليقينيّ، أمام كثرة اختلاف الناس في الأديان والملل والمذاهب، وتشعب سبل الوصول فيها، إلى استخلاص الحق"؟
3. وتحت هذه الإشكالية، وعلى ضوء منهجية الغزالي وروح أفكاره، اجتهدنا في تقطيع المتن إلى فصول تتفاوت في الحجم، ووضعنا على رأس كل فصل، مشكلة جزئية كما سيأتي؛

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

4. وتيسيرا للقراءة، حرصنا على شكل النص، والتعليق على الكلمات المفتاحية والعبارات الصعبة التي يعيِّنها الترقيم التسلسلي، فضلا عن أننا عينا النص المحوري المناسب للمشكلة بنجوم مفخّمة.

خامسا : كيف نتعامل معه؟

ومن خطوات إحدى الطرائق التي يوحي بها، واقعنا البيداغوجي، نذكر ما يلي [1] :

1. من الضروري، كخطوة أولى، في التعامل مع الإنتاج، الانطلاق من قراءة إجمالية و تمهيدية، لكامل الإنتاج (أي رسالة المنقذ)، وهي قراءة شخصية، يقوم بها، المتعلم بعيدا عن جوّ القسم، وهذا، بغرض استئذان الإنتاج، وكمدخل افتتاحي يؤهله للولوج في مقاصد متنه شكلا ومضمونا؛
2. كما أنه من المفيد تربويا، تسخير الساعة الأولى، من ساعات العروض الست، لعرض حياة المؤلف، وظروفها بالقدر الكافي الذي يناسب مضامين الإنتاج، ويسهل النفاذ إلى أطوائها؛
3. السعي إلى تحديد إشكالية الإنتاج، وما تقتضيه من مشكلات جزئية، وتعيين النصوص الكاملة التي تعكسها وتناسبها؛
4. وعلى ضوء هذه المنهجية، يتم انتقاء بعض النصوص المفتاحية القابلة للشرح، بقدر عدد المشكلات الجزئية، وعدد الساعات المخصصة للنشاط التعلمي، الغرض منه، مصاحبة المؤلف في أفكاره، والتغلغل في نسقه، ومشاركته معاناة التأمل، ومحنة التفلسف؛
5. وينتهي التعامل مع هذا الإنتاج، بتخصيص الساعة الأخيرة، من ساعات العُروض، لاستخلاص نتائج دراسته، والوصول من ثمة، إلى حل إشكاليته.

سادسا : من هو الغزالي وما هي مؤلفاته؟

1. من هو الغزالي؟

ولد أبو حامد محمد الغزالي سنة 1059م. في طوس، إحدى مدن خراسان الواقعة بين إيران وأفغانستان. وكان والده فقيرا يعيش من غزل الصوف، وكان أميا، ولكنه يحب مجالسة الفقهاء والوعاظ. وكان يدعو الله أن يرزقه ذرية صالحة أمثال هؤلاء. فاستجاب له ربه، وقد طعن في السن، فكان له محمد هذا، حجة الإسلام، وأحمد أخوه عالم يعظ الناس. وقبل أن يتوفى، أوصى بابنيه جارا له صوفيا بأن يعلمهما. وعند وفاته تعهدهما بالرعاية، لفترة ليست طويلة بسبب الفقر. وحمل أبا حامد فضولُه وحبُّه للعلم، إلى التنقل من بلاد إلى بلاد، ليحتك بعظماء

1. كما جاء في الدليل المرفق

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الشيوخ والعلماء، من أمثال علي الراذكاني الفقيه، وأبي القاسم الجرجاني المحدث الشافعي، وعبد الملك الجويني العالم الأشعري، والفضل بن محمد الفارمدي، العالم المتصوف.

وبعد وفاة الجويني، اتسع احتكاكُه بمجالس العلم بفضل اتصاله بالوزير نظام الملك. ومكنته عبقريته من الارتقاء إلى منصب أستاذ، في مدرسة بغداد النظامية، وهو في الثانية والثلاثين من عمره. وكانت المدارس النظامية آنذاك، وسيلة لتأييد السنة ونفوذ السلاجقة، كما كان الأزهر في مصر، وسيلة لتأييد الشيعة ونفوذ الفاطميين. ويوم قتل نظام الملك من طرف الباطنية، تألم الغزالي أيما تألم، وخشي على نفسه [1].

وعاد إلى طوس بعد أن أدرك الخمسين، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية. و توُفي في طوس، سنة 1111م.

2. ما هي مؤلفاته؟

لقد ألف في الفقه، وفي علم الكلام، وفي الفلسفة والمنطق، وفي الباطنية، وفي التصوف. ومن أشهر ما كتب، نذكر ما يلي:

أ ـ المستصفى: وهو في علم أصول الفقه (ويعني بها، القرآن والسنة والإجماع)؛

ب ـ الاقتصاد في الاعتقاد: وهو بحث في ذات الله، وصفاته وأفعاله، ورسله على طريقة المذهب الأشعري. ويعني بالاقتصاد، الاعتدال أي موقفا وسطا بين الذين جمَدوا على التقليد وأتباع ظاهر الشرع بلا تفكير، وبين المتفلسفين الذين تطرفوا في الآراء والتأويلات، حتى ابتعدوا عن الدين أو تركوه؛

ج ـ إلجام العوام عن علم الكلام: يرد فيه على المجسمة، ويتراجع فيه، عما كان قد سمح للعوام به، من الخوض في علم الكلام.

د ـ مقاصد الفلاسفة: حيث عرض فلسفة الفارابي وابن سينا تمهيدا للرد عليهما، في كتاب التهافت؛

هـ تهافت الفلاسفة: حيث أراد أن يبرز تناقض بعض الفلاسفة في أدلتهم، وقصورهم عن إقامة الأدلة المقنعة على صحة ما يزعمونه من الآراء. وأراد أن يبين أن المرموقين من الفلاسفة، كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وأن الفيلسوف المرموق أيضا، قد يصيب في آرائه الرياضية والطبيعية والسياسية، ثم يكون مخطئا في آرائه الإلهية والدينية. ويرد الغزالي كثيرا مما روي عن كبار الفلاسفة، مما يخالف الدين، إلى التبديل والتحريف اللذين وقعا في نقل كتب هؤلاء الفلاسفة من اليونانية إلى العربية.

1. وقتل الباطنية فخر الملك ابْنَ نظام الملك، بعد أسابيع من قتل والده.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

و ـ معيار العلم: وهو كتاب في المنطق؛

ز ـ فضائح الباطنية، ويسمى أيضا، المستظهري: ألفه تلبية لرغبة الخليفة المستظهر، وذكر فيه عقائد الباطنية ورأيهم في الإمام المعصوم، وشهر بانزلاقاتهم؛

ح ـ إحياء علوم الدين: وهو أضخم ما كتب، تناول فيه الفقه والأخلاق والتصوف. وفيه نستشف اتجاهه العملي في الحياة، وسلوكه الصوفي في العبادة والتفكير والمعاشرة؛

ط ـ المنقذ من الضلال: هو«ذكريات»، يقيد فيها جزءا كبيرا من حياته الشخصية، ويلخص فيها مجمل آرائه الدينية والفلسفية. وأهم مراحل المنقذ، نردها إلى ما يأتي:

انكسار رابطة التقليد، وضرورة تحديد العلم اليقيني؛

من الشك في الإيمان والحسيات إلى الشك في العقل؛

البحث عن الحقيقة تحت محك العلم اليقيني:

أولا، في علم الكلام

ثانيا في الفلسفة

ثالثا، في الباطنية

رابعا، في التصوف

خامسا: الوصول إلى الحقيقة، وهي حقيقة النبوة

وهذه المراحل هي التي حملتنا إلى استخلاص سبع مشكلات فلسفية جزئية إجرائية، وهي كما يأتي:

الأولى: انكسار رابطة التقليد وضرورة تحديد العلم اليقيني

الثانية: من الشك في الإيمان والحسيات إلى الشك في العقل البحث عن الحقيقة تحت محك العلم اليقيني:

الثالثة: في علم الكلام

الرابعة: في الفلسفة، وفيها قسمان، تخصص لكل واحدة منهما حصة.

الخامسة: في الباطنية

السادسة: في التصوف.

السابعة: إن استخلاص الحق يكون بتوفر الإدراك الذوقي و نشر العلم (الوصول إلى الحقيقة، وهي حقيقة النبوة، والدعوة إلى العلم اليقيني)

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

رسالة

المنقذ من الضلال

لـ

أبي حامد الغزالي

(450-505 هـ/ 1059-1111 م)

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

خطة الكتاب البيداغوجية

إشكالية الكتاب الفلسفية

«كيف استطاع أبو حامد الغزالي ـ في رسالته « المنقذ من الضلال » ـ الوصولَ إلى العلم اليقينيّ، أمام كثرة اختلاف الناس في الأديان والملل والمذاهب، وتشعب سبل الوصول فيها، إلى استخلاص الحق» ؟

المشكلات الجزئية ومحاولة حل الإشكالية

أولا : انكسار رابطة التقليد وضرورة تحديد العلم اليقيني

ثانيا : من الشك في الإيمان والحسيات إلى الشك في العقل

[البحث عن الحقيقة تحت محك العلم اليقيني]

ثالثا : هل يرشدنا علم الكلام إلى الحقيقة؟

رابعا : هل الفلسفة ترشدنا إلى الحقيقة؟ وإذا كان أهلها يتفاوتون في البعد أو القرب عنها، فهل كلهم يلزمهم الكفر؟

خامسا :هل مذهب التعليم (أو الباطنية) يرشدنا إلى الحقيقة؟

سادسا : هل التصوف يرشدنا إلى الحقيقة؟ وإذا كانت الحقيقة بجانب أهله، فكيف السبيل إليها؟

حل الإشكالية

سابعا : إن استخلاص الحق يكون بتوفر الإدراك الذوقي ونشر العلم.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

إشكالية الكتاب الفلسفية

«كيف استطاع أبو حامد الغزالي ـ في رسالته «المنقذ من الضلال» ـ الوصولَ إلى العلم اليقينيّ، أمام كثرة اختلاف الناس في الأديان والملل والمذاهب، وتشعب سبل الوصول فيها، إلى استخلاص الحق»؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المشكلة الجزئية الأولى

[إن الإنسان وليد مجتمعه و لايستطيع الاستغناء عما ألفه من تقليد في مجالات الدين والفكر والسلوك. فماذا لو حدثت قطيعة بينه وبين سلطة هذا التقليد ؟]

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي تُفتتحُ بحمدهِ كلُّ رسالةٍ ومقالةٍ، والصلاةُ على محمّدٍ المصطفَى صاحبِ النّبوَّةِ والرسالةِ، وعلى آله وأصحابه الهادِينَ من الضلالةِ.

أمَّا بعدُ :

فقد سأَلْتَني أيُّها الأخُ في الدِّينِ، أن أبُثَّ إليكَ غايةَ العلومِ وأسرارَهَا، وغائلةَ المذاهبِ وأغوارَهَا ، وأَحْكي لكَ مَا قاسَيْتُه في استخلاص الحقِّ من بينَ اضطراب الفِرَقِ، مع تبايُن المسالكِ والطُرُق، وما استَجْرَأْتُ عليه من الارتِفاع عن حَضيضِ التقليدِ، إلى يَفاع [1] الاسْتبصار، وما استَفَدتُه أولاً من عِلْمِ الكلام، وما اجْتَوَيْتُه [2] ثانياً من طرُقِ أهلِ التعليم القاصرينَ لِدرْكِ الحقِّ على تقليدِ الإمام، وما ازدَرَيْتُه ثالثاً من طرقِ التّفلسفِ ، وما ارتضيتُه آخراً من طريقةِ التصوُّف، وما انْجلى لي في تضاعيفِ تفْتيشي عن أقاويلِ الخلقِ، من لُباب الحقِّ، وما صَرفَني عن نَشْرِ العِلم ببغدادَ، مع كثرةِ الطلبةِ، وما دعاني إلى مُعاوَدَتي بِنيْسابورَ بعد طُولِ المُدَّة، فابْتَدَرْتُ لإجابتك إلى مَطلَبك، بعد الوقوفِ على صِدقِ رغبتك، وقلتُ مُستعيناً بالله ومُتوكِّلاً عليه، ومُسْتَوْثِقاً منه، وملتجئاً إليه.

اعلموا – أحسن الله تعالى إرشادَكم، وألاَنَ للحقِّ قِيادَكم – أنَّ اختلاف الخَلْق في الأديانِ والمِلَلِ، ثم اختلافَ الأئمة في المذاهبِ، على كَثْرة الفِرَق وتبايُن الطرق، بَحْرٌ عميقٌ غرَق فيه الأكثرون، وما نجا منه إلا الأقلُّون؛ وكل فريق يزعمُ أنّه النّاجي، و"كلُ حزبٍ بما لَديهِم فرحونَ" [3] وهو الذي وَعدنا به سيّدُ المرسلين، صلواتُ الله عليه، وهو الصّادقُ

---

1 - اليفاع :المكان المرتفع .

2 - يقال : اجتوى الطعام : كرهه.

3 - الروم : 32.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

الصّدوق حيث قال: "ستفترق أمّتي ثلاثاً وسبعينَ فرقة، النّاجيةُ منهَا واحدة" [1]. فقد كادَ ما وَعد أن يكونَ.

ولم أزلْ في عُنفوانِ شبابي، منذُ راهقتُ البُلوغَ قبلَ بُلوغِ العشرينَ إلى الآنَ، وقد أنافَ [2] السّنُ على الخمسين، اَقتحِمُ لُجَّة [3] هَذا البحر العَميق، وَأخوضُ غَمرَتهُ خَوْضَ الجَسُور ، لاَ خَوْضَ الجبَان الحذُور، واَتوغّلُ فِي كلّ مَظلَمة، واَتهجّمُ على كل مشكلة، و اَقْتَحِمُ كلَّ وَرطة، و اَتفحَّص عن عَقيدة كل فرقة، واَستَكشِفُ أسرارَ مذهب كلِّ طائفة، لأميِّزَ بين مُحقٍّ ومبطِل، ومُتَسَنِّنٍ ومبتدِع [4]، لا أغادرُ باطنيًا إلا وأُحبُّ أن اَطَّلع على باطنيَّته [5]، ولا ظاهِريّاً إلاّ وأُريدُ أن أعْلم حاصِل ظاهِريَّته، ولا فلسفيًا إلا وأَقصِدُ الوقوفَ على كُنْه [6] فلسفته، وَلا متكلِّماً إلاّ واَجتهدُ في الاطّلاعِ على غايةِ كلامه ومجادلته، ولا صُوفياً إلا وأَحرِصُ على العُثورِ على سرِّ صفْوَته، ولاَ متعبّداً إلاّ واَترصّدُ ما يَرجِعُ إليه حاصلُ عبادته، ولا زِنديقاً [7] معطِّلاً [8] إلا واَتجسّسُ وراءَه للتنبُّهِ لأسبابِ جُرأته في تعطيله وزَنْدَقَته.

* وقد كان التّعطشُ إلى دَرْكِ حقائقِ الأمورِ دأْبي ودَيْدَني [9] من أوّل أمري ورَيْعَانِ عُمْري، غريزةً وفِطرةً مِنَ الله وُضِعَتَا في جِبلَّتي، لا باخْتِياري وحِيلتي، حتى انْحلَّت عني رابطةُ التقْليد وانكسَرت عليَّ العقائدُ الْموروثةُ، على قُربِ عهدِ سِنِّ الصِّبَا، إذ رأيتُ صِبْيانَ النَّصَارَى لا يكونُ لهم نُشوءٌ إلا على التَّنصُّر، وصبيانَ اليَهُودِ لا نشوءَ لهم إلاّ على التَّهَوُّدِ، وصبيانَ المُسْلِمينَ لا نُشوءَ لهم إلاّ على الإسلام. وسمعتُ الحديثَ المَرْوِيَّ عن رَسول الله

---

1 - رواه أحمد وأبو دواد وابن ماجة والترمذي بلفظ آخر.
2 - أناف: تجاوز.
3 - لجة: عُمق.
4 - مبتدع: مخترع (في اللغة العربية)؛ وأصبح اصطلاحاً على المحدَث المكروه أو المضلِّل في الدين.
5 - الباطنية: السريرة؛ و المقصود هنا، هو العقيدة الباطنة.
6 - كنهه: كنه معناه لبّ فلسفته،وجوهرها.
7 - في لسان العرب: الزنديق هو القائل ببقاء الدهر.
8 - المعطل هو الذي ينكر صفات الخالق.
9 - دأبي: عادتي؛ ديدني: دربي.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ حيث قال: "كلُّ مولودٍ يولدُ على الفِطرةِ، فَأَبَوَاهُ يُهوِّدانه ويُنصِّرانه ويُمجِّسانه". [1] فَتَحَرَّكَ بَاطِني إلى طلَب حقيقةِ الفِطرةِ الأصليَّة، وحقيقةِ العقائدِ العارضةِ بتقليدِ الوالدَيْن والأساتذة، [2] والتمييزِ بَيْنَ هذه التَّقليداتِ، وأَوَائِلُها تَلْقِينَاتٌ، وفي تَمْيِيزِ الحَقِّ منها عن الباطل اختلافاتٌ، فقُلتُ في نفْسي:

أوَّلا، إنَّما مَطْلُوبي العِلمُ بحقائقِ الأُمُورِ، فلا بُدَّ من طَلَبِ حقيقةِ العِلْم، ما هي؟ فَظَهَرَ لي أنَّ العِلْمَ اليقينيَّ هو الذي يَنكشفُ فيه المعلومُ انكشافاً لا يَبقَى معه ريبٌ، [3] ولا يُقارِنُه إمكانُ الغَلَطِ وَالوَهْم ، ولا يَتَّسِعُ القلبُ لتقديرِ ذلك؛ بلِ الأمانُ من الخطأ يَنْبَغِي أنْ يكُونَ مُقارَناً لليَقِينِ مقارنَةً ـ لو تَحدَّى بإظهارِ بُطلانِه مثلاً، من يَقْلِبُ الحَجَرَ ذَهَباً والعَصَا ثُعباناً لم يُوَرِّثْ ذلك شكاً وإنكاراً؛ فإنِّي إذا عَلِمتُ أن العَشَرةَ أكثرُ من الثلاثةِ، فلو قال لي قائلٌ: لا بل الثلاثةُ أكثرُ من العَشَرَةِ، بدَليلِ أنِّي أقْلِبُ هذه العصا ثعباناً، وقَلَبَها، وشاهَدتُ ذلك منهُ لم أشُكَّ بِسَبَبِهِ في مَعْرِفَتي، ولم يَحصُلْ لي منه إلاَّ التعجُّبُ مِنْ كَيْفِيَّةِ قُدْرَتِهِ عليه! فأمّا الشكُّ في ما عَلِمتُه، فلا.

ثم عَلمتُ أنّ كلَّ ما لا أعلَمُه على هذا الوَجْهِ، ولا أتَيقَّنُه هذا النَّوْعَ من اليَقِينِ، فهو علمٌ لا ثِقةَ به ولا أمانَ معه؛ وكلُّ عِلمٍ لا أمانَ معه، فَلَيْس بعلمٍ يَقِينِيٍّ. *

1 - رواه أحمد والبخاري ومسلم بلفظ آخر.
2 - تقرأ في نسخ أخرى، أساتيذ (و هي جمع أستاذ) و في بعضها الآخر: الأستاذين.
3 - ريب : شك .

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

[ثم ماذا لو تملكه الشك في دينه وفي كل مكتسباته المعرفية؟
ماذا عساه أن يصنع إذا كان لا يثق بحواسه وبعقله؟]

ثم فَتّشتُ عن عُلومي فَوَجدْتُ نَفْسي عاطِلاً من عِلم موصوفٍ بهذه الصّفة، إلاّ في الحسّيات والضّروريات.[1] فقُلتُ: الآنَ بَعْدَ حُصول اليأْسِ، لا مَطمعَ في اقتباسِ المشْكلاتِ إلاّ من الجَليّات، وهي الحسّياتُ والضّروريات؛ فلا بدّ من إحكامِها أوّلا، لأتيقّنَ أنّ ثقتي بالمحسوساتِ، وأَماني من الغَلَطِ في الضّروريات، من جنسِ أماني الذي كان من قَبلُ في التقليديات، ومن جنسِ أمانِ أكثرَ الخَلْق في النّظرياتِ، أمْ هو أمانٌ محقّقٌ لا غَدرَ فيهِ ولا غَائلة له؟[2] فأقبلت بجدٍّ بليغٍ أتأمّلُ المحسوساتِ والضروريات، وأنظرُ هل يُمكنُني أن أُشكك نفسي فيها؛ فانتهى بي طولُ التّشكيك إلى أنّ لم تَسْمَحْ نفسي بتسليمِ الأمان في المحسوساتِ أيضاً، وأخذَ يتّسع الشّكُّ فيها و يقول: من أينِ الثّقةُ بالمحسوساتِ، وأقواها حاسةُ البصرِ، وهي تنظرُ إلى الظلِ فتَراه واقفاً غيرَ متحرّك، وتَحكُمُ بِنَفْي الحركة؟ ثم بالتجربةِ والمشاهدةِ بعد ساعة، تَعرف أنّه متحركٌ وأنّه لم يَتحرّكْ دفعةً بغتةً، بَل على التدريجِ ذَرّةً ذرّةً، حتى لم تكنْ له حالةُ وقوف؟ وتنظرإلى الكوكبِ فَتَراه صغيراً في مقدارِ الدّينارِ، ثم الأدلّةُ الهندسيةُ تدلّ على أنّه أكبرُ منَ الأرض في المقدارِ. هذا وأمثالهُ من المحسوساتِ يَحكم فيها حاكِمُ الحسّ بأحكامِه، ويكذّبه حاكِمُ العقلِ ويَخُونُه تكذيباً لا سبيلَ إلى مُدافعتِه؟

فقلتُ: قد بطُلتِ الثّقةُ بالمحسوساتِ أيضاً، فلعلّه لا ثقَة إلاّ بالعقلياتِ التّي هي من الأوّلياتِ، كقولنا: العشَرةُ أكثرُ من الثلاثة، والنّفيُ والإثباتُ لا يجتمعان في الشّيءِ الواحدِ، والشّيءُ الواحدُ لا يكون حادِثاً قديماً، موجوداً معدوماً، واجباً مُحالاً.

* فقالتِ المحسوساتُ: بمَ تأْمَنُ أنْ تكونَ ثقتُك بالعقلياتِ كَثِقَتِكَ بالمحسوساتِ، وقد كنتَ واثقاً بي، فَجاءَ حاكِمُ العقلِ فكذّبَني، ولولا حاكِمُ العقلِ لكنتَ تَستَمرُّ على تصْديقي؟ فلعلّ وراءَ إدراكِ العقلِ حاكِماً آخرَ إذا تجلّى، كذّبَ العقلَ في حُكمِه، كما تجلّى

---

1 - الضروريات: الأمور العقلية.
2 - الغائلة: مؤنث الغائل، الداهية والمهلكة والشر والفساد.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

حاكم العقل فكذَّب الحِسَّ في حُكْمه؛ وعَدَمُ تجلِّي ذلك الإدْرَاك، لا يَدُلُّ على اسْتحَالَته. فتوقَّفت النَّفسُ في جواب ذلك قليلاً، وأيَّدتُ إشكالَها بالمنام، وقالت: أمَا تراك تَعتَقِدُ في النَّوْم أُموراً، وتَتخيَّلُ أحوالاً، وتعتقدُ لها ثباتاً واستقراراً، ولا تَشُكُّ في تلك الحالَة فيها، ثم تَسْتيقظُ فتَعلَمَ أنَّه لم يَكُنْ لجميع مُتخيَّلاتك ومُعتقداتك أصلٌ وطائِلٌ؟ فبِمَ تأْمَنُ أن يَكونَ جميعُ ما تَعتقدُه في يَقْظتِك بحسٍّ أو عقلٍ هو حقٌّ بالإضافة إلى حالتِك التي أنتَ فيها؛ لكنْ يمكنُ أن تَطْرَأ عليكَ حالةٌ تكونُ نسبتُها إلى يَقْظتِك، كنسْبة يقْظتِك إلى مَنامِكَ، وتكونُ يقظتُك نوماً بالإضافة إليها! فإذا وَرَدتْ تلك الحالةُ تيقَّنْتَ أنَّ جميعَ ما توهَّمتَ بعقلِك خيالاتٌ لا حاصِلَ لها؛ ولعلَّ تلك الحالةَ، ما يدَّعيه الصُّوفيةُ [1] أنَّها حالَتُهم ؛ إذ يَزْعُمون أنَّهم يُشاهِدُونَ - في أحْوالِهم التي لَهُم، إذا غاصُوا في أنفسِهم، وغابُوا عن حواسِّهم - أحوالاً لا تُوافِقُ هذه المَعْقولاتِ. ولعلَّ تلكَ الحالةَ هي الموتُ، إذ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم: "الناسُ نيامٌ، فإذا ماتُوا انتَبَهُوا" [2].فلعلَّ الحياةَ الدُّنيا نَوْمٌ بالإضافةِ إلى الآخِرَةِ؛ فإذا ماتَ، ظهرتْ له الأشياءُ على خِلاف ما يُشاهِدُه الآنَ، ويُقالُ له عِند ذلك: "فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حَديدٌ". [3] *

فلمَّا خطرتْ لي هذه الخواطرُ وانقدَحتْ في النَّفس، حاوَلْتُ لذلكَ عِلاجاً، فلم يتيسَّرْ، إذ لم يكنِ دفْعُه إلا بالدَّليل، ولم يُمْكن نَصْبُ دليلٍ إلا من تركيبِ العلوم الأوَّلية؛ فإذا لم تكُن مسلَّمةً لم يمْكن ترتيبُ الدَّليل. فأَعْضَلَ هذا الداءُ، [4] ودام قريباً من شَهريْن أنا فيهما على مذهبِ السَّفسطةِ [5] بحكمِ الحال، لا بحكم النُّطِق والمقال، حتى شفَى اللهُ تعالى من

---

1 - الصوفية :سميت بالصوفية لأن أصحابها يفضلون كما قيل، لبس الصوف زهدا و تقشفا و ابتعادا عن الملذات؛ وهي عند الفلاسفة حالة يرتقي فيها الزاهد من المعطيات الحسية إلى الكشف عن الحقائق الغيبية عن طريق الإلهام والوحي والجهد لكشف الحُجب.

2 - هو من قول علي بن أبي طالب لكن عزاه الشَّعراني في الطبقات لسهل التستري، ولفظه في ترجمته ومن كلامه: "الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا ماتوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم."

3 - (ق : 22).

4 - هذه الحالة هي التي تسمى فترة الشك، وهي غير الأزمة الروحانية التي أدت بالغزالي إلى ترك بغداد؛ إنها حالة معرفية. ويرى البعض أن هذا الشك مشابه لما حصل للعالم الفرنسي رينيه ديكارت؛ راجع في ذلك ما كتبه أحمد شمس الدين في حاشية (المنقذ) من تحقيقه ص 29، وما كتبه عبد الرحمن بدوي في مقالة بعنوان : (أوهام حول الغزالي) في كتاب "أبو حامد الغزالي" : دراسات في فكره وعصره وتاثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لعام 1988م. وإن كنا نرجح أن الشك عنده هو باثولوجي أكثر منه منهجي.

5 - السفسطة: هي عند الفلاسفة الحكمة المموهة الممزوجة بالمغالطات.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ذلك المرَض، وعادتِ النفسُ إلى الصِّحة والاعتِدال، ورجعَتِ الضَّروريات العقلية مقبولةً موثوقاً بها على أمْنٍ ويقينٍ؛ ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنورٍ قذفَه اللهُ تعالى في الصَّدر؛ وذلك النّورُ هو مفتاح أكثرِ المعَارف. فمن ظنَّ أن الكَشْفَ موقوفٌ على الأدلّة المحرَّرة، فقد ضَيّق رحمةَ الله تعالى الواسعةَ؛ ولما سُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم عن الشرح ومعناه في قوله تعالى: "فمن يُردِ اللهُ أن يَهديَه يَشرحْ صدرَه للإسلام"، [1] قال: "هو نورٌ يَقْذِفُه اللهُ تعالى في القلب". فقيل: وما علامتُه؟ قال: "التَّجافي عن دار الغُرُورِ والإنابة إلى دارِ الخُلُود". وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه: "إن الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ في ظُلْمةٍ ثم رشَّ عليهمْ من نُورِه". [2] فمن ذلك النّورِ ينبغي أن يُطلبَ الكَشْفُ، وذلك النّورُ يَنْبَجِسُ منَ الجُودِ الإلهيِّ في بعض الأحايين، ويجب التَّرصُّدُ له كما قال صلى الله عليه وسلّم: "إنَّ لِرَبِّكم في أيامِ دَهْرِكم نفحاتٍ، ألا فتَعرَّضُوا لها". [3]

والمقصودُ من هذه الحكاياتِ أنْ يُعمَل كمالُ الجدِّ في الطَّلب، حتى ينتهيَ إلى طلبِ ما لا يُطلبُ. فإنَّ الأوَّليات ليست مطلوبةً، فإنَّها حاضرةٌ؛ والحاضرُ إذا طُلب فُقِدَ واختَفى؛ ومَن طلَب ما لا يُطْلب، فلا يُتَّهم بالتَّقصير في طلبِ ما يُطلبُ.

1 - الأنعام: 125.

2 - رواه أحمد والترمذي والحاكم بلفظ آخر.

3 - رواه الطبراني والسيوطي في الفتح الكبير بلفظ آخر قريب، والبيهقي وأبو هريرة بلفظ آخر، وأبو نعيم عن أنس.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المشكلة الجزئية الثالثة

البحث عن الحقيقة لذات مجرد العلم اليقيني

[وإذا تم تحديد ميزان البحث عن الحقيقة، وتقرر البحث عن العلم الذي يناسبه، فهل علم الكلام هو العلم الذي يرشدنا إلى الحقيقة؟]

وَلَمَّا شَفاني اللهُ مِنْ هذا المرضِ بفضلِه وسِعة جودِه، انحصَرتْ أصنافُ الطَّالبين عندي في أربعِ فرقٍ:

المتكلّمون: وهم يدَّعون أنّهم أهلُ الرّأي والنّظر؛

الباطنية [1]: وهم يزعمون أنَّهم أصحابُ التَّعليم والمَخْصُوصون بالاقتباسِ مِن الإمام المعصومِ؛

الفلاسفة: وهم يزعمون أنَّهم أهلُ المنطقِ والبرهان؛

الصّوفية: وهم يدّعون أنّهم خواصُّ الحضرةِ وأهلُ المشاهدةِ والمكاشفةِ. [2]

* فقلْتُ في نفْسي: الحقُّ لا يَعْدُو هذه الأصنافَ الأربعةَ، فهَؤُلاءِ هُمُ السَّالكون سُبُلَ طلَبِ الحقِّ، فإن شذَّ الحقُّ عنهم، فلا يَبقى في دَرْكِ الحقِّ مَطمعٌ، إذ لا مطمعَ في الرّجوع إلى التَّقليدِ بعد مُفارقته، إذ من شرط المقلِّد أنْ لا يَعلَمَ أنَّه مُقلِّدٌ، فإذا علِم ذلك انكسَرتْ زُجاجةُ تقليده، وهو شِعْبٌ [3] لا يَرْأَبُ، [4] وشَعْثٌ [5] لا يُلَمُّ بالتَّلْفيقِ والتَّأْليفِ، إلا أن يُذابَ بالنَّار، ويُستَأنفُ له صنعةٌ أخرى مُستجَدَّةٌ.

فابْتدَرتُ لسلوك هذه الطُّرُق، واسْتقْصاءِ ما عند هذه الفِرَق، مُبتدئاً بعِلمِ الكلام، ومُثنّياً بطريق الفلسفة، ومُثلّثاً بتعلُّم الباطنيَّة، ومُربِّعاً بطريق الصُّوفيَّة.

---

1 - الباطنية: فرقة ترى أن كل ظاهر له باطن، وكل تنزيل يمكن تاويله. واصحاب هذه الفرقة يسمون كذلك بالقرامطة و التعليمية و هم من ممثلي الشيعة.

2 - و الترتيب الذي يلتزم به الغزالي هو تقديم الفلاسفة على الباطنية كما يعلن عن ذلك، في الأسطر الموالية.

3 - الشِّعْب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة: انفراج بين الجبلين، والمراد هنا، شق.

4 - لايرأب: لايصلح.

5 - شعث: ما تفرق من الأمور.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

ثم إنِّي ابتدأْتُ بعلم الكلام، فحصَّلتُه وعَقَلْتُه، وطَالعتُ كتبَ المُحَقِّقينَ منهم، وصنَّفتُ فيه ما أردْتُ أن أصنِّفَ، فَصادَفْتُه علماً وافياً بمَقصودِه، غيرَ واف بمقصودي؛ وإنما مقصودُه حِفظُ عقيدةِ أهْلِ السُّنَّةِ وحِراستُها عن تَشْويشِ أهل البِدْعَةِ. فقَدْ ألْقَى اللهُ تعالى إلى عِبادِه على لسانِ رسولِه، عقيدةً هي الحقُّ، على ما فيه صلاحُ دينِهم ودُنْيَاهُم، كما نَطقَ بمعرفته القرآنُ والأخبارُ. ثم ألْقَى الشَّيطانُ في وَسَاوِسِ المُبتدعَة أموراً مخالفةً للسُّنة، فَلَهَجُوا[1] بها وكَادُوا يُشَوِّشُونَ عقيدةَ الحقِّ على أهلِها. فأنْشأ اللهُ تعالى طائفةَ المُتكلِّمين، وحرَّكَ دَواعيهم لِنَصْرةِ السُّنَّة بكلام مُرتَّب، يَكشِفُ عن تَلْبيساتِ أهلِ البِدَعِ المُحْدَثَة، على خِلافِ السُّنة المأثورة؛ فَمِنْهُ نَشَأ علمُ الكلام وأهلُه. ولَقَدْ قام طائفةٌ منهم بما نَدَبَهُمُ اللهُ تعالى إليه، فأحسَنوا الذَّبَّ[2] عن السُّنة، والنِّضالَ عن العقيدةِ المُتَلَقَّاةِ بالقَبولِ من النُّبُوَّة، والتَّغييرَ في وجه ما أُحدثَ من البدعة؛ ولكنَّهم اعتمَدوا في ذلك على مقدِّمات تَسلَّموها من خصومِهم، واضْطَرَّهُم إلى تَسْليمِها: إما التَّقليدُ أو إجماعُ الأُمَّة أو مُجرَّدُ القَبولِ من القرآنِ والأخبارِ. وكان أكثرُ خَوْضِهم في اسْتخراجِ مُناقضَاتِ الخُصوم، ومُؤاخذتِهم بلَوازِمِ مُسلَّماتِهم. وهذا قليلُ النَّفع في حقِّ مَنْ لا يُسلِّمُ - سوى الضَّروريات - شيئاً أصلاً، فلم يكُنِ الكلامُ في حقِّي كافياً، ولا لِدائِي الذي كُنتُ أشْكوه شافياً.*

نعم، لما نشأتْ صِنْعةُ الكلام وكثُر الخَوْضُ فيه وطالت المُدَّةُ، تَشوّقَ المتكلّمون إلى محاولة الذَّبّ عن السّنة بالبحث عن حقائقِ الأمور، وخاضُوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامِها. ولكنْ لـمَّا لَم يكُنْ ذلك مقصودَ علمِهم، لم يَبلُغْ كلامُهم فيه الغايةَ القصوَى؛ فلم يحصُل منه ما يمحَقُ بالكُلِّيَّة، ظُلُماتِ الحيرةِ في اختلافاتِ الخَلْق؛ ولا أُبْعِدُ أن يكون قد حصَل ذلك لغيري! بل لسْتُ أشُكُّ في حُصولِ ذلك لطائفةٍ، ولكن حصولاً مَشُوباً بالتقليدِ في بعض الأمورِ التي ليست من الأوَّليات!

و الغَرَضُ الآن حكايَة حالي، لا الإنكارُ على مَنْ استَشفى به، فإنَّ أدوية الشِّفاء تختلف باختلاف الدَّاء، و كم من دواءٍ يَنتفع به مريضٌ و يَستضِرُّ به آخرُ!

---

1 - لهج بالأمر: أولع به فثابر عليه واعْتاده.
2 - الذبُّ: الدفاع.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المشكلة الجزئية الرابعة

[هل الفلسفة ترشدنا إلى الحقيقة؟ وإذا كان أهلها يتفاوتون في البعد أو القرب عنها، فهل كلهم يلزمهم الكفر؟]

* ثُمَّ إنّي ابتدأتُ، بعد الفراغ من علم الكلام، بعلم الفلسفة، وعلمتُ يقيناً، أنَّه لا يَقِفُ على فسادِ نوعٍ من العُلوم، مَن لا يَقِفُ على مُنتهَى ذلك العِلم، حتى يُساويَ أعلمَهم في أصلِ العِلم، ثم يَزيدُ عليه ويُجاوزُ دَرَجَتَهُ، فيطّلعُ على ما لم يطلِعْ عليه صاحبُ العِلم من غَورٍ وغائلَة. وإذ ذاك يُمْكِنُ أن يكونَ ما يَدَّعيهِ من فسادٍ حقّاً. ولم أرَ أحداً من علماءِ الإسلامِ صَرَفَ عِنايتَه وهِمَّتَه إلى ذلك.

ولم يكُنْ في كُتُب المتكلّمينَ من كَلامِهِم، حيثُ اشْتَغلوا بالرّدِ عليهم، إلاَّ كلماتٌ معقَّدةٌ مبدَّدةٌ، ظاهرةُ التّناقض والفساد، لا يُظَنُّ الاغترارُ بها بعاقلٍ عامّيٍّ، فضلاً عمَّن يدّعي دقائقَ العُلوم. فعلِمتُ أنّ ردّ المَذهب قَبْل فَهْمه والاطّلاع على كُنْهِهِ رميٌ في عِمايَة. فشَمَّرتُ عن ساقِ الجِدِّ، في تحصيلِ ذلكَ العِلم من الكُتُب، بمُجرّدِ المُطالعةِ من غيرِ استعانةٍ بأستاذ. وأقْبَلْتُ على ذلك في أوقاتِ فراغي من التّصْنيفِ والتّدريسِ في العُلومِ الشّرعيةِ، وأنا مَمْنُوٌّ [1] بالتّدريس والإفادةِ لِثَلاثِمائةِ نَفرٍ من الطّلَبةِ ببغدادَ.

فأطلعَني اللهُ سبحانه وتعالى بمجرّدِ المُطالعةِ في هذهِ الأوقاتِ المُختلَسَة، على مُنتهَى علومِهم في أقلَّ من سَنتيْن. ثم لم أزَلْ أواظِبُ على التّفكّر فيه بَعْدَ فهمِه قريباً من سَنة، أُعاوِدُه وأردّدُه واتفقّدُ غوائلَه وأغوارَهُ، حتّى اطّلعتُ على ما فيه من خِداعٍ وتلبيسٍ، وتحقيقٍ وتَخْييلٍ، اطّلاعاً لم أشُكَّ فيه. *

فاسْمَع الآنَ حكايتَهُم وحكايةَ حاصلِ عُلومهم: فإني رأيتُهم أصنافاً، ورأيتُ علومَهم أقساماً؛ وهم على كثرةِ أصنافِهم، يَلزمُهم وَصْمةُ الكُفرِ والإلحَاد، وإن كان بين القدمَاء منهُم والأقدَمين، وبين الأواخرِ منهم والأوائلِ، تفاوتٌ عظيمٌ في البُعد عن الحقّ والقربِ منهُ.

أولا: أصْنَاف الفَلاسفة

اعلمْ أنّهم، على كثرةِ فِرقهم واختلافِ مذاهبهم، ينقسِمون إلى ثلاثةِ أقسامٍ: الدَّهْرِيُّونَ، والطّبيعيُّون، والإلهيُّون.

---

1 - ممنوٌّ: مبتلًى به.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

1 - **الصَنف الأوّل** : الدَّهريون : وهم طائفة من الأقدمين جَحدوا الصّانعَ المدبِّرَ، العالم القادرَ، وزعمُوا أنّ العالَم لم يزل موجوداً كَذلك، بنفسه بلا صَانع، ولم يزل الحيوانُ من النُّطفَة، والنّطفةُ من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكونُ أبداً. وهؤلاءِ هم الزّنادقة.

2 - **والصّنف الثاني** : الطّبيعيّون : وهم قومٌ أكثروا بَحْثَهم عن عالَم الطبيعة، وعنْ عجائب الحيوان والنّبات، وأكثروا الخوضَ في علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرَأوا فيهَا من عَجائب صُنع الله تعالى وبدائع حِكمته، ما اضْطُرُّوا معَه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مُطّلع علي غَايات الأمور ومقَاصدها. ولا يُطالعُ التشريحَ وعجَائبَ مَنافع الأعضاء مُطالعٌ، إلا ويَحْصُلُ له هذا العلمُ الضروريُّ بكمَال تدبير البَاني لبنية الحيوانَ، لا سيما بنية الإنسَان. إلاّ أنّ هؤلاء، لكثرة بحثهم عَن الطبيعة ، ظَهَر عندهم – لاعتدال المزَاج – تأثيرٌ عظيمٌ في قِوام قُوَى الحيوان به. فظنّوا أن القُوّة العاقلةَ منَ الإنسان تابعةٌ لمزاجه أيضاً، وأنّها تَبطُل ببُطلان مزَاجه فتَنعَدمُ. ثم إذا انعدمتْ، فلاَ يُعقل إعادةُ المعدوم كما زَعَمُوا. فذهبُوا إلى أنّ النّفس تموتُ ولا تعودُ، فجَحَدوا الآخرةَ، وأنكرُوا الجَنّةَ والنّار، والحشْر والنشْر، والقيامَة والحسابَ، فلَم يَبْقَ عندهم للطّاعة ثوابٌ، ولا للمعصية عقابٌ؛ فانْحَلّ عنهُم اللّجامُ [1] وانْهَمكوا في الشّهَوات انهمَاكَ الأنعام.

وهؤلاء أيضاً زَنادِقَةٌ، لأن أصلَ الإيمانِ هو الإيمانُ بالله واليوم الآخر. وَهؤلاءِ جَحدُوا اليومَ الآخِرَ، وإن آمنوا بالله وصِفاته.

3 - **والصّنفُ الثالث** : الإلهيون : وهم المتأخّرون منهم ، مِثْلُ سُقْراطَ [2]، وهو أسْتاذُ أفلاطُون، وأفلاطُون [3] أسْتاذِ أرِسْطاطالِيسَ، وأرسطاطاليس [4] هو الذي رتّبَ لهُم

---

1 - اللجام : ما يجعل في فم الفرس من الحديد لتحديد وجهته أو إيقافه؛ والمقصود في النص : زوال الوسيلة التي بواسطتها نبتعد عن الشهوات.

2 - فيلسوف يوناني (469-399 ق. م.) ادعى أنه لا يعلم شيئا، وليس له آثار مكتوبة، وكل ما عندنا ما سجله تلميذه أفلاطون في محاوراته. رفعت المحكمة اليونانية دعوة ضده بتهمة إفساد الشباب وأعدمته بالسم.

3 - فيلسوف يوناني (427-347 ق.م.) تلميذ سقراط سجل محادثات أستاذه، وأسس مدرسة للفلسفة سماها الأكادمية، جرب الدور السياسي في سركيوز (إيطاليا) ثم رجع إلى عاصمة اليونان أثينا عندما تغير الوضع السياسي حوله ، و مبرره في ذلك كما قال، هو أنه لا يريد أن تتكرر الجريمة ضد الفلسفة مشيراً إلى حادثة إعدام سقراط؛ ومن أهم أعماله كتاب الجمهورية.

4 - فيلسوف مقدوني تلميذ أفلاطون، درس في مدرسته عشرين عاماً، ثم رجع إلى بلده ليكون مدرساً للإسكندر المقدوني، ثم عاد إلى أثينا وأسس مدرسة سماها الليسيم، بعد وفاة أفلاطون، وبحث فيها مع تلاميذه شتى أنواع المعرفة، واستمرت بعد مماته بسنوات عديدة. ثم اضطر إلى مغادرة أثينا عندما توفي الإسكندر وضعف أمر المقدونيين. تلاميذه اشتهروا (بالمشائين) لأنه كانت عادة المعلم أن يمشي وهو يلقي المحاضرة. من أشهر المعلقين على أعماله، أبو الوليد ابن رشد المعروف بـ"الشارح" الذي ازدهر بعد الغزالي بمائة عام. هذب علم المنطق وكتب في الأخلاق والنفس وما وراء الطبيعة، وأعماله السياسية لم تصل العرب؛ واكتفوا بما كتب أفلاطون.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المَنطقَ ، وهذَّب لهُم العُلوم، وحَرّر لَهُم ما لَم يكُنْ محرَّراً من قبلُ، وأنضَجَ لهُم ما كان فجّاً من علومِهم، وهم بجُملتِهم رَدّوا على الصّنفين الأوّلين مِنَ الدّهرية وَالطبيعية، وأورَدوا في الكشف عن فضائحهم مَا أغْنَوْا بِهِ غيرهُم. "وَكفى اللهُ المؤمنين القتال" [1] بتقاتُلهم. ثمّ رَدَّ أرسْطاطاليسَ على أفلاطُونَ وسُقراطَ، ومَن كان قبلهم من الإلهيين، ردّاً لَم يُقصِّرْ فيه حتّى تبرّأ عن جميعِهم. إلاّ أنّه اسْتَبْقى أيضاً مِنْ رذائل كُفرِهم وبِدْعَتِهم بقايا لم يُوَفّق للنّزوع منها، فوجَب تكفيرُهم، وتكفيرُ شيعتِهم مِنَ المُتفلسفة الإسلاميّين، كابْنِ سينَا [2] والفارابي [3] وغيرِهما [4]. على أنّه لم يقُم بنقل علم أرسْطاطاليس أحَدٌ من مُتفَلْسفَة الإسلاميين كقيَام هذين الرَّجُلين. وما نَقَلهُ غيرُهُما ليسَ يخلو من تخبيطٍ وتخليطٍ يَتشوَّشُ فيه قلبُ المُطالع حتّى لا يُفهم. وما لا يُفهم كيف يُردُّ أو يُقبل؟ ومجمُوعُ مَا صَحّ عندنا مِن فلسفة أرسطاطاليس، بحسب نقل هذين الرّجُلين، ينحَصر في ثلاثة أقسام: قسمٍ يجبُ التكفيرُ به وقسمٍ يجب التّبديعُ به، وقسمٍ لا يجبُ إنكارُه أصْلاً، فَلْنُفَصِّلْهُ.

ثانيا : أقسَامُ عُلومِهم

اِعلم أن عَلومَهم بالنسبة إلى الغرَضِ الذي نَطلُبه سِتّةُ أقسَامٍ: رياضيّة، ومَنطقيّة، وطَبيعيّة، وَإلهيّة، وَسياسيّة، وخُلُقيّة.

1 - **أمّا الرّياضيةُ**: فتتعلّق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالَم، وليس يتعلّق شيءٌ منها بالأمور الدّينية نَفْياً وَإثباتاً، بل هي أمورٌ بُرهانية لا سبيلَ إلى مُجَاحدتِها بعدَ فهمِها ومعرفتِها. وقد تَولّدت منها آفتان:

أ) **إحداهما**، مَن يَنظُر فيهَا يَتعجّب من دقائقها ومِن ظُهور بَراهينها، فيَحْسُنُ بسَبب ذلك اعتقادُه في الفلاسفة، ويَحسَب أنّ جميعَ علومِهم في الوُضوح وفي وَثاقة البُرهَان كَهذا العلم. ثم يكون قد سَمع مِن كُفرهم وتعطيلهم وتهَاوُنهم بالشّرع مَا تداولتْهُ الألسنةُ فيَكفُرُ بالتّقليد المَحض ويَقول: لَو كَان الدِّينُ حَقاً لَما اختفى عَلى هَؤلاء مَعَ تدقِيقِهم

1 - الأحزاب، 25.

2 - هو أبو الحسين علي ابن سينا (370-428 هـ) (فارسي الأصل) الطبيب والفليسوف ، صاحب كتاب (القانون في الطب) وكتاب (الشفا) وكتاب (النجاة) في الفلسفة.

3 - أبو نصر الفارابي (260-339هـ) الفليسوف (تركي الأصل) المشهور بصاحب كتاب الموسيقى الكبير وكتب في الفلسفة. زعم ابن سينا أنه لم يفهم أرسطو حتى قرأ شرحه الذى ألفه الفارابي. لم يشتهر في عصره، ولكنه اشتهر بعد ابن سينا.

4 - في بعض النسخ، أمثالهما و غيرهم.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

في هَذا العلم! فَإذا عرفَ بالتسَامُع كُفرَهم وجُحدهم، استدَلَّ علَى أنّ الحَقَّ هُو الجَحْدُ والإنْكار للدِّين. وكَم رأيْتُ مَن يَضلّ عَن الحقّ بهَذا العُذر ولاَ مُستنَدَ لَه سِواهُ! وإذا قيل لَه: الحَاذقُ فِي صناعَة واحدة ليسَ يلزمُ أن يَكون حَاذقاً فِي كلّ صناعة، فَلا يَلزَم أن يكون الحَاذق فِي الفقه والكَلاَم حاذقاً فِي الطّب، وَلا أن يكونَ الجَاهلُ بالعَقليات جَاهلاً بالنّحْو، بَل لكلّ صناعة أهلٌ بَلغُوا فيهَا رُتبَة البَراعة وَالسَّبق. وإن كَان الحُمْقُ والجَهْلُ قد يَلزمهم فِي غيرهَا. فكلامُ الأوائل فِي الرّياضيات بُرهانيٌّ، وفِي الإلهيات تَخمينيٌّ،[1] لاَ يَعرف ذلك إلاّ مَن جرّبهُ وخَاضَ فيه. فهَذا إذا قَرّر علَى هَذا الذي ألْحَدَ بالتّقليد، لم يقَع منه موقِعَ القَبول، بل تَحْملُه غَلَبَةُ الهَوَى، والشّهوةُ الباطِلة، وحُبُّ التكَايُس، على أن يُصرّ على تحسينِ الظنِّ بهم في العلُوم كلّها.

فهَذه آفةٌ عظيمةٌ لأجلها يجبُ زجرُ كلّ من يخُوضُ في تلكَ العلوم، فإنَّها - وإنْ لم تتعلّق بأمرِ الدّين، ولكِنْ لما كانت من مبادئ علومِهم - سَرَى إليه شَرُّهم وشُؤْمُهم، فقلَّ مَن يخوضُ فيهَا إلاّ ويَنْخلِع من الدّين وينحلّ عن رأسِه لِجامُ التّقوى.

ب) الآفة الثانية، نشأتْ مِن صديقٍ للإسلام جاهِل، ظنَّ أنَّ الدِّين ينبغِي أن يُنْصَرَ بإنكار كلّ علم منسوبٍ إليهم؛ فأنكر جميعَ علومِهم وادّعى جَهلَهُم فيها، حتّى أنكر قولهم في الكُسوف والخُسوف، وزعَم أنَّ ما قالوه على خلاف الشّرع. فلما قرَع ذلك سمْعَ من عَرف ذلك بالبُرهانِ القاطِع، لم يَشُكّ في بُرهانه، ولكن اعتقدَ أنَّ الإسلامَ مبنيٌّ على الجهل وإنكار البُرهان القاطع، فيزدادُ للفلسفة حبّاً وللإسلام بُغضاً. ولقد عَظُم على الدّين جنايةً[2]، مَن ظنّ أنَّ الإسلامَ يُنصر بإنكارِ هذه العلوم، وليسَ في الشّرع تعرُّضٌ لهذه العلوم بالنّفي والإثبات، ولا في هذه العلوم تعرُّضٌ للأمور الدّينية. وقولُه صلّى اللهُ عليه وسلّم: "إن الشّمسَ والقمر آيتانِ مِنْ آياتِ الله تعالى لا يَنْخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته. فإذا رأيتم ذلك، فافزَعوا إلى ذكر الله تعالى وإلى الصّلاة."[3]، ليسَ في هذا ما يوجبُ إنكارُ علم الحسَاب المعرَّف بمسير الشمس والقمَر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص. أمّا قولُه عليه السلام: "لكنَّ الله إذا تجلّى لشيء خضَعَ لَهُ"، فليس توجَدُ هذه الزيادةُ في الصّحاح أصلاً. فهذا حكم الرّياضيات وآفتُها.

---

1 - كلام الأوائل تخميني: مبني على التخمين أي على الحدس و الظن.

2 - درجة عالية من الإثم.

3 - روي هذا الحديث بأسانيد وطرق مختلفة. يوجد في البخاري وفي أحمد والنسائي وابن ماجة ومالك.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

2 – **وأمَّا المنطقيَّاتُ**: فلا يتعلَّق شيءٌ منها بالدِّين نفياً وإثباتاً، بَلْ هي النَّظَرُ في طُرقِ الأدلَّة والمقاييس وشُروط مُقَدمات البُرهان وكيفية تركيبها ، وشروطِ الحدِّ الصَّحيح وكيفيَة ترتيبه؛ وأنَّ العلم إمَّا تصوُّرٌ - وسبيلُ معرفته الحدُّ - وإمَّا تصْديق - وسبيلُ معرفته البرْهان - وليسَ في هذا ما ينبغي أن يُنكَر، بل هو من جنس ما ذكَرَه المتكلِّمون وأهلُ النَّظر في الأدلة. وإنَّما يفارقونَهم بالعباراتِ والاصطلاحات، وبزيادة الاستقصاءِ في التعريفاتِ والتَّشعيبات. ومثال كلامهم فيها، قولهُم: إذا ثَبَت أنَّ كلَ (أ) (ب) لزِمَ أن بعض (ب) (أ) أي إذا ثَبَت أنَّ كل إنسَان حيَوانٌ، لزم أنّ بعضَ الحيوانِ إنسانٌ. ويعبّرون عن هذا بأنَّ الموجَبَةَ الكلِّيةَ تنْعكس موجبَةً جُزئيَّةً. وأيُّ تعلق لهذا بمُهِمات الدّين حتى يَجحد ويُنكِر؟ فإذا أنْكر لم يَحْصُل من إنكاره عند أهْل المنطق، إلا سوءُ الاعتقاد في عقل المُنكر، بل في دينه الَّذي يزْعُم أنّه موقوفٌ على مثل هذا الإنكار. نعم، لهُمْ نوعٌ من الظّلم في هذا العلم، وهو أنَّهم يَجمعون للبرهَان شروطاً يُعلَم أنَّها تُورث اليقينَ لا محَالَةَ، لكنَّهم عندَ الانتهَاء إلى المقاصد الدّينية، ما أمكنَهم الوفاءُ بتلك الشّروط، بل تسَاهَلوا غايَةَ التّساهُل، ورُبَّما يَنْظر في المنطق أيضاً من يسْتحسنه ويرَاه واضحاً، فيَظنُّ أنَّ ما يَنْقُل عنْهم منَ الكفريَاتِ مؤيَّدٌ بمثل تلك البراهين، فيستعجَل بالكفْر قبْل الانتهاء إلى العلوم الإلهية.

فهذه الآفة أيضا متطرقة إليه.

3 – **وأمَّا علمُ الطبيعيات**، فهو بحثٌ عن عالَم السَّماوات وكواكبها، وما تحتَها من الأجسَام المفرَدة، كالماءِ والهواءِ والتّرابِ والنَّار، ومن الأجسام المركَّبة، كالحيوان والنَّباتِ والمعادن، وعن أسبَاب تغيُّرها واستحَالتها وامتزَاجها. وذلكَ يُضَاهي بحثَ الطبِّ عن جسْم الإنسان وأعضائه الرَّئيسة والخَادمة، وأسباب استحَالة مزاجه. وكما ليس من شرط الدِّين إنكارُ علم الطبِّ، فليسَ من شرْطه أيضاً، إنكَارُ ذلكَ العلم، إلا في مسائل معيَّنة، ذكرْناها في كتاب "تهافتُ الفلاسفة"، وما عداهَا ممَّا يجبُ المخالفةُ فيها؛ فعندَ التَّأمُّل يتبيَّن أنَّها مُندرجةٌ تحتَها؛ وأصلُ جَمْلتها أنْ تَعلَم أنَّ الطبيعةَ مُسخَّرةٌ لله تعالى، لا تعْمل بنَفسها، بل هي مُستَعْمَلةٌ من جهة فاطرها. والشَّمسُ والقمرُ والنّجومُ والطبائعُ مُسخّرات بأمْره لا فعل لشيءٍ منْها بذاته عن ذاته.

4 – **وأمَّا الإلهياتُ**، ففيهَا أكثرُ أغاليطهم، فما قَدروا على الوفاءِ بالبُرهان على ما شرَطوه في المنطق، ولذلك كَثُر الاختلافُ بينهُم فيها. ولقد قَرُب مذهبُ أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين، على ما نَقله الفارابي وابنُ سينا. ولكنّ مجموعَ ما غلطوا فيه يرجعُ إلى عشرينَ أصلاً، يجبُ تكفيرُهم في ثلاثة منها، وتبديعُهم في سَبْعَةِ عَشَرَ. ولإبْطال مذهبهم في هذه المسائلِ العشرين، صنَّفنا كتابَ (التَّهافتِ).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

أمّا المسَائلُ الثلاَثُ ، فقد خَالفوا فيها كافَّةَ الإسلاميِّين وذلك في قولهم :

أ) إنَّ الأجسادَ لا تُحشَر، وإنَّما المُثابُ والمعاقَبُ هي الأرواحُ المجرَّدةُ، والمَثُوباتُ والعقوباتُ روحانيةٌ لا جسمانيَّة ؛ ولقد صَدقوا في إثباتِ الرّوحانية، فإنّها كائنَةٌ أيضاً، ولَكنْ كذَبوا في إنكار الجسْمانية، وكفَرُوا بالشّريعة فيما نَطقوا به.

ب) ومن ذلك قولُهم: "إن الله تعالى يَعْلَم الكُلِّيَّات دون الجُزْئيات"، وهذا أيضاً، كُفْر صريحٌ، بلِ الحقّ أنّه: "لا يَعْزُبُ عنه مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السمواتِ ولا في الأرض".[1]

ج) ومن ذلك قولُهم بقِدَم العالَم وأزَلِيَّته؛ فلم يذهبْ أحدٌ من المسلمينَ إلى شيءٍ من هذه المسائلِ.

وأمَّا ما وراءَ ذلكَ من نفيهم الصفاتِ وقولِهم إنَّه عالِم بالذَّات لا بعلم زائد على الذَّات وما يجري مجرَاه، فمذهبُهم فيها قريبٌ من مذهب المعتزلة، ولا يجبُ تكفيرُ المعتزلة بمثل ذلكَ، وقد ذكَرنا في كتابِ "فيصلُ التفرقة بين الإسلام والزندقة" ما يتبيَّن فيه، فسادُ رأيِ مَنْ يتسارعُ إلى التّكفير في كلّ ما يخالفُ مذهبَه.

5 - **وأما السِّياسيَّاتُ**، فَجميعُ كلامِهم فيهَا يَرجعُ إلى الحِكم المَصلحية المُتعلّقة بالأُمُورِ الدُّنيوية والإيالَة السّلطانية، وإنّما أخَذوهَا مِن كُتبِ اللهِ المُنَزَّلة عَلى الأنبياءِ، ومِن الحِكم المأثورَة عَن سَلَف الأنبياء.

6 - **وأمّا الخُلقيّةُ**، فجَميعُ كلامِهم فيهَا، يَرجعُ إلى حَصْرِ صفَات النّفس وأخلاقِهَا، وذكر أجنَاسهَا وأنواعهَا وكيفيّة مُعالجَتهَا ومجَاهَدتهَا، وإنّما أخَذوهَا مِن كَلام الصّوفية. وهُم المُتألّهُون المُواظبُونَ عَلى ذكرِ الله تعَالى، وَعلى مخالفة الهَوى وسُلوكِ الطريق إلى الله تعالى بالإعرَاض عَن مَلاذِّ الدُّنيَا. وقد انْكشفَ لهُم في مُجَاهدتهم من أخلاقِ النّفس وعُيوبهَا، وآفاتِ أعمالِها، مَا صرّحوا بهَا، فأخَذهَا الفلاسفةُ ومَزجُوهَا بكلامِهم، توسُّلاً بالتّجمُّلِ بهَا إلى ترويج بَاطلهم[2]، ولقد كَانَ في عَصرِهم، بَلِ في كلّ عَصرٍ، جَماعةٌ من المُتألهين، لا يُخْلي اللهُ سبحانه العالَمَ عنهُم، فإنهُم أوتادُ الأرض، ببركَاتهم تُنْزَلُ الرّحمَةُ عَلى أهْلِ الأرض، كَمَا وَرَدَ في الخبرِ حيْثُ قَالَ صَلى اللهُ عليه وسلّم: "بهم تُمطرون وبهم تُرزقُونَ ومنهُم كَانَ أصحابُ الكهف". وَكانوا في سَالف الأزمنة، عَلى ما نَطقَ به القرآنُ، فتولّدَ من مزجهم كَلامُ النّبوة وكَلامُ الصّوفية بكتبهم، آفتانِ: آفةٌ في حقّ القابلِ وآفة في حقّ الرادّ:

---

1 - سبأ، 3.

2 - ترويج باطلهم: نشرُه.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أ) أمّا الآفة التي في حقّ الرادّ، فعظيمَةٌ إذ ظنّت طائفةٌ من الضُّعفاء أنّ ذلك الكلام - إذا كان مُدوَّناً في كتبهم، ومَمزُوجاً ببَاطلهم - ينبَغي أن يُهجَر ولا يُذكَر، بَل يُنكَرُ على كلّ من يذكُره، إذ لَم يَسْمعوه أولاً إلا منهُم؛ فسَبق إلى عُقولهم الضّعيفة أنّه بَاطلٌ، لأنّ قائلَهُ مُبطلٌ، كالذي يَسمعُ من النَّصْرانيّ قولَهُ: "لا إلهَ إلاّ اللهُ عيسَى رسُولُ الله"، فَيُنْكرُه ويَقول: "هَذا كَلامُ النّصرانيّ"، وَلا يتوقفُ رَيثمَا يَتأمّل أنّ النّصْرَانيّ كَافرٌ باعْتبَار هَذا القول، أو باعتبار إنكاره نُبوَّةَ مُحَمّد عَليه الصّلاةُ وَالسّلام! فإنْ لَم يَكن كَافراً إلاّ باعتبَار إنكارِه، فَلا ينبَغي أنْ يُخالف في غَير مَا هُو به كَافرٌ ممّا هُو حقٌّ في نفسه، وإن كَانَ أيْضاً، حَقًّا عندَه. وهذه عَادةُ ضُعَفاء العُقول، يعرفون الحقّ بالرِّجَال، لا الرّجَالَ بالحَقّ. والعَاقلُ يَقتدي بسيّد العُقلاَء عَليٍّ، رضيَ اللهُ عنهُ [1] حيثُ قال: "لا تَعرف الحَقَّ بالرّجال بَل اعْرفْ الحَق تَعْرفْ أهلَه". وَ العَارفُ العَاقل يَعرفُ الحَقّ، ثمّ ينظر في نَفس القول: فإنْ كانَ حَقًّا، قبلَهُ سَواءٌ كَانَ قائلهُ مُبْطلاً أو مُحقاً؛ بَل رُبّما يَحرصُ على انتزَاع الحَقّ من أقاويل أهل الضّلال، عَالماً بأن مَعدنَ الذهَب الرَّغَامُ. وَلا بأسَ على الصَّرَّاف إن أدخَلَ يَدهُ في كيس القَلاّب، وانتزَعَ الإبريزَ [2] الخَالصَ من الزَّيْف والبَهْرَج، [3] مَهمَا كَانَ واثقاً ببصيرته؛ وإنّما يُزجَرُ عَن معامَلة القلاّب القرويّ، دُون الصَّيرفيّ البَصير، ويمنعُ من سَاحل البَحر الأخرق، دونَ السبّاح الحَاذق ويُصدُّ عَن مَسّ الحيّة الصّبيُّ دونَ المعزّم البَارع.

وَلَعَمْري! لما غَلبَ عَلى أكثر الخَلْق ظنُّهم بأنفسهم الحَذَاقةَ وَالبراعةَ، وكَمَالَ العَقل وَتَمَامَ الآلة في تَمييز الحَقّ عَن البَاطل، وَالهُدَى عَن الضّلالة، وجبَ حَسمُ البَاب في زجر الكافة عَن مُطالعة كُتُب أهْل الضّلال مَا أمْكنَ، إذ لا يَسلمونَ عَن الآفة الثانية التي سنذكُرهَا أصْلاً، وإن سلِمُوا عَن هذه الآفة التي ذكرنَاهَا.

ولَقد اعترَضَ عَلى بَعْض الكلمَات المَبثوثة في تصانيفنَا في أسرَار عُلوم الدّين، طَائفةٌ من الذينَ لم تُستحْكم في العُلوم سَرائرهُم وَلم تَنفتح إلى أقصَى غايَات المَذاهب بصَائرُهُم، وَزَعمَت أنّ تلكَ الكلمَات من كلام الأوائل، مَعَ أنّ بَعضَهَا من مُولدَات الخوَاطر وَلا يَبْعُد أن يَقعَ الحَافرُ عَلى الحَافر، وَبعضُهَا يُوجدُ في الكتب الشّرعية، وأكثرُهَا موجُودٌ مَعناه في كُتُب الصّوفية.

---

1 - الإمام علي كرم الله وجهه، هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم (تزوج ابنته فاطمة الزهراء)، و رابع الخلفاء الراشدين؛ وهو إمامٌ في الفقه والحكمة والعدل؛ اتفقت جميع الملل على فضله وله مكارم ومحاسن كثيرة.

2 - الإبريز: الذهب الخالص.

3 - البهرج: الباطل؛ يقال: لؤلؤ بهرج أي لؤلؤ مزيّف.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وهَبْ أنَّهَا لم توجَد إلا فِي كُتبهِم؛ فإذا كَانَ ذلكَ الكلامُ مَعقولاً فِي نفسِه، مؤيَّداً بالبُرهَان، وَلم يَكن عَلى مُخالفة الكِتاب وَالسّنة، فلِمَ يَنْبغِي أن يُهجَر ويُترَك؟ فلَو فتحْنَا هَذا البَابَ وَتطرّقنا إلى أن يهجرَ كلُّ حَق سَبق إليهِ خَاطِرٌ مُبطلٌ لَلزِمنَا أن نَهجُر كثيراً من الحَق، ولَزِمَنا أنْ نَهجر جُملةَ آيات مِن آياتِ القرآن وَأخبار الرّسول صَلى الله عليه وسلّم وَحكايات السّلف وَكلمَات الحُكمَاءِ وَالصّوفية، لأن صَاحبَ كتاب "إخوانُ الصّفا" أوردَها فِي كتابِه مُستشْهِداً بهَا ومُستدرجاً قلوبَ الحمقى بواسطتِها إلى بَاطله؛ ويَتداعَى ذلك إلى أن يَسْتخرج المبطلونَ الحَقَّ من أيدِينَا بإيداعِهم إيّاه فِي كُتبهِم. وأقل درَجاتِ العَالِم، أن يَتميّز عَنِ العَاميّ الغُمْر، [1] فلا يعَاف العَسَل، وَإن وَجدَهُ فِي محجَمة [2] الحجَّام ، ويَتحققُ أنّ المحجمةَ لاَ تُغيّر ذاتَ العَسَل، فإنَّ نفْرَة الطبْع عَنه مَبنيّةٌ عَلى جَهْلٍ عَاميٍّ مَنشؤهُ أنَّ المحجمَة إنمَا صُنعَت للدّم المستقذَر ، فيَظُنُّ أنّ الدّم مُستقذَر لِكونِه فِي المحْجمَة، وَلا يَدري أنّه مُستقذَر لِصفةٍ فِي ذاتِه؛ فإذا عَدمتَ هَذه الصّفةَ فِي العَسل -[بـ]كوْنِه فِي ظرفه لا يُكسبه تلك الصّفةَ - فلا ينبغِي أن يُوجب لهُ الاسْتقذار. وَهذا وَهمٌ بَاطِل، وهُو غالب عَلى أكثر الخَلْق. فإذا نسبتَ الكَلام وَأسنَدْتهُ إلى قائلٍ حَسَنَ فِيه اعتقادُهم، قبلُوه وَإن كانَ بَاطلاً؛ وإن أسنَدْتهُ إلى مَن سَاء فيه اعتقادُهم، رَدّوه وَإن كَان حَقاً. فأبداً يعرفونَ الحقَّ بالرّجَال وَلاَ يعرفونَ الرّجالَ بالحَقّ، وَهُو غَايَةُ الضَّلال. هَذه آفةُ الرَّد.

ب) والآفة الثانية آفة القَبُول، فإنَّ مَن نظَر فِي كتبهِم "كإخوَان الصّفا" وغيرها، فَرَأى مَا مَزجوه بكلامِهم مِن الحكم النّبويَّة، وَالكلمات الصّوفية، رُبمَّا استحْسنَهَا وَقبلَهَا، وحسّنَ اعتقادَه فيهَا، فيسَارع إلى قَبُول بَاطلِهم المَمزُوج بِه، لحسنِ ظنٍّ حصَل فِيما رَآه واستحْسَنَهُ، وَذلكَ نوعُ استِدراجٍ إلى البَاطِل.

وَلأجل هَذه الآفة، يَجبُ الزجرُ عَن مُطالعة كتبهِم لِمَا فِيهَا مِن الغَدر وَالخطَر. وَكَمَا يَجبُ صَونُ مَن لاَ يُحسنُ السّباحَة عَلى مَزالق الشُّطوط، يَجبُ صَونُ الخَلْق عَن مُطالعَة تِلك الكُتُب. وَكمَا يَجبُ صَونُ الصّبيَان عَن مَسّ الحَيَّات، يَجب صَونُ الأسمَاع عَن مُختلط تِلك الكَلمَات. وكمَا يَجبُ عَلى المعلّم أن لاَ يمسّ الحَيَّةَ بَين يَدَيْ وَلده الطّفل إذا عَلِمَ أنه سَيقتدِي بِه ويَظنّ أنهُ مثلُه، بَل يَجبُ عَليه أنْ يحذّرهُ مِنه، بأن يَحذر هُو فِي نفسِه وَلا يَمُسّهَا بينَ

1 - الغمر: الكثير الجهل.

2 - المحجمة :أداة تستعمل للمداواة بالأساليب التقليدية، و معروفة عند الحلاقين.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

يديْه، فكذلك يجبُ عَلى العالِم الرّاسِخ مثلُه. وَكَمَا أنّ المعزِّم الحَاذِقَ إذا أخَذ الحيّةَ ومَيّز بَين التِّرْيَاقِ [1] والسُّمِّ، وَاستخرَجَ منهَا الترياق وَأبطلَ السّم، فليسَ لهُ أن يَشحَّ بالترياق عَلى المحتاج إليه. وكذا الصَّرَّافُ الناقدُ البَصيرُ، إذا أدخَلَ يَدهُ فِي كَيس القَلاّب ، وأخرَج منهُ الإبريزَ الخَالِص، واطّرَحَ الزيفَ وَالبَهْرجَ ، فليسَ لهُ أن يَشِحَّ بالجيِّد المرضِيِّ عَلى مَن يحتاجُ إليه ؛ فكذلكَ العالِم. وكمَا أنّ المحتاجَ إلى التِّرياق، إذا اشمأزّت نفسُه منه، حَيث عَلمَ أنّه مُستخرَجٌ من الحَية التي هِي مَركز السّم، وَجَب تعريفُهُ . وَالفقير المُضطر إلى المَال، إذا نفرَ عَن قبُول الذهَب المستخرَج من كيس القلاّب، وَجب تنبيهُهُ عَلى أنّ نفرَته جَهلٌ مَحضٌ، و هُو سَببُ حرمانه من الفائدة التي هِي مطلَبُه. وتَحتَّمَ تعريفهُ [بـ]أنَّ قُربَ الجوَار بَين الزَّيف والجيِّد لا يجعَل الجيِّدَ زَيفاً، كَمَا لا يجعَل الزيفَ جيداً. فكذلكَ قُرْبُ الجِوار بين الحَقّ والبَاطل، لا يجعَل الحَقَّ باطِلاً، كَمَا لاَ يَجعَل البَاطلَ حَقاً.

فهَذا مِقدارُ مَا أرَدنا ذِكرَه مِن آفة الفلسَفة وَغائِلتهَا.

---

1 - الترياق :دواء يستعمل ضدّ السّموم؛ ومعناه في هذا السياق النبات المضاد للسموم (Antidote).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

المشكلة الجزئية الخامسة

[هل مذهبُ التعليم [1] (أو الباطنيَّة) يُرشدنا إلى الحقيقة؟]

ثمَّ إنِّي لمَّا فرغْتُ من عِلم الفلسفةِ وتحصيلِه وتفهُّمه وتزييف ما يُزَيَّفُ منْه، علِمْتُ أنَّ ذلكَ أيضاً، غيرُ وافٍ بكمالِ الغرَض، وأنَّ العقلَ ليس مسْتقلاً بالإحاطةِ بجميعِ المطالب، ولا كاشفاً للغطاءِ عن جميعِ المُعضِلات. وكانَ قد نبَغتْ نابغةُ التعليميَّة، وشاعَ بين الخَلقِ تحدُّثُهم بمعرفةِ معنَى الأمورِ من جهةِ الإمامِ المعصومِ القائمِ بالحقِّ، فعنَّ لي أن أبحثَ عن مقالاتِهم، لأطَّلعَ على ما في كِناناتهم. ثمَّ اتّفقَ أن ورَد عليَّ أمْرٌ جازِمٌ من حَضْرةِ الخلافة، بتَصنيفِ كتابٍ يَكشف عن حقيقةِ مذْهبِهم. فلم يَسَعْني مُدافعَتُه وصارَ ذلك مستحَثاً من خارجٍ - ضَميمَةً للباعثِ الأصليِّ منَ الباطن - فابتدأتُ بطلبِ كتُبهم وجَمْعِ مقالاتِهم. وكان قد بَلغني بعْضُ كلماتِهم المستحدَثة التِّي ولدتْها خواطرُ أهلِ العَصر، لا على المنهاجِ المعهودِ من سلَفِهم، فجمعتُ تلكَ الكلمَات، ورتَّبْتُها ترتيباً مُحكماً مقارَناً للتَّحقيق، واستوفيتُ الجوابَ عنها، حتى أنكرَ عليَّ بعضُ أهلِ الحقِّ مبالغتِي في تقرير حُجَّتهم؛ فقال: "هذا سعيٌ لهم، فإنَّهم كانوا يعْجزونَ عن نُصرةِ مذهَبهم بمثلِ هذه الشبُهات لوْلا تحقيقُكَ لها، وترتيبكَ إيَّاها". وهذا الإنكارُ من وجهٍ حقٌّ، فقد أنكرَ أحمدُ بنُ حَنْبَلَ على الحارثِ المُحاسبي، تَصنيفَهُ في الرّدِ على المعتزلة؛ فقال الحارثُ: "الرّدُّ على البدعةِ فرضٌ"، فقال أحمدُ: "نعم، ولكن حكيْتُ شُبهَتَهُم أوَّلاً، ثمَّ أجبْتُ عنْها؛ فبِمَ تأمَنُ أنْ يُطالعَ الشُّبهَةَ مَن يعلَّقُ ذلك بفهمِه، ولا يَلتفِتُ إلى الجوابِ، أو يَنظُرُ في الجوابِ ولا يفهمُ كُنْهَهُ؟".

وما ذكرَه أحمدُ بنُ حَنبَلَ حقٌّ، ولكنْ في شُبهةٍ لم تنتشِرْ ولم تَشتهِر. فأمَّا إذا انتشرَتْ، فالجوابُ عنها واجبٌ، ولا يمكن الجوابُ عنها إلاَّ بَعْدَ الحكايةِ. نعم، يَنبغي ألا يُتكلَّفَ لهم شُبْهَةٌ لم [يَتكلَّفوها]؛ ولم أتكلَّفْ أنا ذلكَ، بل كنتُ قد سمِعتُ تلك الشُّبْهةَ من واحدٍ من أصحابي المختلفينَ إليَّ بعد أن كان قد الْتحَقَ بهم؛ وانتحلَ مذهبَهم، وحكَى أنَّهُم يضحَكونَ على تصانيفِ المُصَنِّفينَ في الرّدِ عليْهم، بأنَّهم لم يفهمُوا بعدُ حُجَّتَهم. ثم ذكرَ تلكَ الحُجَّةَ وحكاهَا عنهُم، فلَم أرضَ لنفسي أنْ يُظنَّ بي الغفْلةُ عن أصْلِ حُجَّتِهم، فلِذلك أوَردْتُها، ولا أن يُظنَّ بي أنِّي - و إنْ سمعتُها - لم أفهَمْها؛ فلذلك قرَّرْتُها.

---

1 - مذهب التعليم هو عند الغزالي مذهب الباطنية.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

والمقصودُ، [هو] أنِّي قررْتُ شبْهَتَهم إلى أقصَى الإمكَانِ، ثمَّ أظهرْتُ فسَادَها بغايةِ البُرهانِ.

* والحاصلُ أنَّه لا حاصلَ عند هؤلاءِ، ولا طائلَ لكلامِهم. ولولاَ سُوءُ نَصْرَةِ الصَّديقِ الجَاهلِ، لَما انتهَتْ تلكَ البدعَةُ - مَع ضُعفِها - إلى هَذِه الدَّرَجَة؛ ولكِنْ شدّةُ التعَصُّب، دَعَتِ الذَّابِّينَ عَن الحَقّ إلى تطْويلِ النِّزاع مَعهُم فِي مُقدّماتِ كلامِهم، وَإلى مُجاحَدتهم فِي كلِّ مَا نَطَقُوا به، فجَاحدوهُم فِي دَعْواهُم الحاجَةَ إلى التّعليم وَالمعلِّم، وَفِي دَعْواهُم أنّه: "لاَ يَصلُحُ كلُّ مُعلِّم، بَل لا بُدّ من مُعلِّم مَعصُوم". وَظهَرَت حُجّتُهم فِي إظهَارِ الحَاجة إلى التّعليم وَالمعلِّم، وَضَعُفَ قولُ المُنكرين فِي مُقابَلتِه، فاغْترَّ بذلك، جَماعةٌ وَظَنّوا أنّ ذلك من قُوّة مَذهَبِهم وَضُعْف مَذهَبِ المُخالفين لهم؛ وَلَم يَفهَمُوا أنّ ذلك لضُعْف ناصِرِ الحَقِّ وَجَهْله بطَريقه ؛ بَل الصّوابُ الاعترافُ بالحَاجَة إلى المُعلِّم، وَأنّهُ لا بُدَّ وَأنْ يكونَ المعلِّمُ معصُوماً، ولَكنَّ مُعلِّمَنا المَعصُومَ هُو مُحمّدٌ صَلى الله عليهِ وسَلّم. فإذا قالُوا: "هُو مَيِّتٌ"، فنقولُ: "ومُعلِّمُكم غَائبٌ"؛ فإذا قالُوا: "مُعلِّمُنا قد عَلَّمَ الدُّعَاةَ وبَثَّهُم فِي البلاد، وهُو يَنتظرُ مُراجعَتَهُم إنِ اخْتلفُوا أو أَشْكَلَ عَليهم مُشْكِلٌ"، فنقولُ: "وَمعلِّمُنَا قدْ علَّمَ الدُّعَاةَ وَبثَّهُم فِي البلادِ وَأكمَلَ التّعليمَ إذ قال اللهُ تعَالى: "اليَومَ أكمَلتُ لكُمْ دِينَكُم [وأَتْمَمْتُ عليكمْ نعمتي]". [1] وبَعد كَمَال التّعليم، لا يَضُرُّ مَوتُ المُعلّم كمَا لاَ تَضُرُّ غيبَتُهُ. *

فبَقي قولُهم: "كيفَ تحكمُون فيما لَم تسمَعُوه؟ أَبالنّصِّ وَلم تسْمعُوه، أم بالاجتهاد والرّأي وَهو مَظنَّةُ [2] الخلاف؟ فنقولُ: "نفعَل مَا فعَلهُ مُعَاذٌ إذ بَعَثه رَسُولُ الله عليهِ الصّلاةُ وَالسّلام إلى اليَمَن: أنْ نَحكُم بالنّص، عندَ وجُودِ النّص وبالاجتهَادِ عندَ عَدَمِه؛ [3] بَل كمَا يَفعله دُعَاتُهم إذا بَعَدوا عَن الإمَام إلى أقاصِي البلادِ إذ لا يمكنه أن يَحْكمَ بالنّص. فإنّ النّصوصَ المُتناهيةَ لا تَستوعِب الوَقائعَ غيرَ المتناهية، وَلاَ يمكنُه الرّجُوعُ فِي كلّ وَاقعة إلى بَلدَة الإمَام، وإلى أنْ يَقطع المَسافة وَيرجعَ فيَكونُ المُستفتي قد مَاتَ، وفاتَ الانتفاعُ بالرّجُوع. فمَن أشكلَت عَليه القبلَةُ ليسَ لهُ طريقٌ إلا أنْ يُصَلّي بالاجتهَاد، إذ لَو سَافرَ إلى بَلدَة الإمَام لمعرفة القبلة، فيفوتُ وَقتُ الصّلاة. فإذنْ، جَازَت الصّلاةُ إلى غيْرِ القبلة بنَاءً عَلى الظّنّ. وَيقال: "إنّ المُخطئَ فِي الاجتهَاد لهُ أجرٌ واحدٌ وللمُصيب أجرَان". [4] فكذلك فِي

---

1 - المائدة، 3.

2 - مظنة: موضع؛ يقال: في المسالة مظنة اعتراض اي موضع اعتراض.

3 - رواه أبو دواد والترمذي وأحمد.

4 - رواية كل الصحاح.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

جميع المجتهَدات، وكذلك أمر صَرف الزّكاة إلى الفقير؛ فرُبَّما يَظُنُّه فقيراً باجتهاده، وهُو غنيّ بَاطناً بإخفائه مَاله، فلا يَكونُ مؤاخَذاً به وإن أخطأ، لأنّه لَم يُؤاخَذْ إلاّ بمُوجب ظنّه. فإنْ قال: "ظَنُّ مُخالفه كَظنّه"، فأقولُ: "هُو مَأمورٌ باتّباع ظنّ نفسه، كالمُجتهد في القبلة يَتْبع ظنَّ نفْسه، وإن خَالفه غيرُه"؛ فإنْ قال: فالمقلِّد يتْبَعُ أبَا حَنيفةَ أو الشّافعيَّ رحِمَهُمَا اللهُ، أم غَيرَهُمَا؟ فأقولُ: "فالمقلِّدُ في القبلة عنْدَ الاشتبَاه، إذا اختلفَ عَليه المُجتهدونَ كيف يَصنَع؟ فسَيَقولُ: "لَه مَع نفسه اجتهَادٌ في مَعرفته الأفضَلَ الأعلَمَ بدَلائل القبلة، فيتبَع ذلك الاجتهَادَ؛ فكذلك في المذاهب".

فردُّ الخلق إلى الاجتهاد [هو] ضرُورةُ الأنبياء وَالأئمّة، معَ العلْم بأنّهم قد يُخطئون، بَل قالَ رَسُولُ الله صَلى اللهُ عَليه وسَلّم: "أنَا أحْكُمُ بالظّاهر، وَالله يَتولّى السّرَائرَ"؛ [1] أي أنَا أحْكم بغالب الظنّ الحَاصل من قَوْل الشُّهود، وربّما أخطأوا فيه. وَلا سَبيلَ إلى الأمن من الخطأ للأنبيَاء، في مثل هَذه المجتهَدات، فكيفَ يُطمَع في ذلك؟

وَلَهم هَا هُنا سُؤالان: أحدُهُما قولُهم: "هَذا وَإن صَحّ في المجتهَدات فلا يَصحّ في قواعد العَقائد، إذ المُخطئُ فيه غيرُ مَعْذُور، فكيفَ السّبيلُ إليه؟"؛ فأقولُ: "قواعدُ العَقائد يَشتمل عَليهَا الكتابُ والسّنةُ؛ ومَا وَرَاء ذلك من التفصيل وَالمتنازَع فيه، يُعرَفُ الحَقُّ فيه بالوزْن بالقسطَاس المُستقيم. وَهي المَوازينُ التي ذكرهَا اللهُ تعَالى في كتابه، وهي خمسَةٌ، ذكرتُهَا في كتاب "القسطَاسُ المُستقيمُ". فإن قالَ: "خُصومُكَ يخَالفونَكَ في ذلك الميزَان"؛ فأقولُ: "لا يُتصَوَّرُ أن يُفهَمَ ذلك الميزَانُ ثم يُخالَفُ فيه، إذ لا يُخالفُ فيه أهلُ التّعليم، لأنّي استخرَجتُه من القرآن وتعلّمتهُ منهُ، وَلا يخالفُ فيه أهلُ المَنطق، لأنّه مُوافق لمَا شرَطوهُ في المَنطق، وَغيرُ مُخالف لهُ. ولا يُخالف فيه المُتكلّمُ لأنه مُوافقٌ لما يَذكُرُه في أدلّة النّظريَات، وبه يُعرَفُ الحقُّ في الكَلاميَّات. فإنْ قالَ: "فإن كَان في يَدك مثلُ هَذا الميزان، فلِمَ لا ترفع الخلاف بَين الخلق؟"؛ فأقولُ: "لَو أصْغوا إليَّ لرفعتُ الخلافَ بَينهُم؛ و[لقد] ذكرتُ طريقَ رفع الخلاف في كتاب "القسطَاسُ المُستقيمُ"، فتأمَّلْه لتَعْلَمَ أنّه حَقٌّ؛ وَأنهُ يَرفع الخلافَ قطعاً، لو أصغَوْا، وَلا يصغَوْنَ إليه بأجمَعهم! بَل قد أصْغى إليّ طائفةٌ. فرَفعتُ الخلافَ بينهُم، وإمامُك يُريدُ رفعَ الخلاف بينهُم مَع عَدم إصغائهم، فلِمَ لم يُرفَعْ إلى الآن؟ ولِمَ لَمْ يَرفع عَليٌّ رَضي اللهُ عَنه، وَهُو رَأس الأئمّة؟ أو يَدّعي أنّه يَقْدرُ عَلى حَمل كافّتهم عَلى الإصْغاء قهراً، فلِمَ لم يَحملْهُم إلى الآن؟ ولأيّ يوم أجله؟ وهَل حَصل بَين الخلق بسَبَب دَعوَته إلا زِيادَةُ

1 - قال الحافظ العراقي والحافظ المزي: لا أصل له.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

خلاَف وزيادةُ مخالفٍ؟ نعَم كانَ يُخشى مِن الخِلافِ نوعٌ من الضَّرر لاَ يَنتهي إلى سَفْك الدِّمَاء، وَتخريب البلاَد وَإيتام الأولاد، وَقطع الطُّرُق، وَالإغارَة عَلى الأموَال. وَقد حَدَثَ في العَالَم من بَركات رَفْعكُم الخلاَفَ من الخلاَف مَا لَم يَكنْ بمثله عَهدٌ". فإن قالَ: "ادَّعَيْتَ أنّك تَرْفَعُ الخلافَ بَين الخلْق وَلكنَّ المتحَيّرَ بَينَ المَذاهب المتعَارضَة، وَالاختلافات المتقابلَة، لَم يُلزمْهُ الإصْغاءُ إليكَ دُون خَصمكَ، وَأكثرُ الخصُوم يُخالفونكَ، وَلا فَرْقَ بينكَ وَبينهُم". وَهَذا هُو سُؤالهُم الثاني، فأقول: "هَذا أوَّلاً، يَنقلب عَليكَ، فإنّك إذا دَعوتَ هَذا المُتحيِّرَ إلى نفسكَ، فيقولُ المُتحيِّرُ: بمَ صرتَ أَوْلَى مِن مُخالفيكَ، وَأكثرُ أهل العلم يُخالفونَك؟ فلَيْتَ شعْري! بماذا تُجيبُ؟ أتُجيبُ بأنْ تقول: إمَامي مَنصوصٌ عليه؟ فمَنْ يُصَدّقُكَ في دَعوى النَصّ، وهُو لَم يَسمَع النصَّ من الرّسول؟ وإنما يَسمَعُ دَعْواك مَع تطابُق أهْل العلم عَلى اختراعك وتكذيبك. ثم هبْ أنّه سَلّم لكَ النّصَّ، فإن كَان مُتحيِّرا في أصْل النّبُوَّة، فقال: «هَبْ أنَّ إمَامَكَ يُدلي بمُعجزة عيسى عَليه السّلام، فيقول: الدّليلُ عَلى صدقي أنّي أُحيي أبَاك، فأحيَاه، فناطقني بأنّه مُحقّ، فبمَاذا أعلَم صدقَهُ؟». ولم يَعلَمْ كَافّةُ الخَلْق صدق عيسى عَليه السّلام بهَذه المُعجزة، بَل عَليه من الأسئلة المُشْكلَة مَا لا يَدْفَعُ إلاّ بدقيق النّظر العَقلي؛ والنّظرُ العَقليُّ لاَ يُوثَق به عندَك، ولا يَعرف دَلالةَ المُعجزة عَلى الصّدق، مَا لَم يَعرف السِّحرَ وَالتمييزَ بَينه وَبينَ المُعجزَة، ومَا لَم يَعرف أنّ اللهَ لاَ يُضلّ عبادَه. وَسؤالُ الإضْلال وَعُسرُ تحرير الجَواب عَنه مَشهورٌ، فبمَاذا تَدفع جَميع ذلك؟ وَلم يَكن إمَامُك أولَى بالمُتابَعة من مخالفه، فيَرجعُ إلى الأدلّة النّظرية التي يُنكرهَا، وَخصمُه يُدلي بمثل تلك الأدلّة وأوضحَ منها. وَهَذا السّؤال قد انقلبَ عَليهم انقلاباً عَظيمًا، لَو اجتمَع أوّلُهُم وَآخرُهُم عَلى أن يُجيبوا عَنه جَواباً، لَم يَقدِروا عَليه.

وَإنّما نَشأ الفسَادُ من جَماعة من الضَّعَفة ناظروهُم، فلَم يَشْتغلوا بالقلب بَل بالجَواب، وَذلك مِمّا يَطولُ فيه الكلامُ؛ وَمَا لاَ يَسْبق سَريعاً إلى الإفهَام، فلا يصلُح للإفْحام. فإنْ قالَ قائلٌ: فهَذا هُو القلبُ، فهَل عَنه جَوابٌ؟ فأقول: نعَم! جَوَابُه أنّ المُتحيِّرَ لو قالَ: أنَا مُتحيِّرٌ، وَلَم يُعيّن المَسألةَ التي هُو مُتحيّر فيها، يُقالُ له: أنتَ كَمَريض يَقول: أنَا مَريضٌ وَلاَ يُعيّن مَرَضه وَيطلب علاجَه، فيقالُ له ليس في الوُجود علاجٌ للمرض المُطلق، بل لمرض معيَّن: من صُداع أو إسْهال أو غيرهما. فكذلك المتحيِّرُ ينبغي أن يُعيّن ما هو متحيِّر فيه، فإنْ عيَّنَ المسألةَ عَرَّفْتُه الحقَّ فيها بالوزْن بالموازين الخَمْسَة التي لا يفهمُها أحدٌ إلاّ ويعترفُ بأنّه الميزانُ الحقُّ الذي يوثَقُ بكل مَا يُوزن به، فيفهَم الميزانَ وَيفهم منه أيضاً، صحّةَ الوزْن كمَا يَفهم مُتعلّمُ علْم الحسَاب نفسَ الحسَاب، وَكوْنَ المحاسب المعلّم عَالماً بالحسَاب وَصَادقاً فيه. وَقد أوضحتُ ذلك في كِتاب "القسطاسُ المستقيمُ" في مقدار عشرين وَرقةً؛ فليُتأمّلْ.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وَليسَ المَقصُودُ الآنَ، بَيَانَ فسَاد مَذهبهم ؛ فقد ذكَرتُ ذلك في كتاب "المُستظْهري" [1] أولاً؛ وَفي كتاب "حُجَّةُ الحقِّ" ثانياً، وَهُوَ جوابَ كَلام لهم، عُرِض عَليَّ ببَغدَاد؛ وَفي كتاب "مُفَصَّلُ الخِلاَفُ" الذي هُو إثنَا عَشَرَ فصلاً ثالثا، وَهو جَوابُ كَلام عُرِضَ عَلي بَهَمَذانَ؛ وَفي كتاب "الدَّرجُ المَرقومُ بالجدَاول" رَابعاً، وَهو من رَكيك كَلامهم الذي عُرِضَ عَليَّ بطُوس؛ وَفي كتاب "القسطاسُ المستقيمُ" خامساً، وَهُو كتابٌ مُستَقِلٌ، مَقصودُهُ بَيانُ ميزان العُلوم وَإظهَار الاسْتغناء عَن الإمَام المَعْصوم لِمَنْ أحَاط به؛ بَل المَقصودُ أنَّ هَؤلاء لَيس مَعهم شيءٌ من الشفاء المُنْجي من ظُلمَات الآرَاء، بَل هم مَعَ عَجزِهم عَن إقامَة البُرهَان عَلى تعْيين الإمَام، طالَمَا جَارَيْناهُم فصَدّقناهُم في الحَاجة إلى التّعليم وَإلى المُعلم المَعصُوم. وَأنّه الذي عَيَّنوهُ ثم سَألْناهُم عَن العلم الذي تعَلّموه من هَذا المَعصُوم، وَعَرضنَا عَليهم إشكالات، فلَم يَفهمُوهَا فضلاً عَن القيام بحَلّها! فلمّا عَجزُوا، أحَالوا عَلى الإمَام الغائب وَقالوا : إنّه لا بُد من السّفر إليه. وَالعَجبُ أنّهُم ضيّعُوا عُمُرَهُم في طَلب المُعلّم وَفي التّبجُّح بالظَفَر به؛ ولم يَتعلّمُوا منه شَيئاً أصْلاً كالمتضَمِّخ [2] بالنّجاسَة يَتعبُ في طَلب المَاء، حَتى إذا وَجده لم يَسْتعملهُ وبَقِيَ مُتَضَمِّخاً بالخَبَائث.

وَمنهم مَن ادّعى شيئاً من علْمهم، فكانَ حَاصلُ مَا ذكَره شيئاً من رَكيك فلسَفة فيثاغورس، وَهو رَجلٌ من قدَماء الأوَائل وَمَذهبُه أرَكُ مَذاهب الفلسَفة؛ وَقد رَدَّ عَليه أرسْطاطاليس، بَل اسْتَرَكَّ كلامَه وَاستَرْذَلَه وهُو المَحْكيُّ في كتاب "إخوان الصّفا"، وَهُو عَلى التّحْقيق حَشْوُ الفَلسَفة.

فالعَجب مِمَّن يَتعب طُول العُمُر في طلَب العِلم ثم يَقْنَعُ بمثل ذلك العلم الرّكيك المستغَثّ، وَيظنُّ بأنّه ظفرَ بأقصَى مَقاصد العُلوم، فهَؤلاء أيْضاً، جَرَّبْناهُم وسَبَرْنا ظاهرَهُم وبَاطنَهُم، فرَجع حَاصلهُم إلى استدرَاج العوامّ وضُعفاء العُقول ببيَان الحَاجَة إلى المُعلّم ومجَادلتهم في إنكارهم الحاجةَ إلى التّعْليم بكلام قَويٍّ مُفْحِم، حَتى إذا سَاعَدهم عَلى الحَاجة إلى المُعلم مسَاعدٌ، وَقال هَات علمَه، وَأفدنَا مِن تعليمه، وَقف وَقال : الآنَ إذا سلّمْتَ لي هَذا فاطْلُبْه؛ فإنما غَرَضي هَذا القَدْرَ فقط، إذ عَلِم أنّه لَو زَادَ عَلى ذلك، لافْتضح وَلعَجز عَن حَل أدنَى الإشكالات؛ بَل عَجزَ عَن فهمه فضلاً عَن جَوابه.

فهَذه حَقيقة حَالهم، فأَخْبرْهم تَقلُهم، [3] فلمّا خَبرْنَاهم [4] نَفَضْنَا اليَدَ عَنهم أيضاً .

---

1 - الفه تلبية لرغبة الخليفة المستظهر، و ذكر فيه عقائد الباطنية و رايهم في الإمام المعصوم، و شهّر بانزلاقاتهم؛ ويسمى أيضا، بفضائح الباطنية.

2 - التضمخ : التلطخ.

3 - اخبرهم : امتحنهم ؛ وتقلهم : تبغضهم.

4 - في نسخ أخرى : جرّبناهم.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المشكلة الجزئية السادسة

[هل التصوُّف يُرشدنا إلى الحقيقة؟
وإذا كانت الحقيقةُ بجانب أهله، فما السبيلُ إليها؟]

* ثمّ إني، لَمَّا فَرَغْتُ من هَذه العُلوم، أَقْبَلتُ بِهِمَّتي عَلى طَريقِ الصّوفية، وَعلمتُ أنّ طريقتَهُم إنّما تتمّ بعلم وَعَمَل؛ وَكانَ حَاصلُ عُلومِهم قَطْعَ عَقَباتِ النَّفْس وَالتَّنَزُّهَ عَن أخلاقِها المَذمُومَة وَصِفاتِها الخَبيثَةِ حَتى يُتوَصَّلَ بهَا إلى تَخْلِيَةِ القَلبِ عَن غَيْرِ اللهِ تعَالى، وَتَحْلِيَتِه [1] بذكرِ اللهِ.

وكانَ العِلمُ أيسَرَ عَليَّ مِن العَمل. فابْتدَأْتُ بتَحصيلِ عِلْمِهِمْ من مُطالعة كُتُبهم مِثْلِ "قُوت القلوب" لأبي طَالِب المَكيِّ رحمه الله، وكُتُبِ الحَارِث المُحاسبيّ وَالمُتَفرِّقاتِ المأثورَةِ عَن الجُنَيْدِ وَالشِّبْلِي وَ أبي يَزيدِ البُسطَاميّ [2] - قَدَّس اللهُ أرواحَهم - وَغيرِهم من المَشايخ حَتى اطَّلعتُ عَلى كُنْهِ مَقاصِدهم العِلميَّة، وحَصَلتُ مَا يُمكن أن يَحصُلَ من طريقهم بالتعلُّم وَالسَّماع. فظهرَ لِي أن أخَصَّ خَواصِّهم، مَا لاَ يُمكنُ الوصُولُ إليه بالتعَلم، بَل بالذَّوْقِ وَالحَالِ وتبدُّلِ الصِّفاتِ.

وكَم من الفَرْق بَين أن تَعْلَمَ حدَّ الصّحة وحَدَّ الشَّبَع وَأسبَابَهمَا وَشُروطَهمَا، وبَين أن تكُونَ صَحيحاً وشَبْعَانَ؟ وَبَين أنْ تعرفَ حَدَّ السُّكْر، وأنّه عبارةٌ عَن حَالة تحصُلُ من استيلاءِ أبْخرة تتصَاعَدُ من المَعدَة عَلى مَعَادنِ الفكْر، وَبَين أن تكونَ سَكْرانَ! بَلِ السَّكرانُ لاَ يَعرفُ حدَّ السُّكْر وعلمَه وهُو سَكْرانُ، وَمَا مَعَه من علمه شَيءٌ! وَالصَّاحي يَعرفُ حَدَّ السُّكْرِ وأركانَه ومَا مَعَه من السُّكْر شيءٌ. [3] وَالطبيبُ فِي حَالة المَرَض يعرفُ حدَّ الصّحة وأسبَابَها وَأدْوِيَتَها، وَهُو فاقدُ الصِّحّة . فكذلك فرقٌ بَين أن تعْرفَ حَقيقةَ الزُّهْدِ وَشُروطَهُ وَأسبَابَه، وَبَيْنَ أنْ تكونَ حَالُكَ الزّهدَ وَعُزوفَ النّفْسِ عَن الدُّنيَا!

---

1 - التخلية والتحلية هما من أحوال الصوفية؛ الأولى هي التخلي عما سوى الله، والثانية هي التحلي بالتوكل. ومن الصوفية من يتكلم عن "التجلية" وهي اجتماع التخلي والتحلي؛ وهذه مرحلة يسكت عن التفصيل فيها، كثير منهم لأنها قضية شخصية وحميمة.

2 - هؤلاء من الصوفية: طالب المكي (ت. 996م.)؛ الحارث المحاسبي (ت. 857م.)؛ الجنيد (ت. 920م.)؛ الشبلي (ت.945م.)؛ البسطامي (ت. 875 أو 877م.).

3 - و ما معه: أي و هو ليس في حالة سكر.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

فعَلمتُ يَقيناً أنّهم أربَابُ الأحوَال، لا أصحَابُ الأقْوَالِ، وَأنّ مَا يُمكنُ تحصيلُه بطَريق العلم، فقد حصَّلتُه. ولم يبقَ إلاّ مَا لاَ سَبيلَ إليه بالسَّمَاع والتعَلّم، بَل بالذَّوْق وَالسُّلُوك. وَكَان قد حصَل مَعي - مِن العُلوم التي مَارَسْتُهَا وَالمَسَالِك التي سَلَكْتُهَا في التَّفْتيش عَن صِنْفَي العُلوم الشَّرْعيَّة وَالعَقلية - إيمانٌ يقينيٌّ بالله تعالى وبالنُّبُوَّة وباليَوْم الآخِر.*

فهذه الأُصُولُ الثلاثةُ من الإيمَان، كانت قد رَسَخت في نفسي، لاَ بدليل مُعيَّن مُحرَّر بَل بأسبَابٍ وَقرَائنَ وتجَاربَ لاَ تدخُل تحتَ الحَصر تفاصيلُهَا.

وَكَانَ قد ظهَر عندي، أنّه لاَ مَطمَعَ لِي في سَعَادة الآخرة إلاّ بالتقوَى وَكفّ النفس عَن الهَوى، وَأنّ رأسَ ذلك كلِّه، قطعُ عَلاقة القلب عَن الدّنيا بالتَّجافي عَن دَار الغرُور، والإنابَةُ إلى دَار الخُلودِ والإقبَالُ بكُنْه الهمَّة عَلى الله تعَالى؛ وَأن ذلك لا يَتم إلا بالإعرَاض عَن الجَاه والمال، وَالهَربِ مِن الشّواغِل وَالعَلائق.

ثم لاحَظتُ أحوَالي، فإذا أنَا مُنغمِسٌ في العَلائق، وَقد أحْدَقتْ بي من الجَوانب، وَلاَحَظتُ أعمَالي - وَأحسنُها التّدريسُ وَالتّعليمُ - فإذا أنا فيهَا مُقبلٌ عَلى علُومٍ غيرِ مُهمةٍ وَلا نَافعة في طريق الآخرَة.

ثم تفكّرتُ في نيَّتي في التّدريس، فإذا هي غيرُ خَالصة لوجه الله تعَالى، بَل بَاعثُها وَمُحرّكُهَا طَلبُ الجَاه وَانتشارُ الصّيت؛ فتيَقّنْتُ أني عَلى "شَفَا جُرُفٍ هَارٍ" [1] وَأني قد أشْفَيْتُ [2] عَلى النّار إن لَم أَشْتَغِلْ بتَلافِي الأحوَال.

فلَم أَزَلْ أتفكّرُ فيه مُدَّةً، وأنَا بَعدُ عَلى مَقام الاختيار، أُصمّمُ العَزم عَلى الخُروج مِن بَغداد، وَمُفارقة تلك الأحْوال يوماً، وأَحُلُّ العَزمَ يوماً، وأقدِّم فيه رِجْلاً وأؤخّر عَنه أخرى، لا تَصدُقُ لي رَغبةٌ في طَلب الآخرَة بُكْرَةً، إلاّ وَيحمل عَليها جُنْدُ الشّهوَة حَمْلَةً، فيَفتُرهَا عَشيَّةً، فصَارَت شَهواتُ الدّنيا تُجاذبُني بسَلاسلهَا إلى المَقام ومُنادي الإيمَان ينادي: الرّحيلُ! الرّحيلُ! فلَم يَبق من العُمُر إلاّ قليلٌ، وَبين يَديْك السَّفرُ الطّويل؛ وَجَميعُ مَا أنتَ فيه من العلم وَالعَمل رِيَاءٌ وتخييلٌ . فإنْ لَم تَسْتَعدَّ الآنَ للآخرة فمَتى تستعدُّ؟ وإن لم تقطَع الآنَ هذه العَلائقَ، فمَتى تقطعُ؟ فعند ذلك، تنبعث الدّاعيةُ ويَنجزمُ العزمُ عَلى الهَرَب وَالفرَار.

---

1 - التوبة، 109.

2 - أشفيت أي أشرفت على...

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ثم يَعود الشّيطانُ وَيَقول: هَذه حَالٌ عَارضَة؛ إيّاك أن تطاوعَها، فإنّها سَريعَةُ الزّوال؛ فإنْ أذْعنتَ لهَا وَتركتَ هَذا الجَاهَ العَريضَ وَالشأنَ المَنظوم الخَالي عَنِ التّكدير وَالتنغيص وَالأمْرَ المسلَّمَ الصّافي عَن مُنَازعَة الخُصوم، رُبّما الْتفتتْ إليهِ نفسُك، وَلا يتيسّرُ لكَ المعَاوَدَة.

فلم أزَلْ أتردّدُ بينَ تجَاذُبِ شهَواتِ الدّنيا، ودَواعِي الآخرَة قريباً من ستة أشهُر؛ أوّلُها: رَجَبُ سَنةَ ثمَان وثمَانين وأربعمَائة. وَفي هَذا الشّهر [1] جَاوَز الأمرُ حَدَّ الاختيار إلى الاضطِرَار، إذ أقْفَلَ اللهُ عَلى لِساني حَتى اعتقلَ عَنِ التّدريس. فكُنتُ أجَاهد نفسِي أن أُدرّس يَوماً وَاحداً تطييباً لقلُوب المختلفين [2] إليَّ فكَان لاَ يَنطَق لِسَاني بَكلمة واحِدة ولا أستطيعُها البَتّةَ، حَتى أُورثتُ هَذه العَقْلَةُ [3] فِي اللّسَان حُزْنًا فِي القلْب، بَطلَت مَعه قُوّةُ الهَضم وَمَراءةُ الطّعَام وَالشّراب؛ فكانَ لا يَنسَاغ لِي ثريدٌ [4] وَلا تنهَضِم لِي لُقمَةٌ؛ وَتعَدّى إلى ضَعْف القُوى حَتى قطعَ الأطبّاءُ طمَعَهم مِن العِلاج وَقالوا: "هَذا أمرٌ نَزَل بالقلبِ وَمِنه سَرى إلى المِزَاج؛ فلاَ سَبيلَ إليهِ بالعِلاج إلا بأن يتروَّحَ السرُّ عَن الهَمِّ المُلِمِّ".

ثم لَمّا أحسَسْتُ بعَجزي، وسَقَط بالكلّية اختياري، الْتجَأت إلى الله تعَالى الْتجَاءَ المُضْطَرّ الذي لاَ حيلةَ لَه؛ فأجَابني الذي "يُجيب المُضطرَّ إذا دَعَاه"، وَسهّلَ عَلى قلبي الإعراضَ عَن الجَاه والمَال وَالأهل وَالوَلد وَالأصحَاب؛ وَأظهرتُ عَزمَ الخروج إلى مَكةَ، وأنا أدبّرُ فِي نفسي، سَفَرَ الشّام حَذراً أن يَطّلعَ الخَليفةُ وَجُملةُ الأصحَاب عَلى عَزْمي عَلى المُقام فِي الشّام؛ فتلطّفْتُ بلطائف الحيَل فِي الخرُوج مِن بغدَادَ عَلى عَزْم أنْ لاَ أعَاودَها أبَداً؛ واستهدَفتُ لأئمّة أهل العِراق كافّةً، إذ لم يَكن فِيهم مَن يُجوِّز أن يَكونَ للإعرَاض عمّا كنتُ فيه، سببٌ دينيٌّ إذ ظَنّوا أنّ ذلك هُو المَنصبُ الأعْلى فِي الدّين، وَكَان ذلك مَبلَغهم مِن العِلم.

ثم ارتبَكَ النّاسُ فِي الاستنبَاطات، وَظنّ مَن بعُد عَن العِرَاق، أنّ ذلك كَان لاستشعَارٍ من جهَة الوُلاّة؛ فكان يشَاهد إلحَاحَهُم فِي التّعلّق بي، وَالانكِبَاب عَليَّ وإعرَاضِي عَنهم،

---

1 - هذه هي قمة الأزمة الروحية عنده. وسببُها هو الخوف من الهلاك الأُخروي كما قال عبد الغافر الفارسي: "فُتح عليه باب من أبواب الخوف". ولعل من الأسباب التي أدت إلى هذه الأزمة هو دراسة كتب الصوفيين وسيرهم. وفي هذه الفترة الزمنية، يذكر ابن كثير أن عالماً دخل بغداد، ودرس في النّاظمية وعلى يديه تاب كثيرٌ من العباد ورجعوا إلى الله وكثير منهم من زهد في الدنيا وتنسّك. انظر فيما كتبه مصطفى محمود أبو صوى عن هذه الأزمة. والجدير بالذكر أن هذه الأزمة – كما مرّ بنا - هي غير (فترة الشك) التي عانى منها، وذكرها في فصل مداخل السفسطة وجحد العلوم.

2 - أي المتهافتين عليّ.

3 - العقلة في اللسان: حبسة اللسان؛ وهي شبيهة بفقدان القدرة على الكلام (Anarthrie).

4 - الثريد: الخبز المبلل بالورق؛ و هو في بعض المناطق عندنا، أوراق رقيقة من السميد والزيت تطهى فوق "المثردة".

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وَعَن الالْتفات إلى قولِهم، فيقولُون: "هَذا أمرٌ سَماويٌّ، وَليس لهُ سَببٌ إلاّ عَينٌ أصَابَت أهلَ الإسْلام وَزُمْرَةَ أهلِ العِلم".

ففارَقتُ بغدَادَ، وَفرّقْتُ مَا كَان مَعي مِن المَال، وَلم أُذخّر [1] إلا قدْرَ الكَفاف [2] وَقُوتَ الأطفال ترخُّصاً بأنّ مَال العِراق مُرصَدٌ للمَصَالِح ولكونِه وَقْفاً عَلى المسْلمين، فلم أرَ فِي العَالَم مَالاً يَأخذه العَالِم لِعيالِه أصلحَ مِنه.

ثم دَخلتُ الشَّامَ، وأقمتُ به قريباً مِن سَنتيْن، لا شُغلَ لِي إلا العُزلةُ والخَلْوةُ والرّياضةُ وَالمجَاهدةُ اشتغالاً بتزكِية النّفس وتَهذِيب الأخْلاق وَتصفيَّة القلبِ لِذكر الله تعالى، كمَا كنتُ حَصَّلتُه من كُتُب الصّوفية. فكنتُ اَعتكِف [3] مُدَّةً فِي مَسجد دِمشقَ، أصعَدُ مَنارةَ المَسجدِ طول النّهار، وَأغْلِقُ بَابَها عَلى نفسِي.

ثم رَحلتُ مِنها إلى بيتِ المَقدِسِ، أدخلُ كلَّ يَومٍ الصَّخرَةَ وَأغلِق بَابَهَا عَلى نفسِي.

ثم تحرّكَتْ فِيَّ داعيةُ فريضَةِ الحَجِّ، والاستِمدَادُ مِن بَركات مَكَّةَ وَالمَدينة، وَزيارَةُ رَسُولِ اللهِ صَلى الله عليهِ وسلّم بعدَ الفرَاغ مِن زيَارة الخَلِيلِ صَلواتُ الله وَسَلامُه عَليه، فسِرتُ إلى الحجاز.

ثم جَذبَتْنِي الهِمَمُ [4] ودَعَواتُ الأطفال إلى الوَطن، فعَاوَدتُه بَعد أنْ كُنتُ أبعدَ الخَلْق عَن الرّجُوع إليه؛ فآثرتُ العُزلَةَ به أيضاً، حِرصاً عَلى الخَلْوَةِ وَتصفِيَّةِ القلبِ للذِّكْرِ.

وكَانَت حَوادثُ الزّمَان ومُهِمّاتُ العِيَال وَضرُوراتُ المعَاش تُغيِّر فِيَّ وجهَ المرَاد وتشوِّشُ صَفوة الخَلوَة. وكَانَ لا يَصفُو لِي الحَالُ إلا فِي أوقاتٍ مُتفرِّقةٍ، لكنيِّ مَع ذلك، لاَ أقطعُ طَمعِي مِنهَا، فتدفعُني عَنها العَوائقُ وأعُودُ إليهَا.

ودُمتُ عَلى ذلك مقدارَ عَشْرِ سنينَ؛ وَانْكَشفتْ لِي فِي أثناءِ هَذه الخَلَوات، أمورٌ لاَ يمكن إحصاؤها وَاستقصاؤها. والقَدْرُ الذي أذكرُه، لِيُنتفَعَ به: أني عَلمتُ يَقيناً أنّ الصّوفيةَ هُم السّالكون لطريقِ الله تعالى، خاصّةً وأنّ سيرتَهم أحسنُ السِّيَرِ وطريقَهُم أصْوَبُ الطّرُق

---

1 - أُذخر الشيء، معناه أُخبّئه لوقت الحاجة.

2 - الكفاف من الرزق ما كفى عن الناس وأغنى؛ كفاف حاجته معناه مقدار حاجته.

3 - اعتكف (في المكان): تحبس و لبث فيه تعبُّدا.

4 - الهمم ج. همة، و معناها الشان.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وأخلاقَهُم أزكَى الأخْلاق، بَل لَو جُمع عَقلُ العُقلاء، وَحِكمَةُ الحُكمَاء وَعِلْمُ الواقفينَ عَلى أسرَار الشّرع مِن العلمَاء، لِيُغيّروا شيئاً مِن سيَرِهم وَأخلاقِهم، ويبدّلوه بمَا هُو خيرٌ مِنه، لم يَجدُوا إليه سَبيلاً. فإنَّ جَميعَ حَركاتِهم وسَكناتِهم فِي ظاهِرِهم وباطِنهم، مُقتبسَةٌ مِن نورِ مِشكاةِ النُّبوَّة؛ وليسَ وراءَ نور النّبوةِ علَى وَجه الأرض، نورٌ يُستضَاءُ به.

وبالجُملة، فمَاذا يَقول القائلونَ فِي طريقةِ طهَارتِها: وأوّلُ شُروطِهَا تطهيرُ القلْب بالكليةِ، عمّا سوَى الله تعالى؟ ومِفتاحُهَا الجاري مِنها مَجرَى التّحريم مِن الصّلاة، استغراقُ القلب بالكلية بذكر الله؟ وآخرُها الفنَاء بالكلية، فِي الله؟ وَهَذا آخرُها بالإضَافَة إلى مَا يَكادُ يَدخلُ تحتَ الاختيار والكسب مِن أوائلِهَا. وهِي عَلى التّحقيق أوّلُ الطريقةِ، ومَا قبل ذلك، كالدِّهْليزِ للسّالكِ إليه.

ومِن أوّلِ الطريقةِ تبتدئ المُكاشفاتُ، والمُشاهدَاتُ، حَتى أنّهم فِي يَقْظتِهم يُشاهِدُونَ المَلائكة، وأرواحَ الأنبيَّاء ويسمَعُون مِنهم أصوَاتاً وَيقتبسُون مِنهم فوَائدَ. ثم يَترقَّى الحَالُ مِن مُشاهدَة الصُّوَر وَالأمْثال، إلى دَرجَات يَضيقُ عنهَا نطاق النُّطق، فلاَ يُحاولُ معبّرٌ أن يُعبّرَ عنهَا إلا اشتمَل لفظهُ على خطأٍ صَريح لاَ يُمكنه الاحترَازُ عَنه.

وعَلى الجُملة، يَنتهي الأمرُ إلى قُربٍ يَكادُ يُتخيَّلُ منه طائفةُ الحُلول، وطَائفة الاتّحاد، وطَائفة الوُصول؛ وَكلُّ ذلك خطأٌ.[1] وَقد بَيّنَا وجهَ الخطأ فيه فِي كتابِ "المَقْصِدُ الأسْنىَ"، بَل الذي لابَسَتْه[2] تلكَ الحَالةُ لا يَنبَغي أن يَزيد عَلى أن يقول:

وَكَان مَا كان مِمّا لستُ أذكُره *** فظُنَّ خيْراً ولا تسألْ عَنِ الخبَرِ![3]

وبالجُملة، فمَن لم يُرزَقْ منه شيئاً بالذَّوْق، فليسَ يدركُ مِن حَقيقةِ النّبوة إلاّ الاسْمَ. وَكرامَاتُ الأولياء هي عَلى التّحقيق بدايَاتُ الأنبيَاء. وَكان ذلك أوّلَ حَالِ رسُول الله صَلى الله عَليه وسلّم حين أقبَل إلى جَبَلِ "حِرَاءَ" حيث كانَ يَخلُو فيه بِرَبّه، ويتعبّد حَتى قالت العَربُ: "إن محمّداً عَشق ربَّه".

---

1 - لقد أنكر الغزالي الاتحاد أو الحلول أو نحوه طريقا إلى الكشف، و يقرر قيام الحدس و الفيض و الإلهام أداة لإدراك العالم الباطن، و يصرّح بأن الطريقة التي تتكشف بها الحجب عن أعين القلوب هي التعبد و ليس التأمل.

2 - لابسته: لازمته.

3 - هذا البيت لابن المعتز.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وهذه حالةٌ يتحَقَّقها بالذَّوقِ مَن يسلكُ سَبيلَهَا؛ فمَن لم يُرزقِ الذَّوقَ، فيَتَيَقَّنُهَا بالتّجربَة والتسَامُع، إنْ أكثرَ مَعَهُم الصُّحبةَ حَتى يفهَم ذلك بقرَائنِ الأحوَال يَقيناً؛ ومَن جَالسَهُم، استفادَ منهُم هَذا الإيمَانَ. فهُمُ القومُ لا يَشقَى جَليسُهم؛ وَمَن لَم يُرزقْ صُحبتَهم، فلْيعلَمْ إمكَانَ ذلك يَقيناً بشوَاهِدِ البُرهَان، عَلى مَا ذكرنَاه فِي كِتاب "عجَائِبُ القلْبِ" مِن كتُبِ "إحيَاءُ عُلوم الدّين".

والتحقيق بالبُرهَان: عِلم. ومُلابسَةُ عَيْنِ تِلك الحَالة: ذوقٌ. وَالقَبُول مِن التسَامع وَالتّجربة بِحُسنِ الظّن: إيمَان.

فهذه ثلاثُ درَجات: " يَرفَعِ اللهُ الذَّين آمَنوا منكم وَالذينَ أوتُوا العِلْمَ دَرجَاتٍ "[1]. وَوَراءَ هَؤلاءِ قومٌ جُهَّالٌ هُمُ المُنكِرون لأصلِ ذلك، المُتعجِّبون مِن هَذا الكَلام، يَستمِعون ويَسْخَرون ويَقولُون: العَجبَ! إنَّهم كَيْفَ يَهْذُون وفِيهِم قال اللهُ تعالَى: "ومِنهم مَن يَستمِعُ إليكَ حَتىَّ إذا خرَجوا مِن عندك قالوا للذين أُوتوا العلمَ مَاذا قال آنفاً أولئِك الذينَ طَبَعَ الله عَلى قلوبِهم واتَّبعوا أهواءَهُم"، [2] فأصمَّهُم وأعْمَى أبصَارَهم.

ومما بَان لِي بالضَّرورَة ،مِن مُمَارَسَةِ طريقتِهم، حقيقةُ النبوّة وخاصِيَّتُها، وَلا بدّ مِن التّنبيهِ عَلى أصلِها لشدّةِ مَسِيس الحَاجَة إليهَا.

1 - المجادلة،11.
2 - محمد، 16.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

حل إشكالية[1] الكتاب الفلسفية
المشكلة الجزئية السابعة

[إن استخلاص الحق يكون بتوفُّر الإدراك الذَّوْقيّ ونشرِ العلم]

أولا: حَقيقَةُ النُبوَّة

اِعلَم أنّ جَوهَرَ الإنسَان فِي أصْل الفِطرة خُلِق خالياً سَاذجاً لاَ خَبَرَ مَعَه مِن عَوَالِم الله تعَالى. وَالعَوالِمُ كثيرةٌ لا يُحصِيها إلا اللهُ تعالى، كمَا قال: "وَمَا يَعلم جنودَ ربِّك إلاّ هو"، [2] وإنَّما خَبَرُه من العَوَالِم بوَاسِطة الإدرَاك، وكلُّ إدرَاك مِن الإدرَاكَات خُلِق ليطَّلعَ الإنسَانُ به عَلى عَالَمٍ مِن المَوجُودَات وَنعنِي بالعَوَالِم أجنَاسَ المَوجُودَاتِ.

فأوَّلُ مَا يُخلَق فِي الإنسَان ،حاسَةُ اللمْس؛ فيُدرِكُ بِهَا أجناساً مِن المَوجُودات كالحَرَارةِ والبُرودة والرُّطوبَة واليُبوسَة واللِّين وَالخشونَة وَغيرِهَا. واللّمْسُ قاصِرٌ عَن الألوَان وَالأصوَات قطعاً، بَل هِي كالمَعدُوم فِي حَقِّ اللّمسِ.

ثم تُخلَق لهُ حَاسةُ البَصَر؛ فيُدركُ بِهَا الألوانَ والأشكَالَ؛ وَهو أوسَع عَوالِم المَحسُوسَات.

ثم ينفتح له السّمعُ؛ فيسمَعُ الأصوَاتَ وَالنّغمَاتِ.

ثم يُخْلَق له الذوقُ؛ كذلك إلى أن يُجَاوز عَالَمَ المَحسوسَات؛ فيُخلقُ فِيه التمييزُ؛ وهُو قريب مِن سَبع سِنينَ. وَهو طورٌ آخرُ مِن أطوار وجودِه ؛ فَيُدرِكُ فِيه أمُوراً زَائدة عَلى عَالَم المَحسُوسَات، لا يُوجَد مِنها شَيءٌ فِي عَالَم الحِسِّ.

ثم يَترقَّى إلى طورٍ آخَرَ ، فيُخلقُ لهُ العَقلُ ، فيُدركُ الوَاجبَاتِ وَالْجَائِزاتِ وَالمستحِيلاتِ، [3] وَأموراً لا توجَد فِي الأطوَار التِي قبلَه.

---

1 - إذا كان هذا هو الحل المناسب لإشكالية الكتاب وللغزالي، فإنه ليس حلا نهائيا لدى كثير من الفلاسفة.

2 - المدثر، 31.

3 - و هذه هي المبادئ المنطقية الاولى التي يدعو إلى معرفتها الشرع في إطار تاسيس العقيدة، و هي معروفة في منطق علماء الكلام.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

وَوَرَاء العَقل طورٌ آخرُ تنفتح فيه عينٌ أُخرَى يُبصر بِهَا الغَيبَ ومَا سَيكُون فِي المُستقبَل وَأموراً أُخَرَ، العَقلُ معزُولٌ عنهَا، كعَزل قُوَّة التَّمييز عَن إدرَاك المَعْقولات، وَكعَزل قوّة الحسّ عن مُدركات التَّمييز. وَكَمَا أن المميِّزَ لو عُرضَت عَليه مدركَاتُ العَقل، لأَبَاهَا وَاستبعَدَهَا، فكذلك بَعضُ العُقلاء أبَوْا مُدرَكات النّبوَّة واستبعَدوهَا وذلك عَينُ الجَهل، إذ لاَ مُستنَدَ لَهم إلا أنه طَوْرٌ لَم يَبلُغهُ ولَم يوجَد فِي حَقِّه، فيُظنُّ أنّه غَيرُ مَوجود فِي نفسه. والأَكْمَهُ لَوْ لَم يَعلَمْ بالتَّوَاتُر وَالتسَامع الألوانَ وَالأشكال، وَحُكي لَه ذلك ابتدَاءً،لم يَفهمهَا وَلم يُقرَّ بهَا، وقد قَرَّبَ الله تعَالى عَلى خلقه بأن أعطَاهُم نموذجاً مِن خاصيَّة النُّبُوَّة وَهو النّومُ، إذ النَائمُ يُدرك مَا سيَكون من الغَيْب إمّا صَريحاً، وإمّا فِي كِسْوة مِثالٍ، يَكشف عَنه التَّعْبيرُ؛ وهَذا لو لَم يُجرِّبْه الإنسَانُ من نفسه، وقيلَ لَهُ: "إنَّ مِنَ النّاس مَن يسقُط مَغشيّاً عَليه كَالْمَيِّت، ويَزول عَنه إحسَاسُه وسَمعُه وبَصَرُه، فيُدرِكُ الغيبَ"، لأَنْكره وَأقام البُرهَانَ عَلى اسْتحَالته، وَقال: "القُوى الحَسَّاسةُ أسبَابُ الإدراك. فمَن لا يُدركُ الأشيَاءَ معَ وُجودهَا وحُضورهَا، فبأَنْ لاَ يُدرك معَ رُكودِها أوْلى وَأحَقُّ". وَهذا نَوعٌ قياسيٌّ يُكذِّبُه الوُجودُ وَالمشاهَدةُ. فكمَا أنّ العَقل طورٌ من أطوار الآدَميّ، يحصُل فيه عَينٌ يُبصرُ بهَا أنوَاعاً منَ المَعقولات، وَالحَوَاسُّ مَعزولةٌ عَنها، فالنّبوة أيضاً، عِبارَةٌ عَن طورٍ يَحصُلُ فيه عَينٌ لهَا نورٌ يَظْهَرُ فِي نُورِهَا الغيبُ، وَأمورٌ لا يُدركها العَقل.

وَالشَّكُّ فِي النُّبُوَّة، إما أن يَقع فِي إمكَانِها أو فِي وُجودِهَا ووقوعِها، أو فِي حُصولِها لِشَخْصٍ مُعيَّنٍ.

ودَليل إمكَانِهَا وجودُهَا؛ وَدليلُ وجودِهَا، وجُودُ مَعارفَ فِي العَالَم لاَ يُتَصَوّر أن تُنَال بالعَقل، كعلم الطّب وَالنّجُوم. فإنَّ مَن بَحَث عَنها عَلِمَ بالضّرورَة، أنّها لا تُدرَك إلاّ بإلهَام إلهيٍّ، وَتوفيق من جهة الله تعَالى وَلاَ سَبيلَ إليهَا بالتّجربة. فمِنَ الأحْكام النُّجُومِيَّة مَا لا يَقعُ إلا فِي كل ألْف سَنَة مرّة، فكيفَ يُنال ذَلك بالتّجربة؟ وَكذلك خوَاصُّ الأدويَة.

فتَبيَّن بهَذا البُرهَان، أنّ فِي الإمكَان وجُودَ طريق لإدراك هَذه الأمُور الَّتي لا يُدركُها العَقلُ ـ وهُو المُرادُ بالنُّبُوَّة ـ لا أنَّ النّبوَّة عبارَةٌ عنها فقط، بَل إدرَاكُ هَذا الجنس الخارج عَن مُدرَكات العَقل إحدَى خوَاصّ النّبوَّة. ولَهَا خوَاصُّ كثيرةٌ سِواهَا؛ ومَا ذَكرنَاه فقَطْرَةٌ مِن بَحْرهَا؛ وإنّما ذكرنَاهَا لأنَّ معَك أنموذجاً منها، وَهو مُدركاتُك فِي النَّوْم؛ ومَعَك عُلومٌ من جنسها فِي الطّبّ والنّجُوم؛ وهِي مُعجزَاتُ الأنْبيَاء عَليهم الصّلاةُ والسّلامُ، ولاَ سَبيلَ إليهَا للعُقلاءِ ببضَاعَة العَقلِ أصْلاً.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وَأمّا مَا عَدا هَذا مِن خَواصّ النُّبُوَّة، فإنمَّا يُدرَك بالذَّوْق مِن سُلوك طريق التصَوّف لأنّ هَذا، إنَّما فهمته بأُنْموذَج رُزقتَهُ وهُو النَوْمُ. ولَولاهُ لَمَا صَدَّقتَ به، فإنْ كَانَ للنبيّ خاصَّةٌ، ليسَ لكَ منها أُنْموذجٌ ولاَ تَفهَمُهَا أصْلاً، فكيفَ تصدّقُ بهَا؟ وإنمّا التَّصديق بَعد الفهْم؛ وذلك الأنموذجُ يَحصُلُ في أوائِل طَريق التصَوُّف فيَحصُلُ به نوعٌ منَ الذَّوْق بالقَدْر الحَاصل وَنوْع مِن التَّصْديق بمَا لَمْ يَحصُلْ بالقِياس إليه. فهذهِ الخاصيَّةُ الوَاحِدةُ تَكْفيكَ للإيمَان بأصل النبوَّةِ.

فإنْ وقع لكَ الشكُّ في شخْص مُعيَّن، أنّه نَبيٌّ أم لا، فلا يَحصُلُ اليَقينُ إلا بمَعْرفة أحوَاله، إمّا بالمُشاهَدة أو بالتَّوَاتُر وَالتسَامُع؛ فإنّكَ إذا عَرفتَ الطبَّ والفقهَ، يُمكنُك أن تعرفَ الفُقهَاءَ وَالأطبّاءَ بمُشاهَدة أحوَالهم وسَمَاع أقوَالهم، وَإنْ لم تُشاهدْهُم؛ وَلا تَعجزْ أيضاً، عَن مَعْرفَة كَوْن الشَّافعي رحمهُ الله، فقيهاً وَكَوْن جَالينُوس [1] طبيباً مَعرفةً بالحَقيقة، لا بالتَّقليد عَن الغَيْر، بَل بأنْ تتعلّمَ شيئاً من الفقْه والطبِّ، وتُطالعَ كُتُبهمَا وتصَانيفهمَا، فيحصُلُ لكَ علمٌ ضرُوريٌّ بحَالهمَا. فكذلك إذا فهمتَ مَعنىَ النُّبُوّة، فأكْثَرْتَ النظرَ في القرآن وَالأخبَار، يَحصُلُ لكَ العلمُ الضّروريُّ بكَوْنه صَلى اللهُ عليه وسلّم على أعلَى درَجَات النُّبوّة، واعْضدْ ذلك بتجربَة مَا قاله في العبَادَات وَتأثيرهَا في تصفية القلوب، وكيفَ صَدَق صَلى الله عَليه وسلّم في قوله: "مَنْ عَمَلَ بمَا عَلمَ ورَثهُ الله علمَ مَا لم يَعلَم"، [2] وَكيفَ صدَقَ في قَوْله: "مَنْ أعَان ظالماً سلّطهُ اللهُ عليه" [3] وَكَيْفَ صدَقَ في قوله: "مَن أصبَحَ وهُمُومُهُ همٌّ واحدٌ، كَفاهُ اللهُ تعالَى هُمُومَ الدُّنيا والآخرةِ". [4] فإذا جَرَّبتَ ذلك في ألفٍ وَألفيْنِ وَآلافٍ حصَلَ لكَ علمٌ ضَروريٌّ لا تتمَارَى فيه.

فمنْ هَذا الطَّريق، اطْلُب اليَقينَ بالنُّبوّة لا من قَلْب العَصَا ثعباناً وَشَقِّ القمَر. فإنَّ ذلك إذا نظرتَ إليه وَحْدهُ وَلَم تنضَمَّ إليه القَرائنُ الكثيرةُ الخَارجَة عَن الحَصْر، وربّما ظَنَنْتَ أنّه سِحرٌ وتَخْييلٌ، وَأنه منَ الله تعَالى إضلالٌ، فإنهُ "يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ويَهدي مَن يشاءُ". [5]

---

1 - كلود جالينوس (C.Galien. 131-201م): طبيب إغريقي اشتهر باكتشافاته في علم التشريح؛ ولقد استلهمه العرب في مجالات الطب.

2 - غير موجود في كتب الحديث المشهورة.

3 - عن أنس رواه أبو نعيم في الحلية؛ و رواه ابن عساكر عن ابن مسعود وهو حديث ضعيف.

4 - رواه ابن ماجة عن ابن مسعود وإسناده ضعيف. و روى الحاكم ما يشبهه، عن النبي أنه قال: "من جعل الهم واحدا كفاه الله هم دنياه، ومن تشعّبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك"؛ وعن أنس عن النبي (ص) قال: "من عمل بما علم ورثه الله علمَ ما لم يعلم"، رواه أبو نعيم في الحلية.

5 - فاطر، 8.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وتَردُ عَلَيك أسئلةُ المُعجزَات؛ فإذا كَان مُستنَدُ إيمانِكَ إلى كلاَم مَنظوم في وَجه دَلالَة المُعجزَة، فَينجَزمُ إيمَانُكَ بكلام مُرتَّب فِي وجهِ الإشكال وَالشُّبهة عَليهَا. فلْيَكنْ مثلُ هَذه الخوَارق، إحدَى الدَّلائِل وَالقرَائِن فِي جملَة نظَرك حتّى يَحْصُلَ لكَ علمٌ ضروريٌّ لا يُمكنك ذكرُ مُستنَده عَلى التعيّين، كالذي يُخبرُه جمَاعَةٌ بخبَر مُتوَاتر لا يُمكنُه أن يَذكُر أنّ اليَقينَ مستفادٌ من قولٍ وَاحد معينٌ، بَل من حَيْثُ لاَ يَدري، وَلا يَخرُجُ عَن جُملة ذلك، وَلا بتعيين الآحَاد. فهَذا هُو الإيمَان القويُّ العِلميّ.

وأمّا الذَّوْقُ فهُو كالمُشاهَدة والأخذ باليد، ولا يُوجَدُ إلاَّ في طريقِ الصّوفية.

فهذا القدرُ من حقيقةِ النُّبوةِ كافٍ في الغَرض الذي أقصدُه الآنَ، وسأذكرُ وجهَ الحاجةِ إليه.

ثانيا : العودةُ إلى نَشْر العِلْم

* ثُمَّ إنِّي لمَّا واظبْتُ على العُزْلة والخَلْوَة قريباً من عَشْر سنينَ، و بانَ لي في أثناء ذلك على الضَّرورة - من أسباب لا أُحصيهَا مرّةً بالذَّوْق، ومرَّةً بالعلْم البرْهَانيِّ، ومرَّةً بالقَبول الإيمانيِّ - أنَّ الإنسانَ خُلقَ من بَدَن وقَلْب، وأعني بالقلب حَقيقةَ رُوحه التّي هيَ محَلُّ معرفة الله، دونَ اللَّحْم والدَّم الذي يُشاركُ فيه الميِّتَ والبَهيمَةَ؛

وأنَّ البدنَ لهُ صحَّةٌ بها سَعادَتُه، ومَرَضٌ فيه هَلاكُه؛ وأنَّ القلبَ كذلكَ له صحَّةٌ وسَلامَةٌ، ولا يَنْجُو "إلاَّ مَن أتَى اللهَ بقَلْب سَليم"، [1] وله مرضٌ فيه هَلاكُه الأبَديُّ الأُخْرَويُّ، كمَا قالَ تعالَى: "في قلوبهم مَرَضٌ"؛ [2] وأنَّ الجهلَ باللهِ سُمٌّ مُهلكٌ؛ وأنَّ مَعصيَةَ الله بمُتابعة الهوَى، دَاؤُه المُمْرضُ، وأنَّ مَعْرفَةَ الله تعالى تِرْيَاقُهُ المُحْيي، وطاعَته بمُخالفة الهوَى دوَاؤُه الشَّافي؛ وأنَّه لا سبيلَ إلى معالجته بإزالة مَرَضه وكَسْب صحَّته إلاَّ بأدْوية؛ كما لا سبيلَ إلى معالجة البَدَن إلاَّ بذلك.

وكمَا أنَّ أدويَةَ البَدَن تُؤثّرُ في كَسْب الصِّحَّة بخاصِّية فيها، لا يُدْركُها العُقلاَءُ ببضاعة العَقل، بل يجبُ فيها تقليدُ الأطبَّاء الَّذينَ أخَذُوها منَ الأنْبياء، الذينَ اطَّلعُوا بخاصّية النُّبوَّة على خَواصِّ الأشيَاء، فكَذلك بَانَ لي على الضَّرورة، بأنَّ أدويَةَ العبَادات بحُدودهَا ومقاديرهَا المحْدودَة المقدَّرة من جهة الأنبيَّاء، لا يُدْركُ وجْهَ تأثيرهَا ببضَاعة عَقْل العُقلاء، بَل يجبُ فيهَا تقليدُ الأنبيَّاء الذينَ أدركُوا تلكَ الخَواصَّ بنُور النُّبوَّة، لا ببضَاعة العَقل.

---

1 - الشعراء، 89.

2 - البقرة، 10.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وكمَا أنَّ الأدويَة تُرَكَّب من أخلاط مختلفة النَّوع والمِقْدار ، وبعضَها ضعفُ البَعْض في الوَزن وَالمقدار، فلاَ يَخلو اختلافُ مَقادِيرهَا عَن سرٍّ هُو من قَبيل الخَواصّ، فكذلك العبَادَاتُ الَّتي هِي أدْوِيَةُ دَاءِ القُلُوب ، مُركبةٌ من أفعَالٍ مُختلفة النَّوْع والمِقدَار، حَتى أنّ السّجودَ ضعفُ الرّكوع، وَصَلاةَ الصّبح نصفُ صَلاة العَصر في المِقدَار؛ وَلا يَخلو عَن سرٍّ من الأسرَار، هو من قَبيل الخَواصِّ التي لا يَطّلع عليهَا إلا بنُور النُّبوَّة. وَلقد تحامَقَ وَتجاهَل جداً ، مَن أرَاد أن يَستنبطَ لهَا ، بطريق العَقْل حِكمَةً، أو ظَنّ أنَّهَا ذُكرَت عَلى الاتِّفاق، لاَ عَن سرٍّ إلهيٍّ فيهَا، يقتضيهَا بطَريق الخَاصِّيَّة.

وَكمَا أن في الأدويَة أصُولاً هِي أركَانُهَا، وَزوَائدَ هِي متمِّمَاتُها، لِكل واحد منها خصُوصُ تأثيرٍ في أعمَالِ أصُولها، كذلك النَّوافل وَالسُّننُ متمِّمَاتٌ لتكميل آثارِ أركَانِ العِبَادَات.

وَعَلى الجملة : فالأنبياءُ عليْهم السَّلامُ أطبَّاءُ أمْراض القُلوب، وإنَّمَا فائدةُ العَقل وتصرّفه أنْ عَرَّفنا ذلكَ وشَهد للنُّبوَة بالتَّصديق ولنفسه بالعجْز عنْ دَرْكِ ما يُدرَكُ بعيْن النُّبوة، وأخَذَ بأيْدينَا وسلَّمَنَا إليْها تَسْليمَ العُميَان إلى القائدينَ، وتَسليم المَرضَى المتَحيِّرينَ إلى الأطبَّاء المشفقينَ. فإلى هَهُنَا، مجْرى العَقل ومَخطَاه وهو معزُولٌ عمَّا بَعْدَ ذلكَ، إلاّ عن تفهُّم ما يُلقيه الطبيبُ إليه.

فهذه أمورٌ عرفنَاهَا بالضَّرورَة الجاريَة مجْرَى المُشاهَدة، في مُدَّة الخَلوة والعُزلة.

ثمَّ رأيْنَا فُتورَ الاعتقادَات في أصْل النّبوة، ثمَّ في حقيقة النُّبوة، ثمَّ في العَمَل بمَا شرَحَتْهُ النّبوَةُ، وتحقَّقنَا شيُوعَ ذلكَ بينَ الخَلْق؛ فنظرتُ إلى أسبابِ فتور الخَلْق، وضُعْف إيمَانهم، فإذا هيَ أربَعةٌ :

1 - سببٌ منَ الخَائضين في علم الفلسَفة؛
2 - وسَببٌ منَ الخَائضينَ في طريق التَّصوّف؛
3 - وسَببٌ منَ المنتَسبينَ إلى دعوَى التَّعليم؛
4 - وسَببٌ من معاملة المَوْسُومينَ بالعلم فيمَا بينَ النَّاس.

فإنّي تتبَّعتُ مُدَّةً، آحادَ الخَلق، أسألُ مَن يُقصّرُ منهُم في متابَعة الشَّرْع وأسألُه عنْ شُبهته وأبحثُ عَن عَقيدته وسرّه، وقلتُ لهُ: "مَا لَكَ تُقصّرُ فيهَا؟ فإن كنتَ تُؤمنُ بالآخرة ولستَ تستعدُّ لهَا وَتبيعُهَا بالدّنيَا، فهَذه حَماقة! فإنّكَ لاَ تَبيعُ الاثنَيْن بواحد، فكيفَ تبيعُ مَا لاَ نهَايَة لَه بأيَّام مَعدُودَة؟ وإن كنتَ لاَ تؤمنُ، فأنتَ كافرٌ! فدبِّرْ نفسَكَ في طلَب الإيمَان،

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وَانظُرْ مَا سَببُ كُفرِك الخَفِيِّ الذي هُو مَذهبُك بَاطناً، وَهُو سَبب جُرأتِك ظاهِراً، وَإن كنتَ لاَ تُصرِّحُ بهِ تجمّلاً بالإيمَان وَتشرّفاً بذِكرِ الشّرع!".

فقائلٌ يَقول: "إنَّ هَذا أمرٌ لَو وَجبَت المُحافظةُ عَليه، لكَانَ العُلمَاءُ أجدَرَ بذلك؛ وفلانٌ مِنَ المَشَاهير بين الفُضَلاَء لاَ يصَلّي، وَفلانٌ يَشرَبُ الخمرَ، وَفلانٌ يَأكل أموَالَ الأوقاف وَأموَال اليتامَى، وَفلان يَأكل أَدْرار [1] السُّلطَان وَلاَ يحترِزُ عَن الحَرام، وَفلان يَأخذ الرَّشوةَ عَلى القضَاء وَالشهَادَة! وَهَلُمَّ جَراً إلى أمثاله".

وَقائل ثانٍ: يَدَّعِي عِلمَ التصَوّف، ويَزعُمُ أنّه قد بَلغ مَبلغاً تَرَقّى عَن الحَاجَة إلى العِبَادَة.

وَقائل ثالِثٌ: يتعَلل بشُبْهَةٍ أُخرَى مِن شُبهَات أهلِ الإبَاحَة!

وَهؤلاَء هُم الذين ضَلُّوا عَن التصَوّف.

وَقائل رَابعٌ لَقِيَ أهلَ التَّعليم، فيقولُ: "الحَقُّ مشكلٌ، والطّريقُ إليه مُتعسِّرٌ، والاختلاف فيه كثيرٌ، وليسَ بَعضُ المَذاهب أوْلى من بَعض، وَأدلةُ العُقول مُتعَارضَة، فلا ثقةَ برَأي أهْل الرّأي، والدّاعِي إلى التعليم مُتحَكمٌ لاَ حُجّةَ لَهُ، فكَيفَ أدَعُ اليَقينَ بالشّكّ ؟".

وقائل خامِسٌ يقولُ: "لَستُ أفعَلُ هَذا تقليداً، وَلكنيِّ قرَأتُ علم الفلسَفة، وَأدركتُ حَقيقةَ النّبوّة وَأن حَاصلَهَا يَرجع إلى الحِكمَة والمَصْلحَة، وَأن المَقصُودَ مِن تعبُّداتِهَا: ضبطُ عَوامِّ الخلق وَتقييدُهُم عَن التقاتُل وَالتنَازُع وَالاسْترسَال فِي الشّهَوات. فمَا أنَا مِن العَوامّ الجُهَّال حَتى أدخلَ فِي حُجَرِ التكلِيف، وإنّما أنَا مِن الحُكمَاء، أتّبِعُ الحِكمةَ، وَأنا بَصيرٌ بِهَا مُستغنٍ فيهَا عَن التقليد!".

هَذا مُنتهَى إيمَانِ مَن قرَأ مَذهبَ فلسَفة الإلهيِّين مِنهم؛ وَتعلّمَ ذلكَ مِن كتُبِ ابنِ سِينا وأبي نصر الفارَابي. وَهؤلاءِ هُمُ المتجمّلون بالإسْلام.

وربّمَا ترَى الوَاحدَ منهم يقرَأ القرآنَ، ويَحضُرُ الجَمَاعَات وَالصّلوَات، وَيُعظّمُ الشريعَةَ بلسَانه، وَلكنّه مع ذلك، لا يترك شُربَ الخمْر، وَأنواعاً من الفسْق وَالفجُور! وإذا قِيل لهُ: "إنْ كَانتِ النبوّةُ غيْرَ صَحيحَة، فلِمَ تُصَلّي؟". فرّبمَا يَقول: "لرِيَاضة الجَسَد، ولِعادَة أهلِ البَلَد، وحِفظ المَال وَالوَلد!". وربّما قال: "الشّريعَةُ صَحيحَة، والنبوّة حَقٌّ". فيقال: "فلِمَ تشرَبُ

1 - أدرار معناه خيرات السلطان و أرزاقه.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الخمرَ؟". فيقولُ: " إنَّما نُهيَ عن الخمْر لأنّها تُورِّث العَداوَةَ وَالبَغضَاءَ، وأنَا بحكمَتي مُحْترزٌ عَن ذلك، وَإني أقصد به تشحيذَ خاطِري". حَتى أنّ ابنَ سينا ذكَر في وصيةٍ له، كتبَ فيها: أنّه عَاهَد اللهَ تعالى عَلى كذا وكذا، وَأنْ يُعَظّم الأوضَاعَ الشّرعية، وَلا يُقصّرُ في العبادات الدّينيَّة، وَلا يَشرَب تلَهّياً بل تدَاوياً وَتشافياً؛ فكانَ مُنتَهى حَالته في صَفاء الإيمَان، وَالْتزام العِبادَات، أن اسْتثنَى شُربَ الخَمر لِغرَضِ التشَافي.

فهَذا إيمَانُ مَن يَدّعي الإيمَانَ منهُم. وَقد انْخَدع بِهِم جَماعَةٌ، وزادَهم انخداعًا ضعفُ اعتراضِ المُعترضين عليهِم، إذ اعترضُوا بمُجَاحدةِ عِلم الهَندسَةِ والمَنطِق، وَغيرِ ذلكَ ممّا هُو ضَروريٌّ لَهُم ، عَلى مَا بيّنا عِلّتَه مِن قبْلُ.

فلمّا رَأيتُ أصنَافَ الخَلْق قد ضَعُف إيمَانُهُم إلى هَذا الحَدّ بهَذه الأسبَاب، وَرَأيتُ نَفسي مُلبَّةً بكشفِ هَذه الشُّبهَة، حَتى كانَ إفضَاحُ هَؤلاء أيسرَ عِندي من شُربَة مَاءٍ لكثرَة خَوْضي في علومِهم وَطُرُقِهم، أعني طرُقَ الصّوفية وَالفلاسفة وَالتعليمية وَالمُتوَسّمين من العُلمَاء. انْقدَح في نفسي أنّ ذلك مُتعيّنٌ في هَذا الوَقت، مَحْتومٌ. فمَاذا تُغنيك الخَلوَةُ وَالعُزلَة، وَقد عَمّ الدّاءُ وَمَرض الأطبّاءُ وأشرَف الخَلْقُ عَلى الهَلاك؟ ثم قلتُ في نفسي: "مَتى تَشتغل أنتَ بكشف هَذه الغُمّة وَمصادَمة هَذه الظلمَة، وَالزّمَانُ زمانُ الفَتْرَة، وَالدّورُ دَورُ البَاطل. وَلَو اشْتغلتَ بدَعْوة الخَلْق عَن طُرقِهم إلى الحَقّ لعَادَاك أهلُ الزمَان بأجْمَعِهم ، و أنّى تُقاوِمُهم ، فكيف تعايِشُهم ؟ و لا يتمُّ ذلك إلا بزمانِ مُساعدٍ وسُلطانٍ مُتديّنٍ قاهِرٍ؟".

فترَخّصتُ بَيْني وَبينَ الله تعَالى بالاستمرَار عَلى العُزلة تعَلُّلاً بالعَجزِ عَن إظهَار الحَقّ بالحُجّة. فقَدّرَ اللهُ تعَالى أن حَرّكَ دَاعيةَ سُلطان الوَقت من نفسه لا بتَحريكٍ مِنْ خارج. فأمَرَ أمْرَ إلزَام بالنُّهوض إلى نيسَابُور [1] لتَدَارُك هَذه الفتنَة وبَلَغَ الإلزامُ حدّاً كان يَنْتهي لَو أصَررتُ عَلى الخِلاف إلى حَدّ الوَحشة؛ فخطرَ لي أنّ سبَبَ الرُّخصة قد ضَعُفَ؛ فلاَ يَنبغي أن يَكون بَاعثُك عَلى مُلازمَة العُزلة الكسلَ وَالاستراحَةَ وطلَبَ عزِّ النفس وصَوْنها عَن أذى الخَلْق، وَلم تُرخّص لنفسك عُسْرَ مُعاناة الخَلق، وَاللهُ سبحانه وتعالى يَقول: "بسم الله الرحمن الرحيم: الم. أحَسِبَ الناسُ أن يُتْرَكوا أن يقولوا آمنّا وهُم لا يُفتنونَ؟ ولقد فَتنّا الذينَ مِن قبلهم". [2]

---

1 - نيسابور : مدينة في الشمال الشرقي لإيران. تبعد عن مشهد (الاسم الحالي لمدينة طوس) بحوالي 60 كلم. راجع الخريطة الجغرافية لإيران.

2 - العنكبوت، (1-3).

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ويقول عَزَّ وجلَّ لرسُوله وهو أعزُّ خَلْقه: "ولقدْ كُذِّبَتْ رُسلٌ من قبلكَ فصَبَروا على ما كُذّبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرُنا ولا مبَدِّلَ لكلماتِ الله، ولقد جاءك من نبإِ المُرْسَلين". [1] ويقول عزَّ وجلَّ: "بسم الله الرحمن الرحيم : يَس والقرآنِ الحكيمِ..." إلى قولِه: "إنَّما تُنذِرُ مَنِ اتَّبَع الذِّكرَ وخَشِيَ الرحمنَ بالغَيْبِ". [2]

فشاوَرْتُ في ذلك جمَاعَةً من أربَاب القُلوب وَالمُشاهَدات؛ فاتَّفقوا عَلى الإشارَة بترك العُزلَة، والخُروج من الزّاويَة، وانْضَافَ إلى ذلك، منامَاتٌ من الصّالحين كثيرةٌ متواترةٌ، تَشهَد بأنّ هَذه الحَركَة مَبدأُ خَير وَرُشد، قَدَّرهَا اللهُ سبحانه عَلى رَأس هَذه المَائة. [3] فاسْتُحكِم الرجاءُ و غَلَبَ حُسنُ الظَّنِّ بسَبَبِ هذه الشَّهادات؛ و قد وَعَد اللهُ سبحانه و تعالى بإحياء دينه على رَأْس كلِّ مَائة، وَيَسّر اللهُ تعَالى الحَركَةَ إلى نيسَابور للقِيَام بهَذا المُهِمِّ في ذي القعدة سنةَ تسع وتسعين وأربعمَائة. وكانَ الخُروجُ من بَغْدادَ في ذي القعدة سنة ثمَانٍ وثمانين و أربعمَائة، وبَلغت مُدّةُ العُزلَة إحدَى عَشَرَ سَنةً. وهَذه حَركةٌ قَدّرهَا اللهُ تعَالى وَهي من عَجَائب تقديرَاته التي لم يَكن لهَا انْقداحٌ في القلب في هذه العُزلَة، كمَا لم يَكن الخروجُ من بَغدادَ والنّزوعُ عَن تلك الأحوَال ممّا خَطر إمكانُه أصْلاً، بالبَال. وَاللهُ تعَالى مُقلِّبُ القُلوب والأحوالِ و "قَلبُ المؤمن بين أُصْبُعَيْن من أصابع الرحمن". [4] وأنا أَعْلَمُ أني وَإنْ رَجعتُ إلى نشرِ العلم، فمَا رجعتُ! فإنّ الرجُوعَ عَودٌ إلى مَا كانَ. وَكنتُ في ذلك الزّمان، أنشرُ العلمَ الذي به يُكتسَب الجَاهُ، وأدعُو إليه بقولي وعَملي، وكانَ ذلكَ قصدي ونيَّتي. وَأمَّا الآنَ، فأدعُو إلى العِلم الذي به يُترَك الجَاهُ، وَيُعرَف به سُقوطُ رُتبَة الجَاه.

هَذا هُو الآنَ قصدي ونيَّتي وَ أُمنيَّتي، يَعلم اللهُ ذلك منّي وَأنَا أبغي أن أُصلِح نفسي وغَيري. ولسْتُ أدري أأَصِلُ إلى مُرَادي؟ أم أُخترَم [5] دُون غرَضي؟ ولكنّي أُؤمن إيمَانَ يقينٍ وَمُشاهَدة، أنه لا حَولَ وَلا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم، وَأنّي لم أتحرّك، لكنه حَرَّكني. وَإني لم أعمَل، لَكنَّه اسْتعمَلني. فأَسْأله أنْ يُصلحَني أوّلاً، ثم يُصلِحَ بي ويَهدِيني ثمّ يَهْدي بي، وَأن يُريَني الحَقَّ حَقاً وَيرْزُقَني اتّبَاعَه، ويُريَني البَاطلَ بَاطلاً وَيرزقَني اجتنابَه.

---

1 - الأنعام، 34.

2 - يس، (1-11).

3 - وكان الله اختاره ليكون على رأس زمنه مصداقا لقوله عليه السلام: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها". (أبو دواد والحاكم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

4 - مسلم وأحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ ويوجد في الترمذي وابن ماجه روايات مشابهة.

5 - يقال: اخترمته المنية، أي أخذته.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

ثالثا : طريقة الإنقاذ من الضَّلال

ونَعُود الآن، إلى ما ذكرناه من أسبابِ ضَعْفِ الإيمان بذِكر طَرِيقِ إِرْشادِهم وإِنْقاذِهم مِنْ مَهَالِكِهم :

أمّا الذين ادّعَوْا الحَيْرَة بما سَمعوه مِن أهل التعليم، فعِلاجهُم مَا ذكَرناهُ فِي كِتابِ "القِسطاسُ المُسْتقِيمُ"، وَلاَ نَطُولُ بذِكرهِ فِي هَذِهِ الرِّسَالةِ.

وأما ما تَوَهَّمه أهلُ الإباحة، فقد حَصَرنا شُبَهَهُم في سبعة أنواعٍ، وكَشَفناها في كتابِ "كيمياءُ السعادةِ".

و أما من فَسَد إيمانُه بطريق الفلسفة حتى أنكر أصلَ النبوة، فقد ذَكرْنا حقيقةَ النُّبوة، و وُجُودَها بالضَّرورة، بدَليل وجودِ عِلْمِ خَوَاصِّ الأدْوِيَةِ والنُّجوم وغيرهما. وإنما قَدَّمنا هذه المقدمةَ لأجل ذلك؛ و إنما أَوْردنا الدليلَ من خَواصِّ الطِّبِّ والنُّجُوم، لأنه مِنْ نفْسِ عِلْمِهم. و نحن نبيِّنُ لِكلِّ عالِم بفنٍّ من العلوم، كالنُّجوم والطِّب وَالطبيعَة وَالسِّحرِ والطِّلِّسْماتِ [1] مَثلاً، مِن نفسِ عِلمِه برهَانَ النّبوةِ.

وأمّا مَنِ أثبتَ النّبوة بلسَانه وسَوَّى أوضَاعَ الشّرع عَلى الحِكمَة، فهُو عَلى التَّحْقيقِ كَافرٌ بالنّبوة. وَإنما هُو مُؤمنٌ بحكم لَهُ طالِعٌ [2] مَخصوصٌ، يَقتضِي طالِعُه أن يَكونَ مَتبوعاً. وليسَ هَذا مِن النّبُوَّة في شَيءٍ، بَلِ الإيمَانُ بالنبّوة أن يُقِرَّ بإثبَات طَوْرٍ وَرَاءَ العَقل، تنفتِح فِيه عَينٌ يُدرِكُ بهَا مُدرَكَاتٍ خَاصَّةً، وَالعَقلُ مَعزولٌ عنهَا كعَزلِ السَّمْعِ عَن إدرَاك الألوَان، وَالبصَرِ عَن إدرَاك الأصوَاتِ، وَجَميع الحَواس عَن إدرَاك المَعْقُولاَتِ. فإنْ لَمْ يُجوِّزْ هَذا، فقد أقمنَا البُرهَانَ عَلى إمكانه بَلِ عَلى وُجوده. وَإنْ جَوَّز هَذا، فقد أثبَتَ أنّ ههنَا، أمُوراً تسَمّى خواصُّ، لاَ يَدورُ تصرّفُ العَقل حَواليْهَا أصْلاً، بَل يَكادُ العَقلُ يُكذِّبُها ويَقضِي باستِحَالتهَا. فإن وزن دَانِقٍ [3] من الأفْيُون سُمٌّ قاتِلٌ، لأنّه يُجمّد الدّمَ فِي العُرُوق لِفَرْط بُرودته. وَالذي يَدّعي عِلمَ الطّبيعة، يَزعُم أن مَا يَبْرُد من المُركّبات إنّما يَبردُ بعنصُرَي المَاء وَالتّراب؛ فهُمَا العنصُران البَاردَان. وَمَعلومٌ أنّ أرطَالاً من المَاء وَالتّراب، لا يبلُغ تبريدُهَا فِي البَاطِن إلى هَذا

1 - هذا اللفظ من أصل يوناني، وهو من مصطلحات السحر :(Talisman) خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية. راجع المعجم الوسيط.

2 - الطالع هو البرج أو ما يترقب من فال.

3 - الدانق (بفتح النون وكسرها) : سدس الدرهم.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الحَدّ. فلَو أخبَر طبيعيٌّ بهَذا وَلم يُجرِّبْه، لقالَ: "هَذا مُحالٌ، وَالدّليل عَلى استِحَالته، أنّ فيه نَاريّةً وهَوائيةً. وَالهَوائيةُ وَالناريّةُ لا تزيدُها بُرودةً؛ فنُقدِّرُ الكلَّ ماءً وتراباً، فلا يوجب هَذا، الإفرَاطَ في التّبريد. فإن انْضَمَّ إليه حَارّان، فبأنْ لاَ يُوجبَ ذلك أولَى، ويُقدِّرَ هَذا بُرهاناً! وأكثرُ بَراهين الفلاسفة في الطّبيعيات والإلهيات، مَبنيٌّ عَلى هَذا الجِنْس، فإنَّهُم تَصوّروا الأمُور عَلى قَدْر مَا وجَدوهُ وعَقلوهُ؛ ومَا لم يَألفُوه، قَدّروا استِحَالتَه، وَلو لَم تكن الرُّؤيا الصّادقةُ مَألوفةً، وادَّعَى مُدّع أنّه عِندَ رُكودِ الحَواس، يَعلَم الغيبَ، لأنكرَهُ المُتَّصفون بمثل هَذه العُقول؛ وَلو قيلَ لواحدٍ: "هَل يجُوز أن يَكون في الدّنيا شَيءٌ هُو بمقدَار حَبّة يُوضعُ في بلدَة، فيأكلُ تلكَ البَلدةَ بجُملتهَا، ثم يَأكلُ نفسَه، فلاَ يُبقِي شيئاً من البَلدَة ومَا فيهَا؛ وَلا يَبقَى هُو نفسُهُ؟"، لقالَ: هَذا مُحالٌ، وهُو من جُملةِ الخُرافات! وَهَذه حَالةُ النّار يُنكرُهَا مَن لم يَرَ النّارَ إذا سَمعَهَا؛ وَأكثرُ إنْكَار عَجائب الآخرة هو مِنْ هذا القَبيل؛ فنَقولُ للطبيعيّ: "قَد اضطُررتَ إلى أن تقول: في الأفْيُون خاصيةٌ في التبْريد، ليسَت عَلى قياس المَعقول بالطّبيعة. فلِمَ لا يَجوز أن يَكونَ في الأوضَاع الشّرعيّة من الخواصّ في مُداواة القُلوب وَتصفيَتهَا مَا لا يُدرَكُ بالحكْمة العَقلية، بَل لا يُبصَرُ ذلك إلا بعَيْن النُّبوّة؟"، بَل قد اعترَفوا بخوَاصَّ هي أعجَبُ من هَذا فيمَا أوردُوه في كتبهم، وَهي من الخَواصّ العَجيبَة المُجرَّبة في مُعالَجة الحَامل التي عَسُر عَليهَا الطّلقُ [1] بهَذا الشكلِ:

4	9	2
3	5	7
8	1	6

د	ط	ب
ج	هـ	ز
ح	ا	و

يُكتبُ عَلى حِرقتيْن لَم يُصبْهُما مَاءٌ، وَتَنْظر إليهمَا الحَاملُ بعَيْنهَا وَتضَعُهمَا تحْتَ قدَمَيْهَا، فيُسرع الوَلد في الخُروج. وَقد أقَرّوا بإمكَان ذلك وَأوردُوه في "عَجَائب الخَوَاصّ"، وَهُو شكلٌ فيه تسعةُ بيوت يُرقَم فيها رُقومٌ مخصوصَةٌ يَكون مَجمُوعُ مَا في جَدوَلٍ وَاحِدٍ، خمسةَ عَشر، [سواءٌ] قرأتَه في طول الشّكل أو في عَرضه أو عَلى التّأريب [2].

1 - إخراج المولود عند ولادته و ما يستوجبه من وجع.
2 - بالتأريب يعني قراءة تجمع الأعداد أفقيا حسب كل خانة أو عموديا حسب كل خانة أو في اتجاه مائل.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

فيَا ليْت شِعْري! من يُصَدِّقُ بذلك، ثم لاَ يَتّسِع عَقلُه للتّصديق بأنّ تقديرَ صَلاةِ الصُّبْح برَكعَتين وَالظهرِ بأربَعَ والمَغرب بثلاثٍ هُو لِخواصَّ غَيْرِ مَعلُومة بنظَر الحِكمَة؟ وَسببُهَا اختِلافُ هذه الأوقات؛ وإنّما تُدرَك هذه الخَواصُّ بِنُور النُّبوّة. وَالعَجبُ أنَّا لَو غيّرنَا العِبَارَةَ إلى عِبَارَةِ المُنَجِّمين، لعَقَلُوا اختِلافَ هَذه الأوقاتِ، فنقولُ: "أليسَ يختلف الحُكمُ فِي الطَّالع بأن تكُونَ الشّمسُ فِي وسَط السّمَاء أو فِي الطالِع أو فِي الغَارِب حتّى يَبْنُوا عَلى هَذا فِي تَسْيِيراتِهم اخْتلافَ العِلاجِ و تفاوتَ الأعْمَارِ والآجَال، ولا فَرْقَ بَيْن الزّوال و بين كَوْنِ الشّمس في وسَط السّماء، ولا بيْن المَغْرِب و بيْن كَوْنِ الشّمس في الغارِب؛ فهل لتصْديق ذلك سَبَبٌ؟". إلّا أن ذلك يسمَعُه بِعِبَارَةِ مُنجِّم لعله جَرَّب كَذِبَه مائة مرَّة، ولا يَزالُ يُعاوِدُ تصديقَه حتىً ولو قال له المنجِّمُ: "إذا كانتِ الشّمسُ في وسَط السّماء ونَظر إليها الكوكبُ الفلانيُّ، والطالع هو البُرجُ الفلانيُّ، فَلَبِسْتَ ثَوْباً جَديدا في ذلك الوَقْتِ، قُتِلْتَ في ذلك الثَّوب!"، فإنه لا يَلبَسُ الثوبَ في ذلك الوقت، وربما تَقَاسَى فيه البردُ الشديدُ، وربَّما سَمِعَه من مُنجِّم، و قد عرفتَ كذِبَه مرَّاتٍ!

فَلَيْتَ شِعْري! مَن يتَّسِعُ عقلُه لقَبول هذه البَدائع، و يُضْطرُّ إلى الاعْتِراف بأنها خواصُّ ـ معرفتُها مُعجزةٌ لِبَعْض الأنْبياء ـ فَكَيْفَ يُنْكِرُ مثلَ ذلك فِيما يَسْمعُه مِنْ قَوْلِ نَبيٍّ صادِقٍ مؤيَّدٍ بالمُعجزات، لم يُعْرَفْ قَطُّ بِالْكَذِبِ! وَ لم يَتَّسِعْ لإمْكانِه!

فإنْ أنْكَرَ فلسفيٌّ إمكانَ هذه الخَواصِّ في أعْداد الرَّكعات، ورَمْي الجِمار وعدد أركان الحَجِّ وسائِرِ تعبُّداتِ الشَّرْع، لم يجِدْ بينها وبين خواصِّ الأدْوِيَةِ والنُّجوم، فَرْقًا أَصْلاً. فإنْ قال: "قد جرَّبتُ شيْئًا من النُّجوم، وشيْئًا من الطِّبِّ، فوجدتُ بعضَه صادِقًا، فانْقدَحَ في نَفْسي تصديقُه، وسَقَطَ من قلبي استبعادُه و نَفْرَتُه؛ وهذا لم أُجَرِّبْه؛ فبِمَ أَعْلَمُ وجودَه وتحقيقَه؟" وإنْ أقررتَ بإمكانه، فأقولُ: "إنَّكَ لا تَقْتَصِرُ عَلى تَصْديق ما جرَّبْتَه بَلْ سَمِعْتَ أخْبارَ المجرِّبينَ وقلَّدْتَهم، فاسْمَعْ أقْوالَ الأنْبياء؛ فَقَدْ جَرَّبُوا وشَاهَدُوا الحَقَّ في جميعِ مَا وَرَدَ به الشَّرْعُ واسْلُكْ سَبيلَهم تُدْرِكْ بالمُشَاهَدَة بعضَ ذلك".

على أنّي أقولُ: "وَإنْ لم تُجَرِّبْه فَيَقْضي عقلُك بوُجوب التَّصديق و الاتِّباع قَطْعًا. فإنَّا لوْ فَرَضنَا رَجُلا بلَغ وعَقَل، ولم يجرِّب المرضَ، فمرِضَ وله والدٌ مُشْفِقٌ حَاذِقٌ بالطِّب، يَسْمَعُ دَعْوَاهُ في مَعرفة الطِّب مُنْذُ عقل، فعَجَنَ لَهُ والدُه دواءً، فقالَ: هذا يصلُحُ لمَرَضك، ويَشْفيك مِنْ سَقَمِك، فَماذَا يَقتَضيه عقلُه، إنْ كان الدَّواءُ مُرًّا كريهَ المَذاق، أنْ يَتَنَاوَلَ

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أوْ يُكَذِّبَ؟ ويقول: ﴿أنا لا أعْقلُ مُناسَبةَ هذا الدَّواءِ لتحْصيلِ الشِّفاء، ولم أجرِّبه!﴾. فَلا شَكَّ أنَّك تَسْتحْمقُه إنْ فَعَلَ ذلكَ؛ وَكَذلكَ يَسْتحْمقُكَ أهلُ البَصائرِ في توَقُّفكَ! فإنْ قلتَ: ﴿فيمَ أعْرفُ شَفَقَةَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ومَعْرفَته بهذا الطِّبِّ؟﴾، فأقُول: ﴿وبمَ عَرفْتَ شَفقةَ أبيكَ، وليسَ ذلكَ أمْراً محْسُوساً؟ بلْ عَرفتَها بِقَرائِنِ أحْوالِه وشَواهِدِ أعمالِه في مصادِرِه ومَوارِده عِلماً ضَرُوريًّا لا تتمَارَى فِيه﴾".

ومَن نَظر في أقْوال رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم، وما وَرد من أخبارٍ في اهْتمامه بإرْشاد الخَلْقِ وتَلطُّفه في جرِّ النَّاسِ بأنْواعِ الرِّفْقِ واللُّطْف إلى تَحْسينِ الأخْلاق وإصْلاحِ ذاتِ البَيْن، وبالجُملة، إلى مَا يُصْلحُ به دينَهُمْ ودُنيَاهُمْ، حَصَلَ له عِلمٌ ضروريٌّ بأنَّ شَفَقَتَه صلَّى اللهُ عليه و سلم عَلى أُمَّته أعْظمُ مِنْ شَفَقةِ الوالِدِ على ولَدِه.

وإذَا نَظَرَ إلَى عَجائبِ ما ظهرَ عليْه مِنَ الأفعَال، وإلى عَجائبِ الغَيْبِ الذي أخبَرَ عَنه القرآنُ على لسانه، وفي الأخْبَارِ، وإلى ما ذَكَرَهُ في آخرِ الزَّمان، فظهَرَ ذلكَ كما ذَكَرَه، عَلِم عِلمًا ضروريًّا أنه بَلَغ الطوْرَ الذي وَراء العَقْل، وانْفَتَحَتْ له العَيْنُ التي يَنكَشِف منها الغيبُ الذي لا يُدرِكُه إلا الخواصُّ، والأمورُ التي لا يُدْركُهَا العَقلُ.

فهذا هو مِنهاجُ تَحْصيلِ العِلم الضروريِّ بِتَصْديقِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه و سلم. فجرِّبْ وتأمَّلِ القرآنَ وطالِعِ الأخبارَ، تَعرفْ ذلك بالعِيانِ.

وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة، ذكرناه لشدة الحاجة إليه في هذا الزمان.

وأما السببُ الرابعُ - وهوَ ضُعْفُ الإيمَانِ بِسَبَبِ سِيرَةِ العُلمَاءِ - فيُداوي هذا المَرَضَ بثلاثةِ أمورٍ:

أحدُها أنْ تقولَ: "إنَّ العالِمَ الذي تزعُم أنه يأكُل الحرامَ، ومَعْرفتُه بتَحْريم ذلك الحرام كمَعرفتك بتحريم الخمْر ولحْم الخنزير والرِّبا، بَلْ بتحريم الغَيْبَة والكَذب والنَّميمَة، وأنْتَ تَعْرفُ ذلك، وتَفْعلُه لا لعَدَم إيمَانك بأنه مَعصيَةٌ، بَلْ لشَهوَتك الغالبَة عليك. فشَهْوَتُهُ كشَهْوَتك، وقد غلَبَتْهُ كمَا غلَبَتْك، فعِلْمُهُ بمسائلَ وراءَ هذا، يَتَميَّزُ به عَنْك، لا يُناسِبُ زيادةَ زَجْرٍ عَنْ هذا المَحْظُورِ المُعيَّن.

"وكَمْ مِنْ مُؤمنٍ بالطِّبِّ لا يَصْبرُ عَنِ الفَاكهَة، وَعَنِ المَاءِ البَارِد، وإن زَجَرَهُ الطبيبُ عنه! ولا يَدُلُّ ذلك على أنَّه غيرُ ضَارٍّ أو على أنَّ الإيمَانَ بالطِّب غيرُ صَحيح. فهذا مُجمَلُ هَفواتِ العُلَمَاءِ.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الثاني: أنْ يُقالَ لِلعَامِّيّ: "يَنْبَغي أنْ تَعتقدَ أنَّ العَالِمَ اتَّخَذَ علمَه ذُخْرًا لنفْسه في الآخرة، ويظُنُّ أنَّ علمَه يُنجيه، ويكونُ شَفيعا له، حتى يتساهل معه في أعْماله لفَضيلَة علْمه، وإنْ جازَ أنْ يَكون زيادةَ حُجَّة عليه، فهو يجوزُ أنْ يكون زيادةَ درجة له وهو ممْكِنٌ. فهو وإنْ تَرَكَ العملَ، يُدلي بالعلْم، وأمّا أنتَ أيُّها العاميُّ، إذا نظرْتَ إليه، وتركْتَ العملَ وأنتَ عن العلْم عاطلٌ، فتهلكُ بسُوء عمَلك ولا شفيعَ لك!".

الثالثُ: وهُو الحقيقةُ أنَّ العالِم الحقيقيَّ لا يُقارفُ مَعْصيَةً إلا على سبيل الهَفْوَة، وَلا يَكونُ مصرّاً عَلى المَعاصي أصْلاً، إذ العِلمُ الحَقيقيُّ مَا يَعرفُ أنَّ المَعْصيَةَ سُمٌّ مُهْلِكٌ، وأنَّ الآخرةَ خيْرٌ من الدُّنيا؛ ومَن عَرَف ذلك، لا يَبيع الخيرَ بمَا هُو أدنَى منهُ.

وهَذا العلمُ لا يَحصُل بأنوَاع العُلوم التي يَشتغل بهَا أكثرُ النّاس. فلذَلك لاَ يَزيدُهُمْ ذلك العلمُ، إلاّ جُرأةٌ عَلى مَعْصيَة الله تعَالى، وَأمّا العِلمُ الحَقيقيُّ، فيَزيد صَاحبَه خشيةً وَخَوْفاً ورَجاءً، وَذلك يَحُول بَينه وَبَين المَعاصي، إلا الهَفَوَاتُ التي لا يَنْفكُّ عَنْها البَشرُ في الفَتَرَات. وَذلك لا يَدلُّ عَلى ضَعْف الإيمَان. فالمُؤْمنُ مُفْتَنٌّ تَوّابٌ، وَهو بَعيدٌ عَن الإصْرَار وَالإكْبَاب.

كلمة ختامية

هذا مَا أرَدتُ أن أذكُرَهُ فِي ذَمِّ الفلسَفةِ وَالتّعلِيم وَآفاتِهمَا وَآفاتِ مَن أنْكر عَليهمَا لا بطَريقه.[1]

نسألُ اللهَ العَظيمَ أن يَجْعلنَا مِمَّن آثرَه وَاجْتبَاه، وَأرْشَدَه إلى الحَقِّ وهَداهُ، وَألْهمهُ ذِكْرَه حَتى لاَ يَنْسَاه، وَعصَمَهُ عَن شَرِّ نفسِه حَتى لم يُؤثِّرْ عَليه سِوَاه، وَاستَخْلصَه لنفسِه حَتى لا يَعبُدَ إلا إيّاهُ.

وصَلى اللهُ عَلى سَيّدنا مُحمّد وَعلى آله وصَحْبه وَسلّم.

(انتهت رسالة المنقذ)

1 - و الملاحظ في هذه الكلمة الختامية، أن الغزالي لم يذكر علم الكلام؛ فهل الأمر مقصود أم هو مجرد هفوة؟

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

خاتمة الإنتاج الفلسفي

والآن، بعد أن انتهى تتبعُ الغزالي من خلال قراء "المنقذ من الضّلال" قراءةً تحليلية وتركيبية، يكون الدارس قد فاز بعددٍ من الكفاءات أهمّها :

1- التعامل المباشر مع فكر فيلسوفنا؛

2- والدخول في معاناته الفعلية التي عاشها وهو في ريعان الشباب ؛

3- والنفاذ إلى تفكيره المنهجي القائم على النسقية والشمولية ؛

4- والحذر المستمر من الوقوع في مثل الأزمة النفسية التي عاشها ؛

5- والحصانة العلمية والمنهجية في الاتصال بالخبر، وفي فهمه وتقويمه.

وبهذا يكون قد وجد الدارس ما يؤهله للتفكير السليم ولمحاولة بناء منهج خاص به كفيل بتحقيق تطلعاته، وتمتين شخصيته، و إثبات الذات.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

فهرس موضوعات الكتاب

عناوين النصوص	أصحابها أو مصادرها	الصفحة
افتتاحية		3
القسم الأول : نصوص فلسفية مختارة		
مقدمة القسم الأول		5
الإشكالية الأولى		
مدخل		11
1 - مفارقة المحامي	من مفارقات بروتاغوراس هي مفارقات متداولة	12
2 - مفارقة الحلاق	مفارقة منسوبة لبرتراند رسل و هي مفارقات متداولة	13
3 - موضوع الحرية	أبو الفتح محمد الشهرستاني	14
4 - حوار بين سقراط و بوليمارك	أفلاطون	15
5 - الفلسفة قضية شخصية	إ. هسرل	17
6 - الفلسفة بين فتح المجهول وتعليق القضايا الكبرى	عبد الرحمن مرحبا	18
الإشكالية الثانية		
مدخل		21
7 - الحكم المنطلقي	وفيق العظمة	22
8 - أنواع المنافاة	ابن يوسف السنوسي	24
9 - المنطق تحليل فكري لقواعد اللغة	ب. مويي	26
10 - الشمول والتضمن	وفيق العظمة	28
11 - المنطق والرياضيات	رسل و غوبلو	30

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

12 - المصادرات	عبد الرحمن بدوي	32
13 - العقل المنطقي ومشاربه الفلسفية	محمد ثابت الفندي	34
14 - الفلسفة من وراء المنطق	محمد ثابت الفندي	35
15 - انطباق الفكر مع نفسه ومع الواقع	محمد ثابت الفندي	36
16 - مشكلة الاستقراء	زكي نجيب محمود	38

الإشكالية الثالثة

مدخل		41
17 - الفلسفة اليونانية مرجعية عالمية	ماهر كامل	44
18 - في علم الكلام	عبد الرحمن بن خلدون	45
19 - صانع العالم	الجويني إمام الحرمين	46
20 - في الفلسفة وعلم التوحيد	ابن رشد، ومحمد بن يوسف السنوسي	47
21 - علم التوحيد بين العوام والخواص	محمد بن يوسف السنوسي	49
22 - الفلسفة والشريعة	أبو حيان التوحيدي	51
23 - الشريعة والحكمة	أبو حيان التوحيدي	53
24 - للإسلام فلسفته	أحمد فهمي محمد	55
25 - التأويل	ابن رشد	57
26 - فلسفة العصور الوسطى	عبد الرحمن بدوي	59
27 - تكامل النقل والعقل	ابن رشد	60
28 - حدود العقل	عبد الرحمن بن خلدون	62
29 - الفلسفة الحديثة والمعاصرة	توفيق الطويل	64
30 - مستقبل الفلسفة المعاصرة	بيار دوكاسّي	66

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الإشكالية الرابعة

مدخل		69
31 - بين العقل والحَدْس	توفيق الطويل	72
32 - أهل الذوق	توفيق الطويل	74
33 - القلب والعقل	بليز بسكال	76
34 - بين العقل والواقع	هنري أيكن	78
35 - المذاهب	أزفلد كولبي	80
36 - البراغماتية	وليام جيمس	82
37 - الوجودية	عبد الرحمن بدوي	84

الإشكالية السادسة [1]

مدخل		87
38 - الأنا يتولى نفسه	ديكارت	88
39 - اكتشاف الأنا	ديكارت	90
40 - لامَدَنِيَّة مَدَنِيَّة الإنسان	إمانوال كانط	93
41 - العلية العلمية والعلية البشرية	بول فولكيي	95
42 - بين القضاء الإلهي وشرعية المسؤولية	توفيق الشاوي	97
43 - مملكة الحرية	كارل ماركس	99
44 - علاقة الحرية بالضرورة	فريدريك إنجلز	101
45 - المسؤولية لدى الوجوديين	سارتر	103

1 - أما الإشكالية الخامسة، فإننا نعالجها مع أبي حامد الغزالي في المنقذ من الضلال، وهذا في القسم الثاني من الكتاب والخاص بالإنتاج الفلسفي.

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM
elbassair.net

46 - التسامح	فلتير	104
47 - مصدر العنف	أحمد حسين	106
48 - في إطار الحوار بـ حضارات	روجي غارودي	107
49 - القوة لا تنتج إلا القوة والمعانة	جون جاك روسو	110
50 - في عصر «العولمة» والاقتداء بالغالب	عبد الرحمن بن خلدون	112
51 - في تسامح الطفل	سيد صبحي	114
52 - حوار الحضارات	روجي غارودي	116
53 - لا إكراه في الدين	الفخر الرازي	118
54 - "وَ قُلِ الحَقَّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِنْ وَمَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ»	(تفسير: الكهف، 29) الفخر الرازي	120
55 - تعالوْا جميعا	أحمد حسين	122
56 - التنوع الثقافي	إعلان اليونسكو العالمي	123
57 - حق التنوع الثقافي	ديانا آيطن–شنكر	125
58 - ثقافة (بالمفرد) أم ثقافات (بالجمع)؟	محمد عزيز لحبابي	127
59 - التفتح على العالم	محمد عزيز لحبابي	129
فهرس مصادر النصوص		131
القسم الثاني : الإنتاج الفلسفي، المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي		
المحتويات		الصفحة
مقدمة القسم الثاني		137
خطة الكتاب البيداغوجية		143
المشكلة الجزئية الأولى		145

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المشكلة الجزئية الثانية	148
المشكلة الجزئية الثالثة	151
المشكلة الجزئية الرابعة	153
• أولا : أصناف الفلاسفة	153
• ثانيا : أقسام علومهم	155
المشكلة الجزئية الخامسة	162
المشكلة الجزئية السادسة	167
المشكلة الجزئية السابعة : حل الإشكالية	
• أولا : حقيقة النبوة	173
• ثانيا : العودة إلى نشر العلم	176
• ثالثا : طريقة الإنقاذ من الضلال	181
كلمة ختامية	185
خاتمة الإنتاج الفلسفي	186

elbassair.net

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

elbassair.net



2011 - 2010
MS : 1219 / 06
ISBN : 9947 – 20 – 475 – 8 : ردمك
N° Dépôts légal : 244 - 2006 : رقم الإيداع القانوني

مصادق عليه من طرف لجنة الاعتماد والمصادقة للمعهد الوطني للبحث في التربية
– وزارة التربية الوطنية – وفق القرار رقم 1866 /م.ع / 08 بتاريخ 22 أكتوبر 2008

elbassair.net
قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

لتحميل الكتب المدرسية
الابتدائي-المتوسط-الثانوي
إضغط هنا

موقع عيون البصائر التعليمي





قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM